

الحب والنخض

في

القرآن الكريم

إعداد

مهنا يوسف جار الله أبحار الله

تقديم

أ. د. السيد محمد السيد نوح

قُدم هذا البحث كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات العليا في جامعة الكويت بتاريخ ١٩/١١/١٤١٩ هـ الموافق ٧/٣/١٩٩٩ م، وقد أشرف عليها:

الأستاذ الدكتور: عبدالعزيز صقر.

رئيس برنامج تفسير علوم القرآن بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت.

وناقشها كل من:

الأستاذ الدكتور: علي حسن رضوان.

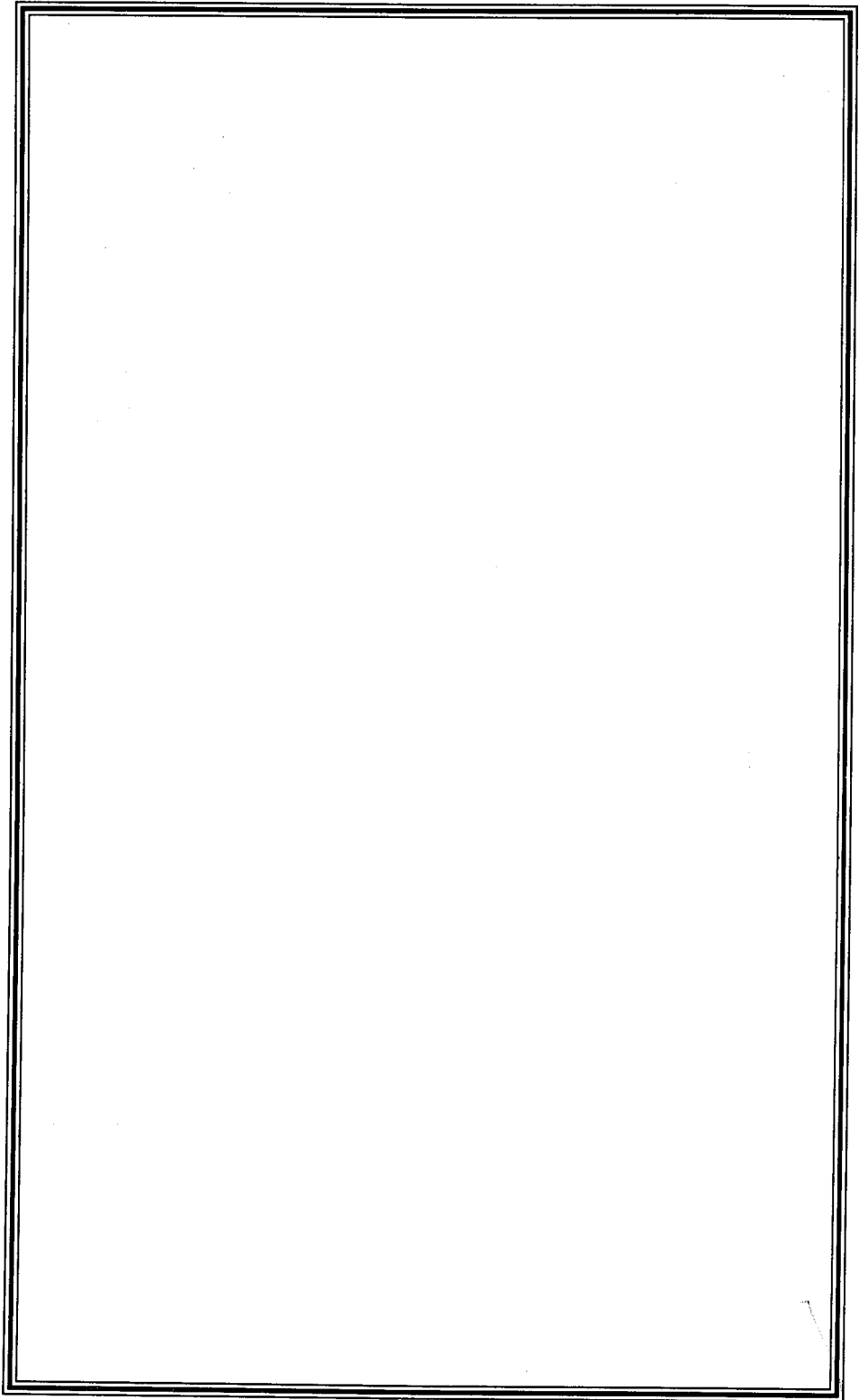
والأستاذ الدكتور: علي أحمد فراج.

الأساتذة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت، وقد أُجيز البحث بتقدير ممتاز.

الحب والبغض

في

القرآن الكريم



تقديم

بقلم أ.د. السيد محمد السيد نوح

الإنسان خَلَقَ اللهُ، والقرآن منهج الله الأخير لهذا الإنسان، به يعرف ما له، وما عليه، وفيه دواؤه لدائه، وزاده وغداؤه.

قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧].

وقد وعى علماؤنا هذه الحقائق، فعكفوا على هذا الكتاب يدرسونه ويستخرجون كنوزه، وينبهون إلى دقائقه، ولطائفه، ويحرصون على تنزيله على الواقع.

ومما لا شك فيه أن الأمة المسلمة اليوم تعاني من علل شتى، وأمراض لا حصر لها، بيد أن أبرز هذه العلل وتلك الأمراض إنما هو سوء الفهم وخلل التصور عن النفس، وعن الكون، وعن العاقبة والمصير وهلمّ جراً. والأمر يقضي بضرورة العودة إلى كتاب الله، والعيش معه ومعاشته لاستخلاص الدواء، وزاد الطريق.

وصدق الله إذ يقول:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَمُّمٌ﴾ [الإسراء: ٩].

كما صدق الحكيم في قوله:

للسرق داء لا يُرَجَى بُزْؤُهُ إلا إذا أخذ الكتاب دواءً

ومن هذا المنطلق ندبت الباحثة: «مها يوسف جار الله الجار الله» نفسها لتقديم التصور الصحيح الواضح عن الحبِّ والبغض من خلال القرآن الكريم وما يتبع ذلك من ولاء، وبراء، وكانت موفقةً في ذلك أيما توفيق، إذا عرضت للقضية من كلِّ جوانبها مع أمانة في النقل، وصدق في التصوير، ونزاهة في الحكم.

وبذلك تكون عبّدت الطريق، ومهّدت السبيل أمام المصلحين الصادقين الذين يريدون جمع الكلمة، ووحدة الصف لأنه إذا صحَّ الولاء والبراء تلاقت القلوب، وإذا تلاقت القلوب تشابكت الأيدي، وتعاضدت السواعد، وكان النصر على الأعداء، وصيانة الدماء، والأموال، والأعراض، والحفاظ على المقدّسات.

وهكذا ينبغي أن تكون الدراسات القرآنية، علاجاً للواقع من خلال الواقع.

أسأل الله للباحثة وللمسلمين والمسلمات: السداد والرشاد إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

أ.د/ السيد محمد السيد نوح



تهنئة في رسالة

وقد شرفني عمي بتقديم هذه الأبيات الشعرية وهي:

بسم الله

الله دَلَّكَ يا مَهْما
وظفرت فيما تطمحين
فاخترت موضوعاً له
وشرحت بالتفصيل
ليعم نفعاً تبتغين
هذي المواضيع التي
جاءت رسالتك الكريمة
مذ قلت فيها أن
إلا المحبة للإله وللنبي
وكذاك حب المؤمنين
من كل من نفع العباد
وَألوالِدين وِبِرُّهم
بوركت يا ابنة يوسف
وغداً رسالتك الفريدة

حتى استقر بك القرار
له لحسن الاختيار
يصبو الصغار مع الكبار
والتدقيق ما فيه المفند قد يحار
بسرعة كل الديار
حققت فيها الانتصار
كالحمي لمن استجار
كل الحب ليس له قرار
وصحبه أهل المنار
الخيرين ذوي السماحة والوقار
بسعيه ليلاً نهار
ذاك الذي فيه الفخار
يا من إليك غداً يشار
سوف تلقى الانتشار

الشاعر: سليمان الجارالله



إهداء

إلى أمي وأبي اللذين أكنّ لهما كل حبٍ وتقدير واحترام.
إلى زوجي المخلص الذي رفع من همّتي لمواصلة الدراسات
العليا.

إلى مُحبي كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيّه محمد صلى الله عليه
وسلم.

إلى هؤلاء جميعاً. أهدي هذه الرسالة.

الباحثة



آية وحديث قدسي وقول

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

(سورة المائدة: آية ٥٤)

قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته».

البخاري (٤١٤/١١)

ليس الشأن أن تُحِبَ ولكن الشأن أن تُحَبَ

تفسير القرآن العظيم (٥٣٦/١)



شكر وتقدير

الحمد لله أهل الثناء والمجد، وأحق ما قال العبد، كُننا لك عبد، لا مانع لا أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ.
أما بعد...

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»^(١).

فمن هذا المنطلق أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى مُديرة جامعة الكويت، وإلى عمادة وأعضاء كلية الدراسات العليا في جامعة الكويت على فتحهم لبرنامج التفسير وعلوم القرآن في سبتمبر من عام ١٩٩٥، فكنت أنا وزميلاتي باكورة هذا البرنامج. وكذلك إلى عمادة وأعضاء كلية الشريعة والدراسات الإسلامية على حرصهم وسعيهم الحثيث لتقديم خطط برامج الأقسام للدراسات العليا في كلية الشريعة. وللمشرف الأستاذ الدكتور عبد العزيز صقر رئيس قسم التفسير والحديث ومدير برنامج التفسير وعلوم القرآن للدراسات العليا على ما تفضل به عليّ من توجيه وتصويب، ومن وقت لقراءة البحث ومراجعته، وكذلك الدكاترة الأفاضل ممن نهلت من علمهم

(١) رواه الترمذي في السنن: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (٣٣٩/٤) ح (١٩٥٤)، وأحمد في المسند (٢/٢٥٨)، وأبو داود في السنن: كتاب الأدب - باب في شكر المعروف (٢/٦٠٦) بنحوه بإسناد حسن صحيح.

الغزير، وفهمهم السديد، وتنويرهم السليم، والأدب الرفيع وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور أبو سريع محمد أبو سريع، والأستاذ الدكتور محمد عبدالسلام محمد، والأستاذ الدكتور سيد نوح، والأستاذ الدكتور علي رضوان، وكذلك من أعانني على ضبط الخطة وإحكامها الدكتور الفاضل بدر ابراهيم الصالح، والأستاذ الدكتور سيد نوح ومن لم يأل جهداً في الرد على تساؤلاتي واستفساراتي الأستاذ الدكتور محمد الأحمد أبو النور.

وإلى جميع من كان له فضل علينا بعلمه وسعة فهمه من دكاترة الكلية الأفاضل الذين كان لهم دور في الدراسة الجامعية، كأمثال: الأستاذ الدكتور أحمد فرحات، أ.د. خالد المذكور، أ.د. عجيل النشمي، أ.د. محمد حسن هيتو، أ.د. محمود الطحان، أ.د. محمد متولي، على سبيل المثال لا الحصر.

سائلة المولى القدير أن يفيض عليهم الصحة والعافية، وأن يبارك في أعمارهم وأن يمدهم بعون من عنده لخدمة هذا الدين الحنيف ونفع المسلمين لا سيما طلبة العلم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأتباعه أجمعين.



مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان، وجعله منار هدى للعارف والحيوان، أعلى به قدر نبيّه، وجعله حجة دامغة للمنكر والفتان، وأثار به عقول البشر، وأشبع به حاجة الإنسان للمعرفة والوجدان، وألف به قلوب البشر على الحب والإيمان، وأضاء دروبهم بأشعة التوحيد، وأعلى مكانتهم بين العشائر والأمصار، وانتصر به المسلمون لما عملوا بشريعة الرحمن، وضعف به القوم لهجرهم الحق والبيان. فاللهم اجعله ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء همومنا وأحزاننا، وارزقنا تلاوته أثناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك به عنا.

وأصلي وأسلم على إمام النبيين وقدوة المسلمين محمد بن عبدالله، منار المهتدين إلى رب العالمين، وهادي الحيارى إلى الطريق القويم، ومخرج الضالين إلى نور اليقين، ومآخي الأنصار والمهاجرين على الحب والدين، ومثبت دعائم النهج السليم، ومبطل دعاوى المفترين على دين رب العالمين، ومبلغ شريعة ربه دون إفراط ولا تفريط... نسألك اللهم شفاعة يوم لا ينفع يوم مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأرض اللهم عن الصحابة أولى الرأي والإصابة، ومن تبعهم وسار على دربهم إلى يوم الدين.

وبعد...

فإن الحب من العواطف القوية التي تمثل الجانب الوجداني في النفس البشرية حيث يختلج نفس المرء منذ نعومة أظفاره، وتصاحبه إلى آخر

حياته، فهذه العاطفة الجياشة التي تعبر عن المشاعر الرقيقة، والأحاسيس النبيلة، حظيت في كتاب الله بالاعتناء والاهتمام والتوجيه والبيان، فوجه سبحانه هذه العاطفة إلى محبته - عز وجل - ومحبة رسوله ﷺ، فبين في - كتابه - أن من صفات المؤمنين محبة الله تعالى، فقال عز شأنه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (١) وأن هذه المحبة تستلزم اتباع المصطفى ﷺ، فقال جل ثناؤه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٢) وأن حب الرسول ﷺ يقدم على ما سواه من البشر، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (٣).

وأوضح سبحانه وبيّن في كتابه الكريم أن الحب يغمر الزوجة والأبناء، والمال والتجارة، وأن هذه مشاعر طبيعية، وغرائز فطرية، جبلت عليها النفس البشرية، وإن كان هذا الحب أحياناً يصل إلى درجة الذم كما أخبر المولى فقال عز شأنه: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ (٤).

وهكذا يأتي الإثبات لهذه الانفعالات الفطرية، مقترنة بضرورة الضبط والتوجيه، والعناية والتدقيق، باعتدال، دون إفراط ولا تفريط، فيتجه في حبه إلى ما أثنى عليه الحق تبارك وتعالى ويثرف عما ذمه سبحانه وتعالى، وقد وردت كلمة الحب ثلاثاً وثمانين مرة في كتاب الله عز وجل وهذا يدل على أهمية هذه العاطفة وحسن توجيهها.

وكذلك الأمر بالنسبة لعاطفة البغض، وإن كان حيزه في كتاب الله - عز وجل - أقل من الحب، إلا أنه يجب توجيهه - البغض - إلى ما يبغضه الحق تبارك وتعالى، قال رسول الله ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله

(١) سورة البقرة، الآية ١٦٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣١.

(٣) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الإيمان - باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (٨١/١) ح (١٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٤.

وأعطى الله، ومنع الله، فقد استكمل الإيمان^(١) فحتى يستكمل المرء إيمانه بربه لا بد من ضبط وتوجيه هذه الانفعالات والعواطف على حسب ما يبغى الحق تبارك وتعالى، فيكون الحب موافقاً لما يبغضه الله - عزّ وجلّ - فيعمل على إجلاء العوامل التي تثير التباغض بين البشر، فلا يظلم من يبغضه، ويتجنب الصفات التي يبغضها - الله عزّ وجلّ -، حتى يكون ضمن الإطار الذي حدده الحق - تبارك وتعالى - في الحب والبغض.

ولا جرم أن أشير إلى أنه لما كنت في العقد الثاني من عمري - في المرحلة الثانوية - كنت أستمع إلى شريط أدعية مأثورة، ومما شدني من هذه الأدعية، قوله ﷺ: «اللهم إني أحبك وأحب من يحبك، وأحب العمل الذي يقربني إلى حبك، اللهم حببني إليك وإلى ملائكتك، وأنبيائك وجميع خلقك»^(٢) فكانت دائماً أردد هذا الدعاء بعد الصلاة وفي أوقات الإجابة، إلى أن أتى اليوم الذي التحقت فيه في كلية الشريعة لاستكمال الدراسات العليا في برنامج التفسير وعلوم القرآن، وأشار على أحد الكاترة الأفاضل، بأن يكون موضوع الرسالة «الحب في القرآن الكريم» فلم أتردد فيه كثيراً، كبقية الموضوعات، وإنما وقع في قلبي، وشغل حيزاً كبيراً في تفكيري، فكان البحث والتنقيب، وأخذ الرأي والمشورة في إعداد خطة البحث من قبل أساتذة الكلية الأفاضل، وكان مما أشار على أعضاء لجنة البرنامج إضافة (الكره) إلى عنوان البحث ليكون «الحب والكره في القرآن الكريم» ولما كان الكره الذي ورد في القرآن غالباً ما يكون بمعنى المشقة، صعبت المقابلة بين فصول ومباحث الكلمتين، فوقع الاختيار على كلمة البغض التي هي نقيض الحب، كما ورد في أغلب كتب اللغة، فجاء عنوان الرسالة «الحب والبغض في القرآن الكريم».

(١) رواه أبو داود في السنن: كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٥٧١/٢)، ورواه الترمذي في السنن: كتاب القيامة - باب ٦٠ (٦٧٠/٤) ح (٢٥٢١).
بإسناد حسن.

(٢) رواه الترمذي في السنن، كتاب الدعوات، باب ٧٣ (٢٥٥/٥) ح (٥٢٢) بنحوه. قال الترمذي: حديث حسن غريب.

وعلى قدر حماسي للموضوع كان تعبي فيه، في تجميع مادته العلمية وفصوله ومباحثه المبعثرة بين كتب العقيدة، والفقه والتفسير والحديث، والتربية واللغة، ومع البحث المتواصل بين أرفف المكتبات والمُراسلة «المركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية»، لم تسقط عيني على عنوان لكتاب أو رسالة في هذا الموضوع اللهم إلا موضوعات متفرقة في كُتب مختلفة ومقالات في صفحات المجلات والجرائد، وبعض الكتيبات والكتب التي لا يتجاوز عددها أصابع اليد.

وبالرغم من ذلك كان العزم والإصرار على الكتابة في هذا الموضوع، والسعي الجاد في ساعات الليل والنهار لإتمامه وإعداده.

سبب اختيار البحث:

أولاً: بيان اهتمام الإسلام بالجانب العاطفي للمرء، من خلال عاطفتي الحب والبغض.

ثانياً: غياب الفهم السليم لمعنى المحبة والبغض، وتطبيقاتهما في واقع الفرد والمجتمع.

ثالثاً: الاقتداء بصفات من يحبهم الله عزّ وجلّ، والبعد عن صفات من يبغضهم الله عزّ وجلّ.

رابعاً: نشر الحب والألفة والمودة بين أفراد المجتمع عموماً وبين المسلمين خصوصاً.

خامساً: خدمة المجتمع بتزويده ببحث متكامل عن الحب، والبغض بكل صورهما.

ولإخراج هذه الرسالة التي جاءت على النحو التالي فقد قسمت الرسالة إلى تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

أما التمهيد ففيه المباحث التالية: المبحث الأول معنى الحب والمحبة لغة واصطلاحاً، والمبحث الثاني الألفاظ المترادفة للحب، والمبحث الثالث

معاني الحب في القرآن الكريم، والمبحث الرابع علاقة الحب بالنفس البشرية.

وأما الباب الأول: فكان حول «الحب والمحبة الإلهية».

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: محبة الله تعالى والأقوال فيها.

ويتضمن المباحث التالية: المبحث الأول: صفة المحبة لله عز وجل، والمبحث الثاني: مراتب المحبة، والمبحث الثالث: مظاهر المحبة في حياة المسلم، والمبحث الرابع: أثر المحبة على الإنسان.

الفصل الثاني: الذين يحبهم الله عز وجل.

وفيه المباحث التالية: المبحث الأول: المتقون، المبحث الثاني: المحسنون، المبحث الثالث: الصابرون، المبحث الرابع: التوابون، المبحث الخامس: المتطهرون، المبحث السادس: المتوكلون، المبحث السابع: المقسطون، المبحث الثامن: المقاتلون في سبيل الله.

الفصل الثالث: الذين لا يحبهم الله عز وجل.

وفيه المباحث التالية: المبحث الأول: المفسدون، المبحث الثاني: الظالمون، المبحث الثالث: الكافرون، المبحث الرابع: المعتدون، المبحث الخامس: الخائنون، المبحث السادس: المسرفون، المبحث السابع: المتكبرون والمختال الفخور، المبحث الثامن: الفرحون، والمبحث التاسع: الجهر بالسوء.

وأما الباب الثاني: الحب البشري حقيقته والمحمود منه والمذموم والمنفي.

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: الحب البشري بين الفطرة والاكتساب.

ويتضمن المباحث التالية: المبحث الأول: حب الإيمان، والمبحث الثاني: حب النفس والأهل والولد، والمبحث الثالث: حب المال، والمبحث الرابع: حب العاجلة.

الفصل الثاني: الحب البشري المحمود. حب الله

ويتضمن المباحث التالية: المبحث الأول: حب الأنداد، المبحث الثاني: المدح والثناء، ^{حب الدين} المبحث الثالث: حب إشاعة الفاحشة، المبحث الرابع: حب الدنيا، والمبحث الخامس: حب الشهوات.

الفصل الثالث: الحب البشري المذموم.

ويتضمن المباحث التالية: المبحث الأول: حب الأنداد، المبحث الثاني: حب المدح والثناء، المبحث الثالث: حب إشاعة الفاحشة، المبحث الرابع: حب الدنيا، والمبحث الخامس: حب الشهوات.

الفصل الرابع: الحب المنفي.

ويتضمن المباحث التالية: المبحث الأول: محبة المنافقين وأهل الكتاب، المبحث الثاني: تنفيذ دعوى اليهود والنصارى محبة الله لهم ومحبتهم لله.

أما الباب الثالث: البغض.

ويتضمن تمهيداً وثلاثة فصول:

أما التمهيد فيحتوي على المباحث التالية: المبحث الأول: معنى البغض لغة، المبحث الثاني: الألفاظ المترادفة للبغض، المبحث الثالث: علاقة البغض بالنفس البشرية.

الفصل الأول: من أسباب التباغض بين البشر.

ويتضمن المباحث التالية: المبحث الأول: اختلاف الدين، المبحث الثاني: التفرق والاختلاف، المبحث الثالث: الدعوة إلى عصبية النسب والجاهلية، المبحث الرابع: الرجس.

الفصل الثاني: بغض المؤمنين لغيرهم لا يعني ظلمهم.

الفصل الثالث: الذين يبغضهم الله عزّ وجلّ.

ويتضمن المباحث التالية: المبحث الأول: ألد الخصام، المبحث الثاني: المكتفي آثار الجاهلية، والمبحث الثالث: الفاحش البذيء، المبحث الرابع: المتشدد في الكلام، المبحث الخامس: الشيخ الزاني والفقير المختال والغني الظلوم، المبحث السادس: البياع الحلاف، المبحث السابع: الإمام الجائر.

وختمت البحث بأبرز النتائج والتوصيات، ملحقة به جريدة المصادر والمراجع وأهم الفهارس.

وقد اتبعت في كتابة الرسالة المنهج التالي:

- ١ - سردت جميع الآيات القرآنية التي ورد ذكر لفظ الحُب والبغض ورتبتها ترتيباً موضوعياً.
- ٢ - نهجت في تفسير الآيات القرآنية بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود عند العلماء واقتصر في التفسير على موضع الشاهد في الآية المراد منها.
- ٣ - ربطت معاني الكلمات الشرعية والاصطلاحية بأصولها اللغوية، فإن اللغة أساس فهم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- ٤ - تجنبت الروايات الإسرائيلية خشية طول الرسالة.
- ٥ - حاولت استكمال مباحث من يحبهم الله تعالى ويبغضهم موضوعياً باختصار كمبحث المتقين ضمن صفات الذين يحبهم الله، لم اكتف بتفسير الآيات فقط، وإنما عرّفت التقوى لغة واصطلاحاً، ورتبت آيات التقوى، وأنواع التقوى، وثمرات التقوى... وهكذا.
- ٦ - ذكرت اسم كل راو للحديث في الرسالة. وخرّجت الأحاديث النبوية، وذلك بعزوها إلى مواضعها في كتب السنة بذكر الجزء والصفحة والباب والكتاب، واقتصر في التخرّيج على الكتب

التالية: صحيح البخاري ومسلم وسنن أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ومسند أحمد وموطأ مالك. وإذا كان الحديث في صحيح البخاري أو مسلم فاقترنت العزو على أحدهما، وعموماً ما يكون لفظ الإمام البخاري، أما إذا كان لفظه عند غيرهما كالترمذي وغيره فأحاول إتمام تخريجه من بقية كتب السنة.

٧ - اعتمدت حكم الترمذي على الحديث في غير الصحيحين وعلى الشيخ الألباني في سنن أبو داود وابن ماجه والنسائي.

٨ - ترجمت للأعلام الواردين في الرسالة في أول ورودهم، من الصحابة والتابعين وأئمة التفسير واللغة وغيرهم. دون المشهورين.

٩ - أوضحت معاني الكلمات الغريبة.

١٠ - اختصرت ذكر بعض المصادر لكثرة ورودها في هامش الرسالة:

من مثل: جامع البيان: كتاب جامع البيان في تأويل القرآن.

الدرّ المنثور: الدرّ المنثور في التفسير المأثور.

إرشاد العقل السليم: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم.

نظم الدرر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

النبلاء: سير أعلام النبلاء.

النهاية: النهاية في غريب الحديث والأثر.

طبقات المفسرين - س -: طبقات المفسرين - السيوطي.

طبقات المفسرين - د -: طبقات المفسرين - الداودي.

١١ - أثبت المصادر والمراجع في ذيل كل صفحة ليسهل على من يريد التأكد من صحة بعض المسائل الرجوع إلى تلك المصادر والمراجع.

١٢ - وضعت إطاراً للآيات والأحاديث التي قمت بتفسيرها وشرحها في كل مبحث.

١٣ - ضمنت آخر الرسالة الفهارس العلمية المتنوعة .

١٤ - رجعت إلى قرص القرآن الكريم لدى شركة العالمية لتشكيل الآيات القرآنية .

وتتبع هذه الخطوات بغية مني في إخراج بحث متكامل مترابط، ذي فائدة للقارئ، وهذا الاجتهاد وإن قصدت فيه السمو والارتقاء في البحث إلا أنه قد يعتره الخطأ والزلل وهذه طبيعة النفس البشرية، أرجو من أساتذتي الأفاضل توجيهي إليه وإرشادي، وما فيه من سداد وصواب فهذا من فضل الله على أمته الفقيرة إليه .

أهمية البحث:

ضمّ القرآن الكريم بين طياته معاني راقية، لمفاهيم سامية، يأصل المعنى الحقيقي لتلك المفاهيم والقيم التي يعتنقها المرء، والانفعالات والعواطف التي تصدر عنه .

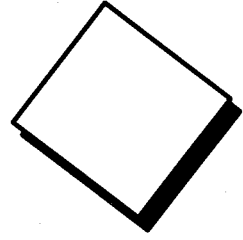
وهذا البحث من البحوث التي تبين للمرء المسلم مفهوم الحب والبغض، كما ورد ذكرهما في القرآن الكريم، ويبين صفات الذين يحبهم الله، والذين لا يحبهم الله، والحب البشري متى يكون محموداً ومتى يكون مذموماً، وأسباب التباغض بين البشر، والذين يبغضهم الله عزّ وجلّ .

الجديد الذي يضيفه البحث:

موضوع مستقل متكامل يُهدى إلى المكتبة العربية والإسلامية، عن «الحب والبغض في القرآن الكريم» .



مها يوسف الجارالله
غرة شعبان ١٤١٩هـ
الموافق ٢٠ نوفمبر ١٩٩٨م



التمهيد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: معنى الحُبِّ والمحبة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: معاني الحُبِّ في القرآن.

المبحث الثالث: الألفاظ المترادفة للحُبِّ.

المبحث الرابع: مدى علاقة الحُبِّ بالنفس البشرية.



المبحث الأول: معنى الحُبِّ والمحَبَّة لغة

قال ابن فارس^(١): (الحاء والباء أصول ثلاثة، أحدهما اللزوم والثبات، والآخر الحَبَّة من الشيء ذي الحب، والثالث وصف القَصْر)^(٢).

والذي سوف أتناوله بالتفصيل الأصل الأول وهو اللزوم والثبات.

واللزوم الحُبِّ والمَحَبَّة، اشتقاقه من أَحَبَّه إذا لزمه^(٣). والمُحِبِّ: البعير الذي يَحْسِرَ فيلزمُ مكانه^(٤). قال الشاعر^(٥):

جَبَّتْ نِسَاءَ الْعَالَمِينَ بِالسَّبَبِ فَهُنَّ بَعْدُ كُلُّهُنَّ كَالْمُحِبِّ

(١) أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين اللغوي الرازي القزويني ولد سنة ٣٢٩هـ، كان إماماً في علوم شتى خصوصاً باللغة فإنه اتقنها وألف كتابه «المجمل» في اللغة و«مقاييس اللغة» وغيره كثير ت ٣٩٥هـ. بغية الوعاة (١/٣٥٢)، وأبجد العلوم (٣/٦)، والمعجم المفصل (١/٦٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢/٢٦).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٢/٢٦).

(٤) راجع معجم مقاييس اللغة (٢/٢٦) والصحاح (١/١٠٦).

(٥) هو محمد بن عبد الملك الفقعسي، شاعر أهل الكوفة، نزل ببغداد، وكان راوية بني أسد، أدرك أيام المنصور والعباسي. الأعلام (٦/٢٤٨).

الحُبُّ: تَقْيِضُ البُغْضِ^(١). والحُبُّ: الودادُ والمَحَبَّةُ^(٢).

قال الليث^(٣): (وتقول: أَحَبَبْتُ الشيءَ فأنا مُحِبٌّ وهو مُحِبٌّ)^(٤).

قال ثعلب عن ابن الأعرابي^(٥): حُبٌّ إذا أُتِعِبَ، وَحَبٌّ إذا وَقَفَ، وَحَبٌّ إذا تَوَدَّدَ^(٦).

قال الأصمعي^(٧): (قولهم حُبٌّ بفلان، معناه ما أَحَبَّهُ إليَّ). وقال الفراء^(٨): (معناه حَبِبَ بفلان بضم الباء، ثم أَسَكَّنَتْ وأدغمت الثانية)^(٩).

وتَحَبَّبَ إليه: تَوَدَّدَ. وامرأةٌ مُحِبَّةٌ لزوجها ومُحِبٌّ لزوجها أيضاً^(١٠).
وتَحَبَّبَ إليه تَحَبُّباً أظهرَ له المَحَبَّةَ وتَوَدَّدَ. وتَحَابُّوا تَحَابُّاً تَوَادُّوا^(١١). أي

-
- (١) راجع تهذيب اللغة (٨/٤) ولسان العرب (٢٨٩/١) وتاج العروس (١/١٩٦).
 - (٢) راجع لسان العرب (٢٨٩/١) والمعجم الوسيط (١٥١/١) والصحاح (١٠٥/١) وترتيب القاموس المحيط (١/٥٦٨).
 - (٣) الليث بن المظفر هكذا أسماه الزهري، كان نحوياً لغوياً، صاحب الخليل بن أحمد الفراهيدي مؤلف كتاب «العين». وكان كاتباً للبرامكة. بغية الوعاة (٢/٢٧٠)، والمعجم المفصل (٢/٤٣).
 - (٤) تهذيب اللغة (٨/٤).
 - (٥) محمد بن زياد أبو عبدالله بن الأعرابي، من موالى بني هاشم، ولد سنة ١٥٠هـ، كان نحوياً عالماً باللغة والشعر، وله من الكتب «النوادر» و«الأنواء» و«صفة المحل» وغيره كثير ت ٢٣٠هـ، بغية الوعاة (١/١٥٠) والمعارف ص ٥٤٦.
 - (٦) تهذيب اللغة (٨/٤).
 - (٧) عبد الملك بن قُريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي من أهل البصرة، ولد سنة ١٢٢هـ، وهو أحد أئمة العلم باللغة والشعر والنحو والأخبار والنوادر، له مصنفات عديدة منها «غريب القرآن» و«خلق الإنسان» و«الأضداد» ت ٢٦٦هـ. بغية الوعاة (٢/١١٢)، والمعجم المفصل (٢/٤٨).
 - (٨) يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسدي مولا هم الكوفي النحوي، صاحب الكسائي. كان أمير المؤمنين في النحو وله كتاب «البهى» وتقدر توالييف الفراء ثلاثة الآلاف ورقة ت ٢٠٧هـ. وله ٦٣ سنة. النبلاء (١٠/١١٨) والمعارف ص ٥٤٥.
 - (٩) راجع تهذيب اللغة (٩/٤) والصحاح (١٠٥/١) ولسان العرب (٢٩١/١).
 - (١٠) راجع الصحاح (١٠٦/١) ولسان العرب (٢٩٠/١) ومحيط المحيط ص ١٤٢.
 - (١١) محيط المحيط ص ١٤١.

أحب كل واحد منهم صاحبه^(١). وفي الحديث عن عطاء بن أبي مسلم الخراساني^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «تهادوا تحابوا»^(٣) أي يحب بعضكم بعضاً.

والتَّحَبُّبُ إظهار الحُبِّ يُقال: تحبب فلان إذا أظهره أي الحُبُّ وهو يَتَحَبَّبُ إلى الناس ومُحَبَّبٌ إليهم أي مُتَحَبَّبٌ^(٤).

والجِبَابُ بالكسر: المَحَابَّةُ والمَوَادَّةُ. والجَبَابُ بالضم: الحُبُّ^(٥).

والجِبُّ بالكسر، المَخْبُوبُ، وكان زيد بن جارثة^(٦) رضي الله عنه يُدعى: جِبُّ رسول الله ﷺ وفي الحديث: «ومن يجترىء على ذلك إلا أسامة جِبُّ رسول الله ﷺ»^(٧) أي مَخْبُوبُهُ، وكان رسول الله ﷺ يُحِبُّه كثيراً.

وفي حديث فاطمة رضوان الله عليها، قال لها رسول الله ﷺ، عن عائشة: «إِنَّهَا جِبَّةٌ أَبِيكَ»^(٨).

والأُنثَى: جِبَّةٌ، وجمع الجِبِّ أَحْبَابٌ، وَجِبَّانٌ، وَحُبُوبٌ، وَجِبِيَّةٌ، وَحُبٌّ، وهذه الأخيرة إما أن تكون من الجَمْعِ العزيز، وإما أن تكون اسماً للجَمْعِ^(٩).

(١) الصحاح (١٠٦/١).

(٢) عطاء بن أبي مسلم، أبو عثمان الخراساني، واسم أبيه ميسرة وقيل عبدالله، صدوق يهيم كثيراً ويرسل ويدلس ت ٣٥هـ. تقريب التهذيب ص ٣٩٢.

(٣) الموطأ: كتاب حسن الخلق. باب ما جاء في المهاجرة (٩٠٨/٢) ح (١٦) قال الشيخ الألباني: حديث حسن (٥٧٧/١).

(٤) تاج العروس (١٩٧/١).

(٥) الصحاح (١٠٦/١) ولسان العرب (٢٩٠/١).

(٦) زيد بن حارثة بن شُرْحَبِيلِ أَوْ (شراحيل) بن كعب بن عبدالعزيز بن امرئ القيس، الأمير الشهيد النبوي المسمى في سورة الأحزاب، سيد الموالى وأسبغهم إلى الإسلام، استشهد في غزوة مؤتة سنة ٨هـ. النبلاء (٢٢٠/١).

(٧) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الحدود. باب النهي عن الشفاعة في الحدود (١٨٦/١١).

(٨) رواه أحمد في المسند (١٣٠/٦) إسناده حسن.

(٩) لسان العرب (٢٩٠/١).

وقال الليث: (الْحَبَّةُ وَالْحَبُّ بِمَنْزِلَةِ الْحَبِيبَةِ وَالْحَبِيبِ)^(١) وحكى ابن الأعرابي: (أَنَا حَبِيبُكُمْ)^(٢).

يُقَالُ أَحَبَّهُ فَهُوَ مُحَبَّبٌ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ^(٣): (وَحَبَّهُ يَحْبُهُ بِالْكَسْرِ فَهُوَ مَحْبُوبٌ). قَالَ الشَّاعِرُ^(٤):

أَحَبُّ أَبَا مِرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الرِّفْقَ بِالْمِرَّةِ أَزْفَقُ
وَاللَّهُ لَوْلَا تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ
وَلَا كَانَ أَدَى مِنْ عُبَيْدٍ وَمُشْرِقِ

وفي حديث أنس^(٥) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طلع له أحد فقال: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ...»^(٦) قال ابن الأثير^(٧): (هذا محمول على المجاز، أراد جبل يُحِبُّنَا. أهله، وَنُحِبُّ أَهْلَهُ وَهُمْ الْأَنْصَارُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ الصَّرِيحِ، أَيِ إِنَّا نُحِبُّ الْجَبَلَ بَعَيْنِهِ لِأَنَّهُ فِي أَرْضِ

(١) تهذيب اللغة (٩/٤) والصحاح (١٥٠/١) ولسان العرب (٢٩٠/١).

(٢) لسان العرب (٢٩٠/١).

(٣) إسماعيل بن حماد الإمام أبو نصر الفارابي الجوهري، أصله من فاراب من بلاد الترك، وكان إماماً في اللغة والأدب، صاحب «الصحاح»، ت ٣٩٦هـ. بغية الوعاة (٤٤٦/١)، وأبجد العلوم (٨/٣).

(٤) هو عيلان بن شجاع النهشلي راجع لسان العرب (٢٨٩/١).

(٥) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي أمه أم سليم بنت ملحان خادم رسول الله ﷺ، خدمه عشر سنين ت ٩٢هـ وقد جاوز المائة. تقريب التهذيب ص ١١٥، والمعارف ص ٣٠٨.

(٦) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب ١٦ (٣٧٢/١٣) ح (٧٣٣٣).

(٧) المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد، أبو السعادات، مجد الدين المعروف بابن الأثير الجزري الشيباني، ولد سنة ٥٤٤هـ، كان علامة بالنحو والأدب، أشهر كتبه «النهاية في غريب الحديث» و«البديع» في النحو ت ٦٠٦هـ. بغية الوعاة (٢٧٤/٢)، والمعجم المفصل (٤٧/٢).

من نُحِبُّ^(١).

والْحُبَابُ، بالضم: الحُبُّ^(٢). وَحُبَّتْكَ: ما أُحِبِّتَ أَنْ تُعْطَاهُ أَوْ يَكُونَ لَكَ. وَحُبَّ بَفْلَانٍ: أَي مَا أَحَبَّهُ^(٣).

قال ابن منظور^(٤): (وَإِنَّهُ لَمِنْ حُبِّهِ نَفْسِي أَي مِمَّنْ أُحِبُّ. وَحُبَّتْكَ: مَا أُحِبِّتَ أَنْ تُعْطَاهُ، أَوْ يَكُونَ لَكَ. وَاخْتَرْتُ حُبَّتْكَ وَمَحَبَّتْكَ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ أَي الَّذِي تُحِبُّهُ)^(٥).

وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُبُّ الْأَنْصَارِ الثَّمَرُ»^(٦)، ويروي بضم الحاء، وهو الاسم من المَحَبَّةِ.

وأَحَبُّهُ فَهُوَ مُحَبٌّ، وَهُوَ مَحْبُوبٌ، عَلَى غَيْرِ قِيَاسِ هَذَا الْأَكْثَرِ، وَقَدْ قِيلَ مُحَبٌّ، عَلَى الْقِيَاسِ وَاسْتَحَبَّهُ كَأَحَبَّهُ، وَالِاسْتِحْبَابُ كَالِاسْتِحْسَانِ^(٧).

والتَّحَبُّبُ: إِظْهَارُ الْحُبِّ. وَحِبَّانٌ وَحَبَّانٌ: اسْمَانِ مَوْضِعَانِ مِنَ الْحُبِّ^(٨).

والمَحَبَّةُ والمَحْبُوبَةُ^(٩) جميعاً: من أسماء مَدِينَةِ النَّبِيِّ ﷺ، حَكَاهُمَا كُرَاع^(١٠)، لِحُبِّ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِيَّاهَا.

(١) النهاية (٣٢٧/١).

(٢) الصحاح (١٠٦/١)، ولسان العرب (٢٩٠/١).

(٣) ترتيب القاموس المحيط (٥٦٩/١).

(٤) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي، صاحب «لسان العرب» الإمام اللغوي الحجة ولد بمصر سنة ٦٣٠هـ وله كتب عديدة منها «مختار الأغاني» ت ٧١١هـ. الأعلام (١٨٠/٧).

(٥) لسان العرب (٢٨٩/١).

(٦) رواه أبو داود في السنن: كتاب الأدب. باب في متغير الأسماء (٦٣٧/٢) قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

(٧) لسان العرب (٢٩٢/١)، والمصباح المنير (١٦٠/١).

(٨) تهذيب اللغة (٩/٤)، وترتيب القاموس المحيط (٥٦٩/١).

(٩) لسان العرب (٢٩٢/١)، وترتيب القاموس المحيط (٥٦٩/١).

(١٠) علي بن الحسن الهنادي الأزدي، أبو الحسن عالم بالعربية، مصري لقب «كراع النمل» =

وحببه إليّ جعلني أحبّه، وحَبَّبَ اللهُ إليه الإيمانَ وحببه إليّ إحسانه
وحبب إليّ سكنى مكة وحبب إليّ بأن تزورني^(١).

والحَبِيبُ: المُحِبُّ^(٢). والمَحْبُوبُ^(٣).

وحَبَابِكَ أن يكون ذلك، معناه غايَةُ مَحَبَّتِكَ^(٤)، أو مَبْلَغُ جُهْدِكَ^(٥).

وحكى سيبويه^(٦): (حَبِيبُتهُ وأَحَبِيبُتهُ بمعنى)^(٧) ففعلها حَبَّه وأَحَبَّه ثم
اقتصروا على اسم الفاعل من «أحب» فقالوا «مُحِبٌّ» ولم يقولوا «حَابٌّ»،
واقتصروا على اسم المفعول من «حب» فقالوا «محبوبٌ» ولم يقولوا «مُحَبٌّ»
إلا قليلاً^(٨).

ويُقَالُ في فعله: أَحَبَبْتُ فلاناً بمعنى أصبْتُ حَبَّةً قلبه، نحو شَغَفْتَهُ
وكَبَدْتَهُ وفَادَتَهُ، وأَحَبَبْتُ فلاناً جعلت قلبي مُعَرَّضاً لأن يُحِبَّه لكن وضع في
التعارف محبوب موضع مُحَبِّ واستعمل حَبِيبٌ أيضاً في معنى أَحَبَبْتُ، ولم
يقولوا مُحَبِّ إلا قليلاً^(٩).

والأَحَبُّ اسم تفضيل. وهذا أَحَبُّ إليّ من ذاك أي أوثرُهُ عليه.

= لقصره، أو لدمايته، له كتب منها «المنضد» في اللغة و«المنتخب المجرد» وغيره، ت
بعد ٣٠٩هـ. الأعلام (٢٧٢/٤)، وبغية الوعاة (١٥٨/٢).

(١) تاج العروس (١٩٧/١).

(٢) ترتيب القاموس المحيط (٥٦٨/١)، والمعجم الوسيط (١٥١/٢).

(٣) المعجم الوسيط (١٥١/١).

(٤) تهذيب اللغة (٩/٤).

(٥) ترتيب القاموس المحيط (٥٦٩/١).

(٦) هو عمرو بن عثمان بن قنبر أبو البشر، لُقِّبَ سيبويه، ومعناه أصل التفاح، كان إمام
النحاة ولد سنة ١٤٨هـ. وأصله من فارس صنف «الكتاب» وهو أشهر كتاب نحوي، ت
١٨٠هـ وعمره اثنتان وثلاثون سنة. بغية الوعاة (٢٢٩/٢)، والمعجم المفصل
(٥١٠/١).

(٧) لسان العرب (٢٨٩/١).

(٨) مدارج السالكين (١١/٣).

(٩) بصائر ذوي التمييز (٤١٧/٢).

والتحُبُّ مصدر تحبَّب وأول الرِّيِّ^(١).

والحُبُّ الخاوية فارسيٌّ معرَّبٌ والجمع حِبَابٌ وحَبِيبَةٌ^(٢).

قال الأصفهاني^(٣): (الحب هو انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب

فيه)^(٤).

والحب اصطلاحاً:

وقال الكفوي^(٥): (الحُبُّ هو عبارة عن ميل الطبع في الشيء المملدِّ،

فإن تأكد الميل وقوي يسمى عشقاً)^(٦).

قال الجليند: (فالحب ارتياح قلبي يظهر أثره على الجوارح في اتباع

أوامر المحبوب وإتيانها، واجتناب نواهيهِ ورفضها، فتكون المحبة مُعبِرة عن

أوامر المحبوب ونواهيهِ، بحيث تتحد رغبة المُحب مع رغبة المحبوب)^(٧).

ولقد عبر الرسول الله ﷺ عن هذا المعنى في الحديث الذي يرويه

عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما^(٨) قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) محيط المحيط ص ١٤٢.

(٢) مختار الصحاح (١/١٠٥)، والمصباح المنير (١/١٦١)، ومحيط المحيط ص ١٤١.

(٣) المفضل بن محمد الأصفهاني أبو القاسم الراغب، كان عالماً بأفانين البلاغة واللغة وعلوم القرآن، من أشهر كتبه «مفردات القرآن» و«المحاضرات» وغيره وهو من أئمة السنة توفي سنة نيف وخمسمائة. بغية الوعاة (٢/٢٩٧)، وطبقات المفسرين - د - (٢/٣٢٩)، وكشف الظنون (١/٣٦).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ص ١٣٦.

(٥) أيوب بن موسى الحسيني القريني الكوفي أبو البقاء ولد سنة ١٠٩٤م في كفا بالقرم (تركيا)، صاحب كتاب «الكليات»، وتوفي سنة ١٦٨٣م وهو قاض بالقدس. معجم المؤلفين (٣/٣١)، والأعلام (٢/٣٨).

(٦) الكليات ص ٣٩٨.

(٧) من قضايا التصوف في الكتاب والسنة ص ٥٨.

(٨) عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد، ابن سعد بن السهمي، أبو محمد، أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادة الفقهاء مات في ذي الحجة ليالي الحرة بالطائف. تقريب التهذيب ص ٣١٥.

«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»^(١).

والحب عند الفلاسفة: ميل إلى الأشخاص أو الأشياء العزيزة أو الجذابة أو النافعة^(٢).

وقيل: (هو الميل إلى الشيء السار، والغرض منه إرضاء الحاجات المادية أو الروحية، وهو مترتب على تخيل كمال في الشيء السار أو النافع يفضي إلى انجذاب الإرادة إليه، كمحبة الوالد لولده، والصديق لصديقه، والعاشق لمعشوقه، والمواطن لوطنه، والعامل لمهنته)^(٣).

فأما المحبة: فقيل، أصلها الصفاء: لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حيب الأسنان.

وقيل: مأخوذة من الحباب وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد، فعلى هذا فالمحبة: غليان القلب وثورانه عند الاهتياج إلى لقاء المحبوب.

وقيل: مشتقة من اللزوم والثبات، ومنه أحب البعير: إذا برك فلم يقيم.

قال الشاعر^(٤):

حُلْتُ عَلَيْهِ بِالْفَلَاةِ ضَيْرِيًّا
ضَرَبَ بَعِيرَ السُّوءِ إِذَا أَحَبَّ

فكأنَّ المحبَّ قد لزم قلبه محبوبه فلم يَرْم عنه انتقالاً.

وقيل: بل هي مأخوذة من القلق والاضطراب، ومنه سُمِّي القُرْطُ حِبًّا لِغَلْقِهِ فِي الْأُذُنِ واضطرابه.

قيل: بل هي مأخوذة من الحَبِّ جمع حَبَّة، وهو لُبَّاب الشيء،

(١) جامع العلوم والحكم ص ٤٦٩ بإسناد حسن صحيح.

(٢) المعجم الوسيط (١/١٥١).

(٣) المعجم الفلسفي (١/٤٣٩).

(٤) هو محمد بن عبد الملك الفقعسي راجع لسان العرب (١/٢٩٢).

وخالصه وأصله، فإن الحَبَّ أصلُ النبات والشجر.

وقيل: بل هي مأخوذة من الحَبِّ الذي هو إناءٌ واسعٌ يُوضع فيه الشيء فيمتلىء به، بحيث لا يتسع غيره، وكذلك قلبُ المحبِّ ليس فيه سعةٌ لغير محبوبه.

وقيل: مأخوذ من الحَبِّ وهو الخشبات الأربع التي يستقر عليها ما يوضع عليها من جَرَّةٍ أو غيرها فسُمِّي الحَبُّ بذلك؛ لأن المحبَّ يتحمَّل لأجل محبوبه الأثقال، كما تتحمل الخشبات ثقل ما يوضع عليها.

وقيل: بل هي مأخوذة من حَبَّة القلب وهي سُويْدَاؤُه، ويُقال: ثمرته، فسميت المحبة بذلك لوصولها إلى حَبَّة القلب، وذلك قريبٌ من قولهم: ظَهَرَ: إذا أصاب رأسه، وبَطَنَ: إذا أصاب بَطْنَه، ولكن في هذه الأفعال وصل أثر الفاعل إلى المفعول، وأما في المحبة فالأثر إنما وصل إلى المُحِبِّ وَبَعْدَ^(١).

ولا ريب أن هذه الأقوال من لوازم المحبة، فإنها صفاء المودة، وهيجان إرادات القلب للمحبوب وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد. وثبوت إرادة القلب للمحبوب، ولزومها لزوماً لا تفارقه، وإعطاء المحب محبوبه لُبَّهُ، وأشرف ما عنده، وهو قلبه، والاجتماع عزماته وإرادته وهمومه على محبوبه.

ووضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة «الحاء» التي هي من أقصى الحلق، و«الباء» الشفوية التي هي نهايته فللحاء البداية، وللباء الانتهاء، وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فإن ابتداءها منه وانتهاءها إليه.

وأعطوا «الحَبَّ» حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها، مطابقة لشدة حركة مسماها وقوتها.

وأعطوا «الحِبَّ» وهو المحبوب: حركة الكسر لخفتها عن الضمة، وخفة المحبوب، وخفة ذكره على قلوبهم وألسنتهم: من إعطائه حكم

(١) روضة المحيين ص ٤٦.

نظائره، كِنُهْب بمعنى منهوب، وذِنْح بمعنى مذبوح، وَجَمَل للمحمول بخلاف الحَمْل الذي هو مصدر لخفته، ثم ألحقوا به حملاً لا يشق على حامله حملة، كحمل الشجرة والولد.

فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الألفاظ والمعاني، تطلعك على قدر هذه اللغة، وأن لها شأناً ليس لسائر اللغات^(١).

قال ابن عاشور^(٢): (والمحبة انفعال نفساني ينشأ عن الشعور بحسن شيء من صفات ذاتية، أو إحسان، أو اعتقاد أنه يُحب المستحسن ويَجْر إليه الخير، فإذا حصل ذلك الانفعال عَقِبَهُ ميل وانجذاب إلى الشيء المشعور بمحاسنه محبوباً، وتعد الصفات التي أوجبت هذا الانفعال جمالاً عند المحب، فإذا قوي هذا الانفعال صار تهيجاً نفسانياً، فسمي عشقاً للذوات، وافتتانا بغيرها.

والشعور بالحسن الموجب للمحبة يُستمد من الحواس إدراك المحاسن الذاتية المعروفة بالجمال، ويُستمد أيضاً من التفكر في الكمالات المستل عليها بالعقل وهي المدعوة بالفضيلة. ولذلك يحب المؤمنون الله تعالى، ويحبون النبي ﷺ تعظيماً للكمالات، واعتقاداً بأنهما يدعوانهم إلى الخير، ويحب الناس أهل الفضل الأولين كالأنبياء والحكماء والفاضلين ويحبون سعاة الخير من الحاضرين وهم لم يلقوهم ولا رَأَوْهم^(٣).

قال الأصفهاني: (والمحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيراً)^(٤).

وقال بعضهم: (المحبة مواطأة القلب على ما يرضى الرب سبحانه فيحب ما يحب ويكره ما كره)^(٥).

(١) مدارج السالكين (١١/٣)، وبصائر ذوي التمييز (٤١٦/٢).

(٢) محمد بن الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبدالقادر بن محمد بن عاشور، نقيب أشرف تونس وكبير علمائها ولي القضاء ثم الفتيا فنقابة الأشراف، له كتب عديدة منها «القلب الجريح» و«هدية الأديب» توفي بتونس سنة ١٩٦٨م. الأعلام (١٧٣/٦).

(٣) التحرير والتنوير (٢٢٥/٣).

(٤) مفردات وألغاز القرآن ص ٢١٤.

(٥) صحيح مسلم (١٤/٢).

المبحث الثاني معاني الحب في القرآن الكريم

وردت كلمة حب في القرآن الكريم على أربعة أوجه وهي الإيثار
والمودة والقلّة والنفع.

فوجه منها: الحب بمعنى الاستحباب والإيثار:

قال تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ
بِالْحِجَابِ ﴿٣٣﴾﴾^(١) يعني آثرت.

كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ
إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ
كَانَ بِهِمْ حِصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾^(٢)
يعني يؤثرون من هاجر إليهم.

كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾^(٣) أي يؤثرون
ويختارون.

(١) سورة ص، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣.

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ
إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيَكَ مِنْهُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (١) أي آثروا عليه.

وكذا في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نُمُودٌ فَبَدَّلْنَاهُمْ فَأَسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذْتَهُمُ
صَلْبَةً الْعَذَابِ أَلَمْ يَكُونُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ (٣).

الثاني: الحب بمعنى المودة:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوِّمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَفُ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا
يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ (٤)
وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ (٥).

الثالث: الحب بمعنى القلة:

قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُدُودِ مِسْكِينًا وَبَيْنًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ (٦) على
الرغم من قلة المال.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَعَآءَىٰ

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٧.

(٣) سورة فصلت، الآية: ١٧.

(٤) سورة المائدة، بعض آية: ٥٤.

(٥) سورة آل عمران، بعض آية: ٣١.

(٦) سورة الإنسان، بعض آية: ٨.

أَمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ
 وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
 وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَيْعَاتِ وَالصَّرَفَ وَجِئْنَا نَبَسًا لِّأُولِيئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ (١) أي على الرغم من قلة المال (٢).

وزاد الأصفهاني معنى آخر وهو:

الرابع: الحب بمعنى النفع:

قال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣) (٣)
 أي محبة شيء ينتفع به (٤).



(١) سورة البقرة، بعض آية: ١٧٧.

(٢) إصلاح الوجوه والنظائر، ص ١١٤.

(٣) سورة الصف، بعض آية: ١٣.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ص ٢١٤.

المبحث الثالث: الألفاظ المترادفة (للحب)

امتازت اللغة العربية عن سائر اللغات بالفصاحة والبيان والبلاغة، كما انفرد أربابها بالتبسيط والتفنن، فنجد اللفظ الواحد له عدة كلمات مترادفة في المعنى، فأى كلمة يقولها القائل تحمل نفس المعنى لهذا اللفظ، وقد وردت ألفاظٌ عديدة مترادفة لكلمة الحب.

وهي الوَدِّ، والمِمْقَة، والمعزّة، والصدّاقة، والموالاة، والخُلّة، والصّفاء، والإخاء، والخِذَن.

قال اليازجي^(١): (فيقال: أَحَبَبْتُ فلاناً، ووَدِدْتُهُ، ووَمِمْقْتُهُ، وأَعَزَّزْتُهُ، وصَادَقْتُهُ، ووَالَيْتُهُ، وخَالَلتُهُ، وآخَيْتُهُ، وصَافَيْتُهُ، وخَالَصْتُهُ، وخَادَنَهُ فَهُوَ خَدِيئُهُ^(٢)، وقد صَادَقْتُهُ الوُدَّ، وخَالَصْتُهُ الوُدَّ، وما حَضَّته^(٣) الوُدَّ، وأَصْفَيْتُهُ مَوَدَّتِي، وَمَحَضَّته مَوَدَّتِي، وَأَمَحَضَّته مَوَدَّتِي، وَأَخْلَصْت له وَلائِي، وَصَدَقْتُهُ إِخَائِي، وَخَصَّصْتَهُ بِمَوَدَّتِي، وَاخْتَصَّصْتَهُ بِمَقْتِي^(٤)، وإن له موضعاً من

(١) إبراهيم بن ناصيف بن عبدالله اليازجي، ولد سنة ١٢٦٣هـ وهو من أهل حمص، عالم بالأدب واللغة. له معجم سماه «الفرائد الحسان من قلائد اللسان». توفي سنة ١٣٢٤هـ بالقاهرة. الأعلام (٧٦/١ - ٧٧)، والمعجم المفصل (٣٢/١).

(٢) الخدين والخِذَن: الصديق - الألفاظ الكتابية ص ١٢٦.

(٣) بمعنى خالصته.

(٤) محبتي وهو مصدر ومق.

نفسِي، وله مكاناً من قلبي، وقد أُشْرِيتُ مَحَبَّتَهُ، وَصَغَوْتُ^(١) إِلَيْهِ بُوْدِي،
وَأَثَرْتُهُ بِإِعْزَازِي، وَإِنِّي لِأَحِبُّهُ حُبًّا صَرْدًا أَي خَالِصًا، وله عِنْدِي وَدٌّ مُصَفَّقٌ^(٢)
أَي صَافٍ، وله عِنْدِي ذِمَّةٌ لَا تُصَاغُ، وَعَهْدٌ لَا يُحَقَّرُ^(٣)، وَمَوْتِقٌ لَا يُنْقَضُ.

وهو حَبِيبِي، وَصَدِيقِي، وَعَزِيزِي، وَخَلِيلِي، وَأَثِيرِي، وَصَفِيَّتِي،
وَأَخِي، وَوَلِيِّتِي، وَحَمِيمِي، وَخُلَاصِي، وَخَالِصَتِي، وَخُلَاصَانِي، وَسَكْنِي^(٤)،
وهو قُرَّةُ عَيْنِي، وَمُنِيَّةُ نَفْسِي، وَمَحَلُّ أُنْسِي، وهو صَفِيَّتِي مِنْ بَيْنِ أَخْوَانِي،
وهو مِنْ خَاصَّةِ خُلَاتِنِي، وهو أَحْصَى إِخْوَانِي، وَأَقْرَبُهُمْ مَوَدَّةً إِلَى قَلْبِي،
وَالْقَوْمِ خُلَاصَائِي وَخُلَاصَانِي، وَهُمْ أَهْلُ مَوَدَّتِي، وَأَهْلُ وَلائِي، وَإِنَّهُمْ لِإِخْوَانُ
صِدْقٍ، وَإِخْوَانُ وَفَاءٍ، وَإِنَّهُمْ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَمَنْ أَعَزَّهُمْ عَلَيَّ،
وَأَكْرَمَهُمْ عَلَيَّ.

وتقول: قد تَصَادَقَ الرَّجُلَانِ وَتَسَاهَمَا^(٥) الْوَفَاءُ، وَتَقَاسَمَا الصِّفَاءُ،
وَهُمَا مُتَصَافِيَانِ عَلَى الْمَحْبُوبِ وَالْمَكْرُوهِ، وَقَدْ تَقَلَّبْتُ مَعَ فُلَانٍ فِي الشَّدَّةِ
وَالخَفْضِ^(٦)، وَشَاطَرْتُهُ صَرْعِي الرَّخَاءِ وَالْجَهْدِ، وَهُوَ الصِّدِيقُ لَا يُدْمُ عَهْدُهُ،
وَلَا يَتَّهَمُ وَدَّهُ، وَلَا يَهْنُ عَقْدُهُ، وَلَا يُخْشَى عَدْرُهُ.

وَيَبْنِي وَبَيْنَ فُلَانٍ مَوْتِقٌ، وَمِيثَاقٌ، وَعَهْدٌ، وَذِمَّةٌ، وَذِمَامٌ، وَوَلَاءٌ، وَبَيْنِي
وَبَيْنَهُ حَبْلٌ مُحَصَّفٌ^(٧)، وَقَدْ رَسَخْتُ بَيْنَنَا قَوَاعِدَ الْمَوَدَّةِ، وَتَوَثَّقْتُ عُرَى
الْمُصَافَاةِ، وَاسْتَحَصَفْتُ أَسْبَابَ الْوَلَاءِ^(٨)، وَاسْتَحَصَدْتُ مَرَاثِرَ الْحُبِّ^(٩)،

(١) ملت وانعطفت.

(٢) من تصفيق الشراب وهو تصفيته.

(٣) ينقص.

(٤) الذي أسكن إليه.

(٥) تقاسما.

(٦) الدعة.

(٧) أي عهد محكم.

(٨) استحصفت واستحكمت والأسباب بمعنى الجبال.

(٩) المراثير جمع مريرة وهي الحبل المحكم واستحصد الحبل استحكم فثله.

وأَمِرًا^(١) حَبْلَ الإِخَاءِ، وَتَأَكَّدْتَ عُقْدَةَ الإِخْلَاصِ.

وتقول: فلان مُتَحَبِّبٌ إِلَى النَّاسِ، وَمُتَوَدِّدٌ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ أُوتِيَ مَحَابِّ الْقُلُوبِ، وَاجْتَمَعَتِ الْقُلُوبُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، وَاتَّفَقَتِ عَلَى وِلَايَتِهِ. وَإِنْ فَلَانًا لِيُحِبُّهُ إِلَيَّ كَرَمَ شِمَائِلِهِ، وَأَحِبِّبْ إِلَيَّ بِهِ، وَحَبِّدَا هُوَ مِنْ رَجُلٍ.

وتقول: حَظَبْتُ وَدَّ فَلَانَ إِذَا سَأَلْتَهُ الْمُصَافَقَةَ^(٢) عَلَى الْوِدَادِ، وَأَرَى لَكَ صُورَةَ إِلَى فَلَانَ أَيَّ قَيْلِهِ إِلَيْهِ بِالْوَدِّ^(٣).



(١) أَحْكَم.

(٢) مَفَاعَلَةٌ مِنَ الصَّفْقِ بِالْيَدِ.

(٣) نَجْعَةُ الرَّائِدِ وَشُرْعَةُ الْوَارِدِ (١/٢٣٥ - ٢٣٧).

المبحث الرابع: علاقة الحب بالنفس البشرية

الحب هو انفعال أساسي في حياة الإنسان بجميع جوانبها، وناحية عميقة داخل نفس الإنسان من الصعب الوصول إلى جزئياتها، وانفعال الحب فطري، ولكنه يحتاج إلى ضبط وتنظيم وتوجيه حتى لا تنحرف هذه الفطرة عن طريقها وتصبح عاطفة غامضة ليس لها أثر تربوي في النفس.

ويظهر على صاحب انفعال الحب أنواع خاصة من السلوك المناسب الذي يتوقف على استعداد في درجة تأثره بالانفعال أو التغيرات التي تحدث في جهازه العصبي والغدي والعضلي^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢): (إن أصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة فهو أصل كل فعل ومبدؤه: فأما وجود الفعل فلا يكون إلا عن محبة وإرادة، حتى دفعه للأمور التي يكرهها ويبغضها هو لما في

(١) النفس المطمئنة مجلة الطب النفسي الإسلامي. العدد ٤٤ ص ٣١.

(٢) أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر النميري الدمشقي الحنبلي، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية، الإمام شيخ الإسلام، ولد بحران سنة ٦٦١هـ تجول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، ولعل تواليفه تبلغ ثلاثمائة مجلدة، منها «الجوامع» و«الفتاوى» و«السياسة الشرعية» توفي معتقلاً في دمشق سنة ٧٢٨هـ. فوات الوفيات (٤٧/١)، والأعلام (١٤٤/١)، والبدر الطالع (٦٣/١).

ذلك من المحبوب أو اللذة يجدها بالدفع^(١).

ويتجلى ذلك واضحاً على أفعال الإنسان اتجاه من يحب وما يحب.

فإذا أحب خالقه حبا عظيماً، كما قال سبحانه عن عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(٢) فنجدته ملتزماً بأداء الواجبات التي افترضها الله عليه، مبتعداً عن المحرمات التي نهى الله عنها، ويتقرب إلى الله بأداء النوافل حتى يلحق بزمرة الأولياء الصالحين.

وإذا أحب شخصاً تأثر واقتدى به، وتتبع أثره فيما يفعل ويجتنب، فهكذا كان عبدالله بن عمر عندما اقتدى بالرسول ﷺ وغيره من الصحابة كثير.

وإذا أحب والديه برّهم ووصلهم وقام بشئونهم عند كبرهم.

وإذا أحب زوجته أحسن من معاشرته لها، وصانها وتفنن في إسعادها. وإذا أحب أبناءه حرص عليهم وأحسن من تربيتهم وتنشئتهم وأفنى حياته لهم. وإذا أحب عمله الذي يعمل به في نهاره، أخلص فيه وأبدع وتفنن من أدائه وعمل على تطويره.

وإذا أحب طعاماً تُلذذ في أكله، وحرص على أن يكون في المائدة لتناوله.

وإذا أحب وسيلة نقل معينة، حرص على اقتنائها بحسن تصرفه في المال حتى يحصل عليها.

وإذا أحب مذهباً اتبعه ودرسه ونشره بين الآخرين وذاد عنه عندما يتعرض له.

وإذا أحب وطنه ساهم في بنائه وتعميره، ودافع عنه وقت المحن والأزمات.

(١) قاعدة في المحبة ص ٧ - ٨.

(٢) سورة البقرة، بعض آية: ١٦٥.

قال ابن القيم^(١) رحمه الله: (كل الأمور تسير بالمحبة، فأنت مثلاً لا تتحرك لشيء إلا وأنت تحبه، حتى اللقمة من الطعام، لا تأكلها إلا لمحبتك لها.

ولهذا قيل: إن جميع الحركات مبناها على المحبة، فالمحبة أساس العمل^(٢).

علاقة الحب بالانفعال:

فإذن العاطفة الرئيسية التي تنظم انفعالاتنا وتسيطر عليها: الحب.

ونعلم أن فكرة الحب قد تدور حول ذوات كالنفس أو الأم أو الأب أو الصديق أو المعلم، وقد تدور حول صفات مجردة كالجمال والخير والحق والعدالة والسلام.

وهنا نجد الانفعالات كلها متناغمة مع الفكرة المركزية في كل حال، فهي إما خوفٌ أو غضبٌ أو فرحٌ أو حزن. فإذا تعرّض الشيء المحبوب لخطرٍ ما استولى علينا الخوف وإذا هوجم استبد بنا الغضب، ثم إننا نبتهج لرؤيته إذا حضر، ونبتس لفقده إذا غاب^(٣).

فنجد المحرك الأساسي للإنسان في انفعالاته ومشاعره وأعماله وهواياته هو الحب فيتحرك الإنسان منذ الصباح الباكر إلى المساء وفق ما يحب وما يجد فيه لذة ومنتعة وأنس من فعله. ولكن قد يعترض البعض فيقول: ليس كل فعل يقدم عليه الإنسان يحبه، وإنما قد يفعل الأمر وهو كاره له، وكذلك قد يصل الكره إلى المشاعر والأحاسيس.

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبدالله شمس الدين، من أركان الإصلاح الإسلامي، ولد في دمشق ٦٩٢هـ، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وألف تصانيف كثيرة منها «أعلام الموقعين» و«زاد المعاد» وغيرها كثير مات سنة ٧٥١هـ. الأعلام (٥٦/٦)، ومعجم المؤلفين (١٦٤/٣).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١٥٠/١).

(٣) علم النفس الحديث ص ١١٣ بتصرف.

يوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: (والمحبة والإرادة تكون إما بواسطة وإما بغير واسطة، مثل فعله للأشياء التي يكرهها، كشرب الدواء والمكروه وفعل الأشياء المخالفة لهواه وصبره، فإن هذه الأمور، وإن كانت مكروهة من بعض الوجوه، فإنما يفعل أيضاً لمحبة وإرادة، وإن لم تكن المحبة لنفسها، بل المحبة لملازمها، فإنه يحب العافية والصحة المستلزمة لإرادة شرب الدواء، ويحب رحمة الله ونجاته من عذابه المستلزم لإرادة ترك ما يهواه، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (١)، فلا يترك الحي ما يحبه ويهواه، لكن يترك أضعفهما محبة لأقواهما محبة، كما يفعل ما يكرهه لما محبته أقوى من كراهة ذلك، وكما يترك ما يحبه لما كراهته أقوى من محبة ذلك) (٢).

فإذن فعل الإنسان لبعض الأمور وهو كاره لها، لما يترتب عليها من منفعة آجلة، وهذه هي المحبة بواسطة، فحبه للصحة والعافية يضطره إلى الصبر على شرب الدواء المر، وحبه للمال يضطره إلى أن يعمل في عمل وهو غير راغب فيه، وحبه لابنه يضطره إلى تحمل عيوبه التي فيه والعاهة التي يُعاني منها، فهذه أمور - المرض، العيوب، عمل غير مناسب - لا تميل إليها النفس البشرية ولكن تفعله وترضى به لما يترتب على محبة ومنفعة آجلة.

حب النفس للخير ومكارم الأخلاق:

قال الجليلند: (وقد فطر الله عز وجل النفس الإنسانية على محبة الخير النافع وكراهية الشر الضار، فلذا نجد نفس الإنسان معلقة بمحبة الفضائل وفعل الخيرات وذلك بمقتضى فطرتها الصحيحة، فهي تحب مكارم الأخلاق وإن فاتها أن تتخلق بها، وتحب العلم والمعرفة وإن فاتها حظها من ذلك، وقد يبادر المرء بفعل الفضائل وتتعلق بها نفسه، لا يتقرب بها إلى أحد من الخلق، ولا يطلب بها مدح أحد، فهو يفعلها لا رغبة في مدح، ولا رهبة

(١) سورة النازعات، الآية: ٤٠.

(٢) قاعدة في المحبة ص ٨.

من ذم، ولكن لتعلق نفسه بها وصيرورة ذلك سجية وطبعاً ملازماً له، وهذه الأمور إذا وقعت من صاحبها على هذه الكيفية فإنه بذلك يحقق لنفسه نفعاً ويدفع عنها ضرراً، وهذا أمر يحسه الفاعل في نفسه ومن نفسه، ولا يحسه أحد غيره، كما يلتذ الآكل الشارب بنوع طعامه وشرابه، فإن إحساسه بذلك لا يجده أحد غيره، وذلك لموافقة أفعاله مقتضى فطرته السليمة، فلما وقعت أفعاله موافقة لما فطرت عليه نفسه من حب لمكارم الأخلاق وكره للأمور المرذولة طابت نفسه فأحست بنوع من اللذة التي لا يحسها غيره^(١).

حب النفس لما يضرها:

قد تلجأ النفس البشرية إلى حُب ما يضرها ولا ينفعها مثل حب المال الحرام، وحب الكبر والإسراف، وحب الظلم والفساد... الخ، وذلك لأمرين:

الأول: الجهل بحالها به، فإن جهل النفس لما يضرها، قد يؤدي بها إلى ممارستها ومن ثم إلى حبه دون علم منها، فتقع في محبة الضار لها، وتتبع هواها، وهذا حال من اتبع هواه بغير علم.

الثاني: ظلم منها لها، فقد تقسو النفس على حالها وتشد عليها، وذلك عن طريق حب ما يضر بها دون ما ينفعها^(٢).

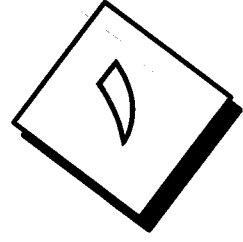
علاقة الحب باللذة والألم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن المعلوم أن كل محبة وبغضة فإنه يتبعها لذة وألم، ففي نيل المحبوب لذة، وفراقه يكون فيه ألم، وفي نيل المكروه ألم وفي العافية منه تكون فيه لذة. فاللذة تكون بعد إدراك المشتبه، والمحبة تدعو إلى إدراكه)^(٣).

(١) من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) الجواب الكافي ص ٢٠٤ بتصرف.

(٣) قاعدة في المحبة ص ٨.



الباب الأول الحب والمحبة الإلهية

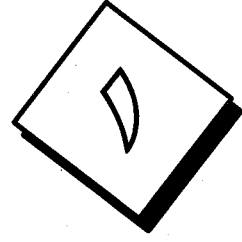
وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: محبة الله تعالى والأقوال فيها.

الفصل الثاني: الذين يُحِبُّهم الله عزَّ وجلَّ.

الفصل الثالث: الذين لا يُحِبُّهم الله عزَّ وجلَّ.





الفصل الأول

محبة الله تعالى والأقوال فيها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: صفة المحبة لله عزّ وجلّ.

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ثبوت صفة المحبة لله عزّ وجلّ، وموقف

العلماء منها.

المطلب الثاني: محبة الرب لعبده.

المطلب الثالث: محبة العبد لربه.

المبحث الثاني: مراتب المحبة.

المبحث الثالث: مظاهر المحبة في حياة المسلم (الاتباع للنبي

صلى الله عليه وسلم).

المبحث الرابع: أثر المحبة على الإنسان. والحياة.



المبحث الأول: صفة المحبة لله عزّ وجلّ

تهد

الحمد لله الذي لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى والصفات العلاء، الحمد لله الذي عزّ فرفع، وذل فخفض هو الأول ليس قبله شيء وهو الآخر ليس بعده شيء. لا إله غيره ولا معبود سواه.

أما بعد...

فإن الله سبحانه وتعالى أسماء وصفات، ثابتة في الكتاب والسنة المطهرة، لا ينكرها أحد من المسلمين، فمن هذه الصفات التي ذكرها سبحانه وتعالى صفة المحبة، فوصف نفسه بأنه يحب وصف المؤمنين بأنهم يحبونه.

وصفة المحبة من الصفات الخيرية التي ورد بها السمع في الكتاب والسنة، وكانت محل خلاف بين علماء الكلام من معتزلة وجهمية وأشاعرة فمنهم من نفاها مطلقاً كالمعتزلة والجهمية، ومنهم من أولها بالإرادة والرضى وتيسير الخير وحسن الثواب، والذي عليه سلف الأمة فهم يثبتونها كما وردت في القرآن والسنة بدون تأويل ولا تعطيل.

فتمّ تسليط هذا الفصل على محبة الله والأقوال فيها.

المطلب الأول:

ثبوت صفة المحبة لله عز وجل

ورد في كتاب الله عز وجل وستة نبيه محمد ﷺ، الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تدل على ثبوت صفة المحبة لله عز وجل، وتبين محبة الرب لعبده، ومحبة العبد لربه. وإليك هذه النصوص الشرعية:

أولاً: الآيات الكريمة:

قال تعالى في سورة المائدة: ﴿يَتَّابِعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾^(١).

وبين سبحانه وتعالى كثيراً من الصفات التي يحبها في عباده المؤمنين، فقال عز شأنه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانْتَهُم بَيْنَ مَرْصُومٍ ﴿٤﴾﴾^(٨).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(٩).

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) سورة التوبة، بعض آية: ٤.

(٣) سورة آل عمران، بعض آية: ١٤٨.

(٤) سورة آل عمران، بعض آية: ١٤٦.

(٥) سورة البقرة، بعض آية: ٢٢٢.

(٦) سورة آل عمران، بعض آية: ١٥٩.

(٧) سورة المائدة، بعض آية: ٤٢.

(٨) سورة الصف، الآية: ٤.

(٩) سورة البقرة، بعض آية: ١٦٥.

ثانياً: الأحاديث الشريفة:

عن أبي هريرة^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها. ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»^(٢).

وعن أنس بن مالك أن رجلاً سأل النبي ﷺ: «متى الساعة يا رسول الله؟» قال: «ما أعددت لها؟» قال: «ما أعددت لها من كثير الصلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكنني أحب الله ورسوله». قال: «أنت مع من أحببت»^(٣).

وعن عائشة أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟» فسألوه فقال: «لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها»، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»^(٤).

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب

(١) عبدالرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة: صحابي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له. نشأ يتيماً، أسلم سنة ٧هـ. لزم صحبة النبي ﷺ فروى عنه ٥٣٧٤ حديثاً. ت ٥٩هـ. الأعلام (٣/٣٠٨).

(٢) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الرقائق - باب التواضع (١١/٤١٤) ح (٦٥٠٢) وأحمد في المسند: (٦/٢٥٦).

(٣) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الأدب - باب علامة الحب في الله (١٠/٦٨٣) ح (٦١٧١).

(٤) رواه البخاري في الصحيح: كتاب التوحيد - باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله (١٣/٤٢٥) ح (٧٣٧٥).

المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»^(١).

عن أبي الدرداء^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: كان من دعاء داود يقول: «اللهم إني أسألك حُبك، وحُب من يُحِبك، والعمل الذي يُبلغني حُبك، اللهم اجعل حُبك أحب إلي من نفسي وأهلي، ومن الماء البارد».

قال: وكان رسول الله إذا ذكر داود يُحدث عنه قال: «كان أعبد البشر»^(٣).

وعن عبدالله بن زيد الخطمي الأنصاري^(٤) عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في دُعائه: «اللهم ارزقني حُبك وحُب من ينفعني حُبهُ عندك. اللهم ما رزقتني مما أحبُّ فاجعله قُوَّة لي فيما تُحِبُّ. اللهم وما زويت عني مما أحبُّ فاجعله قُوَّة لي فيما تُحِبُّ»^(٥).



(١) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الإيمان - باب خصال الإيمان (١٣/٢).

(٢) عويمر بن مالك بن عامر وقيل ابن زيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج الأنصاري أبو الدرداء الخزرجي، أسلم يوم بدر وشهد أحداً وأبلى فيها. ت ٣٢٢هـ. تهذيب التهذيب (١٥٦/٨)، والمعارف ص ٢٦٨.

(٣) رواه الترمذي في السنن: كتاب الدعوات - باب ٧٣ (٥٢٢/٥) ح (٣٤٩٠) بإسناد حسن غريب.

(٤) عبدالله بن يزيد بن زيد بن حصين الأنصاري، الخطمي، صحابي صغير، شهد الحديبية، وله سبع عشر سنة، ولي الكوفة لابن الزبير، مات بُعيد السبعين. الكاشف (١٤٣/٢)، وتقريب التهذيب ص ٣٢٩.

(٥) رواه الترمذي في السنن: كتاب الدعوات - باب ٧٤ (٥٢٣/٥) ح (٣٤٩١) بإسناد حسن غريب.

موقف العلماء من إثبات صفة المحبة لله

اختلف العلماء في إثبات صفة المحبة لله ومعناها وما هي أقوالهم:

أولاً: أهل السنة:

أما أهل السنة فقد أثبتوا أن الله تعالى صفات أزلية ونعوتاً أبدية. وبناءاً عليه، فقد أثبتوا صفة المحبة لله تعالى.

قال ابن القيم: (وإثبات محبة العبد لربه ومحبة الرب لعبده. وإن محبة العبد لربه فوق كل محبة تقدر، ولا نسبة لسائر المحاب إليها. وهي حقيقة (لا إله إلا الله).

وكذلك عندهم محبة الرب لأوليائه وأنبيائه ورسله. صفة زائدة على رحمته، وإحسانه وعطائه. فإن ذلك أثر المحبة وموجبها. فإنه لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبره أتم نصيب)^(١).

ثانياً: الجهمية^(٢):

أما الجهمية فقد ذهبوا إلى تأويل آيات الصفات كلها والجنوح إلى التنزيه البحت ونفوا أن يكون لله تعالى صفات غير ذاته^(٣).

وبناءً عليه: فإنهم يزعمون أن الله لا يحب ولا يحب^(٤).

(١) مدارج السالكين (١٩/٣).

(٢) نسبة إلى الجهم بن صفوان وهو من أهل خراسان، أظهر مذهبه في ترمذ، وخلاصة مذهبه: تأويل آيات الصفات، ونفي رؤية الله في الآخرة، وأن يتكلم حقيقة، وأثبت أن القرآن مخلوق، قتله أسلم بن أخور سنة ١٢٨هـ. تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ١٠ - ١٦.

(٣) تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ١٩.

(٤) وكان من أحدث هذا في الإسلام الجعد بن درهم^(١) في أوائل المائة الثانية، فضحى =

(١) الجعد بن درهم، من الموالي، مبتدع له أخبار في الزندقة، سكن الجزيرة الفراتية، قال الذهبي: (مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر) ت ١١٨هـ. الأعلام (١٢٠/٢).

قال ابن القيم: ولم يمكنهم - الجهمية - تكذيب النصوص الواردة في إثبات محبة الرب لعبده، ومحبة العبد لربه. فأولوا نصوص محبة العباد لله، على محبة طاعته وعبادته، والازدياد من الأعمال لينالوا بها الثواب.

وإن أطلقوا عليهم بها لفظ «المحبة» فلما ينالون به من الثواب والأجر، والثواب المنفصل عندهم: هو المحبوب لذاته، والرب تعالى محبوب لغيره حب الوسائل.

وأولوا نصوص محبة الله للعباد إلى ثلاثة أمور:

- أ - بالإحسان إليهم وإعطائهم الثواب.
- ب - بثناء الله عز وجل عليهم ومدحه لهم.
- ج - بإرادة الله لذلك.

فتارة يؤولونها بالمفعول المنفصل كالعطاء والإحسان. وتارة يؤولونها بنفس الإرادة.

فمن جعل محبة الله للعباد بالإحسان إليهم، وإعطائهم الثواب يقولون: الإرادة إن تعلقت بتخصيص العبد بالأحوال والمقامات العلية: سُميت «محبة» وإن تعلقت بالعقوبة والانفعال: سُميت «غضباً» وإن تعلقت بعموم الإحسان والإنعام الخاص: سُميت «براً» وإن تعلقت بإيصاله في خفاء، من

= به خالد بن عبدالله القسري أمير العراق والمشرق بواسطة، خطب الناس يوم الأضحى فقال: أيها الناس، ضحوا يقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً. ثم نزل فذبحه، فكأنه قد أخذ هذا المذهب عنه الجهم بن صفوان فأظهره عليه، وإليه أضيف قول الجهمية، فقتله سلم بن أخور أمير خراسان بها، ثم نقل ذلك المعتزلة أتباع عمرو بن عبيد^(١)، وأظهر قولهم في زمن الخليفة المأمون، حتى امتحن أئمة الإسلام ودعوا إلى الموافقة لهم عن ذلك. طب القلوب ص ٢٢٧.

(١) عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري، شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها، له رسائل وخطب وكتب منها «الرد على القدرية»، ت ١٤٤هـ. الأعلام (٨١/٥).

حيث لا يشعر ولا يحتسب: سُميت «لطفاً» وهي واحدة لها أسماء وأحكام باعتبار متعلقاتها.

ومن جعل محبته للعبد ثناء عليه ومدحه له: ردها إلى صفة الكلام، فهي عنده من صفات الذات، لا من صفات الأفعال، والفعل عنده نفس المفعول. فلم يقيم بذات الرب محبة لعبد، ولا لأنبيائه ورسله البتة.

ومن ردها إلى صفة «الإرادة» جعلها من صفات الذات باعتبار أصل الإرادة، ومن صفات الأفعال باعتبار تعلقها.

ولما رأى هؤلاء أن المحبة إرادة، وإن الإرادة لا تتعلق بالمحدث المقدور، والقديم يستحيل أن يراد أنكرها محبة العباد، والملائكة والرسول والأنبياء له.

وقالوا: لا معنى لها إلا إرادة التقرب إليه، والتعظيم له، وإرادة عبادته^(١).

وسبب إنكار الجهمية حقيقة المحبة من الرب والعبد أنهم زعموا:

١ - أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، توجب للمحب بدرك محبوبه فرحاً ولذة وسروراً، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب محبته وقاسوا به المحبة.

٢ - أن من تنزيه الله تعالى عما لا يليق به، أن لا تعتقد أن الله يحب أحداً، لأن المحبة انفعال نفسي وتغير من حال إلى حال، فذلك من صفات المحدثين، فاتصاف الله بها يؤدي إلى تشبيه الخالق بال مخلوق، فذلك محال، وما يؤدي إلى المحال فهو محال، فوصفه تعالى بأنه يحب محال^(٢).

وقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: (وأما قولهم إنه لا

(١) مدارج السالكين (١٩/٣) بتصرف.

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة ص ٢٧٨.

مناسبة بين المحدث والقديم توجب محبته له وتمتعه بالنظر إليه، فهذا الكلام مجمل، فإن أرادوا بالمناسبة أنه ليس بينهما توالد فهذا حق، وإن أرادوا أنه ليس بينهما من المناسبة ما بين الناحك والمنكوح والآكل والمأكول أو نحو ذلك فهذا أيضاً حق، وإن أرادوا أنه لا مناسبة بينهما توجب أن يكون أحدهما محباً عابداً والآخر معبوداً محبوباً فهذا هو رأس المسألة، فالاحتجاج به مصادرة على المطلوب، ويكفي في ذلك المنع^(١).

وأنه لا يلزم عقلاً إثبات لوازم صفة المخلوق لصفة الخالق إذ لا مناسبة بينهما^(٢).

ثالثاً: المعتزلة^(٣):

أما المعتزلة، فقد نفوا جميع الصفات الأزلية، وأخذوا ذلك عن الجهمية^(٤). وبناءً عليه: فإنهم يزعمون أن الله لا يحب ولا يحب.

ويرد عليهم بما رد على الجهمية.

والذي عليه سلف الأمة هو مذهب أهل السنة، وأن محبة الرب سبحانه وتعالى لعباده من أنبيائه وأوليائه - أهل طاعته - صفة عظيمة وحببية إلى قلوب عباده المحبين، وهي صفة مستقلة قائمة بالله تعالى، وهي فعل من أفعال الرب تعالى يؤهل لهذه المحبة من شاء من عباده ويخذل من شاء ولا يوقفه لينالها.



(١) التحفة العراقية ص ٩١.

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة ص ٢٨٢.

(٣) أحد الفرق الإسلامية يسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية، خلاصة مذهبهم: نفي الصفات القديمة لله تعالى، وأن كلام الله مخلوق، ونفي رؤية الله في الآخرة، ونفي التشبيه، وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة. موسوعة الملل والنحل ص ٢١.

(٤) تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٥٩.

المطلب الثاني: محبة الرب لعبده

تعرض علماء التفسير إلى المحبة الإلهية - محبة الرب لعبده - وماهية هذه المحبة، وذلك من خلال تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(١)، وانقسموا إلى قسمين:

الأول: من عرّف هذه المحبة وكيف تكون من قبل الله تعالى، ولهم فيها أقوال.

الثاني: من أوكل علمها إلى الله تعالى ولم يخض في هذه المسألة.

أولاً: من أعرض عن الخوض فيها:

أ - الشوكاني^(٢)، قال: (وصف سبحانه هؤلاء القوم بهذه الأوصاف العظيمة المشتملة على غاية المدح ونهاية الثناء من كونهم يحبون الله وهو يحبهم)^(٣).

ب - العلامة الألوسي^(٤)، قال: (هي محبة تليق بشأنه تعالى على المعنى الذي أراده)^(٥).

ج - العلامة القاسمي^(٦)، قال: (مذهب السلف في المحبة المسندة له

(١) سورة المائدة، بعض آية: ٥٤.

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ولد سنة ١١٧٣هـ باليمن. وولي القضاء وهو فقيه ومجتهد. وله ١١٥٤ مؤلفاً منها: «نيل الأوطار» و«إتحاف الأكابر» و«إرشاد الفحول» و«فتح القدير» وغيرها كثير، ت ١٢٥٠هـ. الأعلام (٦/٢٩٨)، البدر الطالع (٢/٢١٤).

(٣) فتح القدير (٢/٥١).

(٤) محمد بن عبدالله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، ولد سنة ١٢١٧هـ ببغداد، كان مفسراً، محدثاً، أديباً، سلفي الاعتقاد، مجتهداً من المجددين، من كتبه: «روح المعاني» و«غرائب الاغتراب» وغيره، ت ١٢٧٠هـ. الأعلام (٧/١٧٦).

(٥) روح المعاني (٣/٣٢٩).

(٦) محمد جمال الدين أبو الفرج بن محمد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر المعروف بالقاسمي، ولد سنة ١٢٨٣هـ، بلغ عدد مؤلفاته مائة ما بين كتاب ورسالة =

تعالى، أنها ثابتة له تعالى بلا كيف ولا تأويل، ولا مشاركة للمخلوق في شيء من خصائصها^(١).

د - السيد محمد رشيد رضا^(٢)، قال: (فمحبه تعالى لمستحقيها من عباده، شأن من شئونه اللائقة به، لا نبحت عن كنهها وكيفيتها، وحسن الجزاء من المغفرة والإثابة قد يكون من آثارها)^(٣).

هـ - الشيخ المراغي^(٤)، قال: (وحبه تعالى وبغضه شأن من شئونه لا نبحت عن كنهها ولا عن كيفيته)^(٥).

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الإمام الطبري والإمام السيوطي والإمام ابن كثير أصحاب التفسير بالمأثور لم يتطرقوا إلى هذه المسألة.

ثانياً: من أوّل المحبة:

أ - الإمام البيضاوي^(٦)، قال: (محبة الله تعالى للعباد إرادة الهدى

= ومقالة، ومن كتبه «محاسن التأويل» في التفسير، ت سنة ١٣٣٢هـ. مقدمة تفسير القاسمي.

(١) محاسن التأويل (١٧١/٤).

(٢) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد بن شمس الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، ولد ونشأ في القلمون سنة ١٢٨٢هـ، رحل إلى مصر ولازم الشيخ محمد عبده، أصدر مجلة المنار، وألف العديد من الكتب منها: «الوحي المحمدي» و«نداء للجنس اللطيف». مات بالقاهرة سنة ١٣٥٤هـ. الأعلام (١٢٦/٦).

(٣) تفسير المنار (٣٦٣/٥).

(٤) أحمد بن مصطفى المراغي مفسر مصري من العلماء، تخرج من دار العلوم سنة ١٩٠٩م، كان مدرس الشريعة الإسلامية بها، ولي نظارة بعض المدارس، وعين أستاذاً للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم. وله كتب عديدة منها «الحسية في الإسلام» و«علوم البلاغة» مات بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ. الأعلام (٢٥٨/١).

(٥) تفسير المراغي (١٤٢/٦).

(٦) عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو الخير ناصر الدين البيضاوي، ولد بفارس وهو قاض ومفسر وعلامة، من تصانيفه: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» و«طوالع الأنوار» وغيره ت ٦٨٥هـ بتبريز. طبقات المفسرين - د - (٢٤٨/١)، والأعلام (١١٠/٤)، وطبقات الشافعية / الأسنوي (١٣٦/١).

والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة^(١).

ب - الإمام الزمخشري^(٢)، قال: (محبة الله لعباده أن يشيهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم)^(٣).

ج - الإمام القرطبي^(٤)، قال: (محبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران)^(٥).

د - الإمام أبو حيان الأندلسي^(٦)، قال: (محبة الله لهم توفيقهم للإيمان كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾^(٧) وإثابته على ذلك وعلى سائر الطاعات، وتعظيمه إياهم وثناؤه عليهم)^(٨).

هـ - أبو السعود^(٩)، قال: (أي يريد بهم خيري الدنيا والآخرة)^(١٠).

(١) تفسير البيضاوي ص ١٥٣.

(٢) محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، النحوي، اللغوي، المتكلم، المعتزلي، المفسر، يلقب جار الله، لأنه جاور بمكة زماناً، ولد سنة ٤٦٧هـ في خوارزم، وله تصانيف بديعة منها: «الكشاف» و«أساس البلاغة» وغيره ت ٥٣٨هـ. طبقات المفسرين - س - ص ١٠٥، والأعلام (١٧٨/٧).

(٣) الكشاف (٦٣٣/١).

(٤) محمد بن عمر بن يوسف الإمام عبدالله القرطبي الأنصاري المالكي، ولد سنة ٥٥٨هـ، كان إماماً زاهداً مجوداً للقراءات عارفاً بوجوهها، بصيراً بمذهب مالك، حاذقاً بفنون العربية ت ٦٣١هـ بالمدينة. طبقات المفسرين - س - ص ١٠١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٤٠/٤).

(٦) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي: ولد في غرناطة سنة ٦٥٤هـ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، أشهر تصانيفه: «البحر المحيط» و«مجاني العصور» وغيره كثير. ت سنة ٧٤٥هـ بالقاهرة. الأعلام (١٥٢/٧)، وطبقات المفسرين - د - (٢٨٧/٢).

(٧) سورة الحجرات، بعض آية: ٧.

(٨) البحر المحيط (٥٢٣/٣).

(٩) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود، ولد سنة ٨٩٨هـ، مفسر شاعر من علماء الترك المستغربين، صاحب تفسير «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» ت ٩٨٢هـ. الأعلام (٥٩/٧)، شذرات الذهب (٣٩٨/٨).

(١٠) إرشاد العقل السليم (٥١/٣).

و - قال الشيخ ابن عاشور: (وإطلاق المحبة وصفاً لله تعالى، إطلاق مجازي مراد بها لازم المحبة، بناء على أن حقيقة المحبة انفعال نفساني، وعندي فيه احتمال، فقالوا: أريد لازم المحبة، أي في المحبوب والمحب، فيلزمها اتصاف المحبوب بما يرضي المحب لتنشأ المحبة التي أصلها الاستحسان، ويلزمها رضى المحب عن محبوبه وإيصال النفع له. وهذان اللذان متلازمان في أنفسهما، فإطلاق المحبة وصفاً لله مجاز بهذا اللازم المركب^(١)) وقال: محبة الله لعبده رضاه عنه وتيسير الخير له^(٢).

ز - البقاعي^(٣)، قال: (يشبههم عليه ويشبههم بكرمه أحسن الثواب)^(٤).

ح - أبو حامد الغزالي^(٥)، قال: (محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه من كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه)^(٦).

ط - الحافظ ابن حجر^(٧): قال: (والمراد بمحبة الله إرادة الخير للعبد

(١) التحرير والتنوير (١٧٢/٨).

(٢) المرجع السابق (٢٣٦/٦).

(٣) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين. أصله من البقاع في سوريا ولد سنة ٨٠٩هـ، مؤرخ أديب له كتب كثيرة: «أسواق الأسواق» و«عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران» وغيره، ت ٨٨٥هـ بدمشق. الأعلام (٥٦/١)، والضوء اللامع (١٠١/١).

(٤) نظم الدرر (١٩١/٦).

(٥) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي، أبو حامد حجة الإسلام، ولد سنة ٤٥٠هـ بخراسان، فيلسوف، متصوف له نحو مئتي مصنف منها: «إحياء علوم الدين» و«تهافت الفلاسفة» و«الاقتصاد في الاعتقاد» وغيره. ت ٥٠٥هـ. الأعلام (٢٢٧/٢)، والنبلاء (٣٢٢/١٩).

(٦) إحياء علوم الدين (٣٢٩/٤).

(٧) أحمد بن علي بن الكتاني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين بن حجر، أصله من عسقلان (بفلسطين) ولد سنة ٧٧٣هـ، من أئمة العلم والتاريخ، وله مصنفات كثيرة منها «لسان الميزان» و«تقريب التهذيب» وغيره كثير، ت ٨٥٢هـ بالقاهرة. الأعلام (١٧٨/١)، والضوء اللامع (٣٦/٢).

وحصول الثواب له^(١).

نلاحظ أنه من أول المحبة، حصر معناها في الأمور التي تنفع العبد في دُنياه وآخرته. وتبين رضا الله عنه، وذلك من خلال المعاني التي وردت لتفسير محبة الرب لعبده وهي: (إرادة الهدى والتوفيق لهم، والثناء عليهم، والتعظيم عليهم، والرضى عنهم، وصرف الشواغل والمعاصي عنهم، وتيسير الخير لهم، وحسن الثواب لهم في الآخرة).

والراجع الذي تؤيده الأدلة، أن محبة الله لعبده صفة من صفاته، وهي محبة تليق بشأنه تعالى على المعنى الذي أراد، ومن لوازم هذه المحبة إرادة الهدى، والتوفيق لهم في الدنيا، وتعظيمه إياهم وثناؤه عليهم والرضى عنهم، وتيسير الخير لهم وحسن الثواب في الآخرة، مع التسليم بالمعنى اللغوي الذي تدل عليه المحبة.



(١) فتح الباري (١٠/٥٦٨).

المطلب الثالث:

محبة العبد لربه

لا خلاف بين الأمة أن العبد المؤمن يحب الله تعالى، وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ذلك فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (١) وكذلك قال الحق تبارك وتعالى: ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (٢).

وكذا من الأخبار، ما روى أن ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت - عليه السلام - وقد جاءه لقبض روحه: هل رأيت خليلاً يميت خليله؟ فأوحى الله تعالى إليه: هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله؟ فقال: يا ملك الموت الآن فاقبض (٣).

وعن أنس بن مالك أن رجلاً سأل النبي ﷺ: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكن أحب الله ورسوله، قال: أنت مع من أخبيت (٤).

قال الإمام الفخر الرازي (٥): اختلفت الأمة على المعنى، بعد أن اتفقوا على إطلاق هذا اللفظ إلى رأيين:

الأول: جمهور المتكلمين:

فقد قالوا: أن المحبة نوع من أنواع الإرادة لا تعلق لها بالجائزات،

(١) سورة البقرة، بعض آية: ١٦٥.

(٢) سورة المائدة، بعض آية: ٥٤.

(٣) التفسير الكبير (٤/١٧٥).

(٤) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الأدب - باب علامة الحب في الله (١٠/٦٨٣) ح (٦١٧١).

(٥) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري، من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه الشافعي المفسر المتكلم، ولد سنة ٥٤٤هـ، قال ابن خلكان فيه: فريد عصره، ونسيج وحده، وتصانيفه في علم الكلام والمعقولات سائرة وله: «التفسير الكبير» و«المحصول» في أصول الفقه. ت ٦٠٦هـ. طبقات المفسرين - س - ص ١٠٠، والأعلام (٦/٣١٣).

فيستحيل تعلق المحبة بذات الله تعالى وصفاته.

فإذا قلنا: نحب الله، فمعناه: نحب طاعة الله وخدمته، أو نحب ثوابه وإحسانه وبهذا المعنى فسر كل من: الإمام البيضاوي والإمام الزمخشري والعلامة الألوسي والإمام أبو حيان والعلامة أبو السعود قوله تعالى: ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ في محبة العباد لربهم.

قال الشيخ ابن عاشور: (فزعم هؤلاء أن تعلق المحبة بالله مجاز مرسل في الطاعة والتعظيم بعلاقة اللزوم لأن طاعة المحب للمحجوب لازم عرفي لها. قال الجعدي^(١)):

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع
أو مجاز بالحذف والتقدير: يحبون الله أو نعمته لأن المحبة لا تتعلق
بذات الله)^(٢).

ثانياً: العارفون:

أما العارفون فقد قالوا: العبد قد يحب الله لذاته، وأما حب خدمته أو حب ثوابه فدرجة نازلة. واحتجوا بأن قالوا: إنا وجدنا أن اللذة محبوبة لذاتها، والكمال أيضاً محبوب لذاته، أما اللذة فإنه إذا قيل لنا: لم تكسبون؟ قلنا: لنجد المال، فإن قيل: ولم تطلبون المال؟ قلنا: لنجد به المأكل والمشروب، فإن قالوا: لما تطلبون المأكل والمشروب؟ قلنا: لتحصل اللذة ويندفع الألم. فإن قيل لنا: ولما تطلبون اللذة وتكرهون الألم؟ قلنا: هذا غير معقل، فإنه لو كان كل شيء إنما كان مطلوباً لأجل شيء آخر، لزم إما التسلسل وإما الدور. وهما محالان. فلا بدّ من الانتماء إلى ما يكون مطلوباً

(١) قيس بن عبدالله بن ربيعة الجعدي العامري، أبو ليلى شاعر، مفلق، صحابي، من المعمرين، اشتهر في الجاهلية، أدرك صفين فشهدا مع علي. مات نحو ٥٠هـ. الأعلام (٢٠٧/٥).

(٢) التحرير والتنوير (٩٠/٢).

لذاته، وإذا ثبت ذلك فنحن نعلم أن اللذة مطلوبة الحصول لذاتها، والألم مطلوب الدفع لذاته لا لسبب آخر.

وأما الكمال فلأننا نحب الأنبياء والأولياء لمجرد كونهم موصوفين بصفات الكمال، وإذا سمعنا حكاية بعض الشجعان مثل رستم، واستفنديار، واطلعنا على كيفية شجاعتهم مالت قلوبنا إليهم، حتى أنه يبلغ ذلك الميل إلى إنفاق المال العظيم في تقرير تعظيمه، وقد ينتهي ذلك إلى المخاطرة بالروح، وكون اللذة محبوبة لذاتها لا ينافي كون الكمال محبوباً لذاته، وإذا ثبت هذا فنقول:

الذين حملوا محبة الله تعالى على محبة طاعته، أو على محبة ثوابه، فهؤلاء هم الذين عرفوا أن اللذة محبوبة لذاتها، ولم يعرفوا أن الكمال محبوب لذاته.

أما العارفون الذين قالوا: أنه تعالى محبوب في ذاته ولذاته، فهم الذين انكشف لهم أن الكمال محبوب لذاته، وذلك لأن أكمل الكاملين هو الحق سبحانه وتعالى، فإنه لوجوب وجوده غني عن كل ما عداه، وكمال كل شيء فهو مستفاد منه وإنه سبحانه وتعالى أكمل الكاملين في العلم والقدرة فإذا كنا نحب الرجل العالم لكماله في علمه والرجل الشجاع لكماله في شجاعته والرجل الزاهد لبرائه عما لا ينبغي من الأفعال، فكيف لا نحب الله وجميع العلوم بالنسبة إلى علمه كالعدم، وجميع القدر بالنسبة إلى قدرته وجميع ما للخلق من البراءة عن النقائص بالنسبة ما للحق من ذلك كالعدم، فلزم القطع بأن المحبوب الحق هو الله تعالى، وأنه محبوب في ذاته ولذاته سواء أحبه غيره أو ما أحبه غيره.

وعلى ذلك نقول: العبد لا سبيل له إلى الاطلاع على الله سبحانه ابتداء، بل ما لم ينظر في مملوكاته لا يمكنه الوصول إلى ذلك المقام، فلا جرم كل من كان اطلاعه على دقائق حكمة الله وقدرته في المخلوقات أتم، كان علمه بكماله أتم، فكان له حبه أتم، ولما كان لا نهاية لمراتب وقوف العبد على دقائق حكمة الله تعالى، فلا جرم لا نهاية لمراتب محبة العباد لجلال حضرة الله تعالى، ثم تحدث هناك حالة أخرى، وهي أن العبد إذا

كثرت مطالعته لدقائق حكمة الله تعالى، كثر ترقيه في مقام محبة الله، فإذا كثر ذلك صار ذلك سبباً لاستيلاء حب الله تعالى على قلب العبد، وعوضه فيه على مثال القطرات النازلة من الماء على الصخرة الصماء فإنها مع لطافتها تثقب الحجارة الصلدة فإذا غاصت محبة الله في القلب تكيف القلب بكيفيتها، واشتد ألفة بها وكلما كان ذلك الألفة أشد كان النفرة عما سواه أشد لأن الالتفات إلى ما عداه يشغله عن الالتفات إليه، والمانع عن حضور المحبوب مكروه فلا تزال تتعاقب محبة الله ونفرته عما سواه على القلب، ويشد كل واحد منهما بالآخر، إلى أن يصير القلب نفوراً عما سوى الله تعالى، والنفرة توجب الإعراض عما سوى الله، والإعراض يوجب الفناء عما سوى الله تعالى فيصير ذلك القلب مستنيراً بأنوار القدس، مستضيئاً بأضواء عالم العصمة فانياً عن الحظوظ المتعلقة بعالم الحدوث وهذا المقام أعلى الدرجات^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فالذي عليه سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة والحديث وجميع مشايخ الدين وأئمة التصوف أن الله محبوب لذاته محبة حقيقية، بل هي أكمل محبة^(٢))، فإنها كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(٣).



(١) التفسير الكبير (١٧٥/٤) بتصرف.

(٢) طب القلوب ص ٢٢٧.

(٣) سورة البقرة، بعض آية: ١٦٥.

المطلب الرابع: الأسباب الجالبة للمحبة

بين ابن القيم الجوزية عشرة أسباب توجب المحبة لله عز وجل:
أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم وما أريد به ومعرفة دلالة الآيات والعمل على تطبيقها على وفق مراد الشرع.

الثاني: التقرب إلى الله عز وجل بالنوافل بعد الفرائض، فإنها ترتقي به إلى المنازل الرفيعة عند الله عز وجل وتوصله إلى درجة المحبوبة بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكر الله عز وجل على كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصبيه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محاب الله عز وجل على محاب النفس عند غلبات الهوى، والتسليم إلى محابه - الله عز وجل - وإن صعب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسماء الله تعالى وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومبانيها. فمن عرف الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.

السادس: مشاهدة بَرِّ الله عز وجل وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته. عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله...»^(١).

السابع: انكسار القلب بكلية بين يدي الله تعالى، وليس في هذا التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبادات.

الثامن: الخلوة بالله عز وجل وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة

(١) رواه الترمذي في السنن: كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ، (٦٦٤/٥) ح (٣٧٨٩) بإسناد حسن غريب.

كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينبغي أطايب التمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك، ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل^(١).



(١) مدارج السالكين (٣/١٧، ١٨).

المبحث الثاني: مراتب الحُبِّ

للحُبِّ مراتب مختلفة، فلكل مرتبة من الحُبِّ اسم خاص - بها - وتُعرف به حسب تأثير المُحِبِّ بالمحجوب وأثر المحجوب عليه ثلاثة أقسام:

القسم الأول: حب الرب للعبد.

القسم الثاني: حب العبد للرب.

القسم الثالث: حب العبد للعبد.

أولها: الخُلَّة: فتوحيد المحبة، فالخليل هو الذي يُوحِّد حبه لمحجوبه وهي رتبة لا تقبل المشاركة، ولهذا اختصَّ بها في العالم الخليلان ابراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما^(١)، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَخَذَ اللَّهُ إِِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(٢). عن جندب^(٣) قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلًا كما اتخذ ابراهيم خليلًا ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا

(١) روض المحيين ص ٨١.

(٢) سورة النساء، بعض آية: ١٢٥.

(٣) جندب بن عبدالله بن سفيان البجلي، ثم العلقمي، أبو عبدالله، وربما نسب إلى جده، له صحبة، مات بعد الستين. تقريب التهذيب ص ١٤٢.

لاتخذت أبا بكر خليلاً...»^(١).

وعن عبدالله بن مسعود^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً»^(٣).

ولما كانت الخُلة مرتبة لا تقبل المشاركة امتحن الله سبحانه ابراهيم الخليل بذبح ولده لما أخذ شعبةً من قلبه، فأراد سبحانه أن يُخلص تلك الشعبة له ولا تكون لغيره، فامتحنه الله بذبح ولده، والمراد ذبحه بالمُذبة، فلما أسلماً لأمر الله، وقدم محبة الله تعالى على محبة الولد، خلص مقام الخلة، وفدى الولد بالذبح. وقيل: إنما سميت خلة لتخلل المحبة جميع أجزاء الروح.

ويجمع على خلال، مثل ملة وملال. والخل: الود والصديق، والخلال أيضاً مصدر بمعنى المخالة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلّاً﴾^(٤).

والخليل: الصديق، والأنثى خليلة، والخلالة والخلالة والخلالة، بكسر الخاء وفتحها وضمها: الصداقة والمودة.

وقد توهم بعض العلماء أن الحبيب أفضل من الخليل، وقال: محمد حبيب الله وابراهيم خليل الله، وهذا باطل من وجوه كثيرة، منها: أن الخلة خاصة والمحبة عامة، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وقال في عباده المؤمنين: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(٥).

(١) رواه مسلم في الصحيح: كتاب المساجد - باب النهي عن بناء المسجد عند القبور (١٣/٥).

(٢) عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبدالرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء من الصحابة، مناقبه جمّة، أمره عمر على الكوفة، ت ٣٢ هـ. تقريب التهذيب ص ٣٢٣.

(٣) رواه مسلم في الصحيح: كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل أبي بكر (١٥٢/١٥).

(٤) سورة ابراهيم، بعض آية: ٣١.

(٥) سورة المائدة، بعض آية: ٥٤.

ومنها: أن النبي ﷺ نفى أن يكون له من أهل الأرض خليل، وأخبر أن أحب النساء إليه عائشة ومن الرجال أبوها، عن عمرو بن العاص^(١) رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب فعد رجالاً^(٢).

وهي أعلى مراتب الحب، فهذه المرتبة من القسم الأول وهو: محبة الرب للعبد.

الثانية: التعبد، فهو غاية الحب، وغاية الذل، يقال: عبده الحب، أي ذلله وطريق معبد بالإقدام، أي: مذلل، وكذلك المحب قد ذلله الحب ووطأه، ولا تصلح هذه المرتبة لأحد غير الله عز وجل، ولا يغفر الله سبحانه لمن أشرك به في عبادته، ويغفر ما دون ذلك لمن شاء. فمحبة العبودية هي أشرف أنواع المحبة، وهي خالص حق الله على عباده^(٣)، وفي الصحيح عن معاذ بن جبل^(٤) قال: كنت ردف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل فقال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق

(١) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم أبو عبدالله ويقال أبو محمد السهمي، أسلم سنة ثمانية قبل الفتح، ولاء النبي ﷺ على جيش ذات السلاسل، ت ٤٣هـ. تهذيب التهذيب (٤٩/٨).

(٢) رواه البخاري في الصحيح: كتاب فضائل الصحابة - باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً (٢٤/٧) ح (٣٦٦٢).

(٣) روض المحيين ص ٨٧.

(٤) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي أبو عبدالرحمن المدني، أسلم وهو ابن الثامنة عشر سنة وشهد بدرًا والعقبة، ت ١٨هـ وهو ابن ٣٨. تهذيب التهذيب (١٦٩/١٠).

العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذبهم^(١).

وقد ذكر الله سبحانه رسوله بالعبودية في أشرف مقاماته، وهي مقام التحدي، ومقام الإسراء، ومقام الدعوة، فقال في التحدي: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^(٢).

وقال في مقام الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٣) وقال في مقام الدعوة: ﴿وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾^(٤). وهو نوح عليه السلام.

وإذا تدافع أولو العزم الشفاعة الكبرى يوم القيامة يقول المسيح لهم: «أذهبوا إلى محمد، عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(٥) ضمن حديث طويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال ابن تيمية: فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى، وكمال مغفرة الله له. وحقيقة العبودية: الحب التام، مع الذل التام والخضوع للمحبوب^(٦).

وهي إحدى مراتب حب العبد للرب من القسم الثاني.

الثالثة: التَّيْمُ وهو التعبد، والتذلل.

يُقال: تَيْمَةُ الْحَبِّ أَي دَلَّلَهُ وَعَبَّدَهُ. وَتَيْمُ اللَّهِ: عَبْدُ اللَّهِ.

وبينه وبين (التَّيْمُ) - الذي هو الانفراد - تلاق في الاشتقاق الأوسط، وتناسب في المعنى فإن «المتيم» المتفرد بحبه وشجوه. كانفراد اليتيم بنفسه

(١) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الإيمان - باب حق الله على العباد (٢٣١/١).

(٢) سورة البقرة، بعض آية: ٢٣.

(٣) سورة الإسراء، بعض آية: ١.

(٤) سورة الجن، بعض آية: ١٩.

(٥) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الإيمان - باب الشفاعة (٥٤/٣).

(٦) مدارج السالكين (٣٠/٣).

عن أبيه، وكل منهما مكسور ذليل هذا كسره يُثم. وهذا كسره تَتِيمٌ^(١).

وهي إحدى مراتب حب العباد لله عزّ وجلّ من القسم الثاني.

الرابعة: العَلَاة: وتسمّى العَلَقَ بوزن الفَلَق، والعَلَقُ أيضاً: الهوى، يُقال: نظرةٌ من ذي عَلَقٍ^(٢)، قال الشاعر^(٣):

ولقد أردتُ الصبرَ عنك فعاقبني عَلَقٌ بِقَلْبِي وَمِنْ هَوَاكِ قَدِيمٌ

وقد عَلَقَهَا بالكسر وَعَلِقَ حُبُّهَا بقلبه، أي: هَوَيْتَهَا وَعَلِقَ بِهَا عُلُوقاً،
والعلاقة هي الحب اللازم للقلب^(٤)، وسميت عَلاةً؛ لتعلق القلب
بالمحبوب، قال الشاعر^(٥):

أعلاقةٌ أُمُّ الوَلِيدِ بعدما أفنانُ رَأْسِكِ كالثَّغَامِ المُخْلِيسِ

وهي إحدى مراتب حب العباد بعضهم لبعض من القسم الثالث.

الخامسة: الإرادة: وهي ميل القلب إلى محبوه وطلبه له^(٦).

وهي إحدى مراتب حبّ العباد بعضهم لبعض من القسم الثالث.

السادسة: الصبابة وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه.
كانصباب الماء في الحدور، فاسم الصفة منها «حَبٌّ» الفعل صبا يصبو صباً،
وصبابة. ويُقال: صُبّاً وَصَبَوَةً؛ وصبابة. فالصبأ: أصل الميل. والصبَوَةُ:
قوته، والصبابة: الميل اللازم. وانصباب القلب بكليته^(٧).

(١) مدارج السالكين (٣/٣٠).

(٢) روض المحبين ص ٥١.

(٣) ابن الدُّمَيْنَةَ: هو عبدالله بن عبدالله بن أحمد، من بني عامر بن تيم الله بن خثعم أبو سري، والدمينة أمه، شاعر بدوي من شعراء العصر الأموي، من أرق الناس شعراً، ت نحو ١٣٠هـ. الأعلام (٤/١٠٢).

(٤) الكلبيات ص ٣٩٨.

(٥) المرارة الأسدي.

(٦) مدارج السالكين (٣/٢٨).

(٧) المرجع السابق.

وهي إحدى مراتب حب العباد بعضهم لبعض من القسم الثالث .

السابعة: الغرام، فهو الحبّ اللازم، يُقال: رجل مُغْرَمٌ بالحبِّ، أي: قد لزمه الحبُّ، وأصل المادة: اللزوم، ومنه قولهم: رجلٌ مُغْرَمٌ، من الغرم أو الدّين، قال في الصحاح:

والغَرَامُ: الوَلْوَعُ، وقد أُغْرِمَ بالشيءِ، أي: أُولِعَ به، والغريمُ: الذي عليه الدّين، يُقال: خذ من غريمِ السّوءِ ما سَنَحَ^(١).

ومنه سمي عذاب النار غراماً للزومه لأهله. وعدم مفارقتها لهم. قال تعالى: ﴿إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾^(٢).

والغرام إحدى مراتب حب العباد بعضهم لبعض من القسم الثالث .

الثامنة: الوداد: هو صفو المحبة، وخالصها ولُبُّها، وهو من الحبِّ بمنزلة الرأفة من الرحمة، قال الجوهري: (وَدِدْتَ الرَّجُلَ أَوْدُهُ وَوَدَا: إِذَا أَحْبَبْتَهُ).

والودود من أسماء الله سبحانه وتعالى، أصله من المودّة واختلف فيه على قولين:

أحدها: أنه الموجود. قال البخاري رحمه الله في صحيحه^(٣) (الودود: الحبيب).

والثاني: أنه الوادُّ لعباده. أي المحب لهم. وقرنه باسمه (الغفور) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾^(٤) إعلماً بأنه يغفر الذنب، ويحب التائب منه، وَيَوَدُّهُ. فحظ التائب: نيل المغفرة منه.

وعلى القول الأول الودود في معنى يكون سر الاقتران. أي اقتران

(١) مدارج السالكين (٢٩/٣).

(٢) سورة الفرقان، بعض آية: ٦٥.

(٣) راجع فتح الباري (٨/٨٩٢).

(٤) سورة البروج، الآية: ١٤.

(الودود بالغفور) استدعاء مودة العباد له، ومحبتهم إياه باسم (الغفور)^(١).

وهي إحدى مراتب حب العباد بعضهم لبعض من القسم الثالث.

التاسعة: الشغف يُقال: شَغَفَ بكذا. فهو مشغوف به. وقد شَغَفَهُ المحبوب. أي وصل حبه إلى شَغَاف قلبه. كما قال النسوة عن امرأة العزيز ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾^(٢) وفيه ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنه الحب المستولي على القلب، بحيث يحجبه عن غيره. قال الكلبي^(٣): (حَجَبَ حُبُهُ قَلْبَهَا حَتَّى لَا تَعْقِلَ سِوَاهُ).

الثاني: الحب الواصل إلى داخل القلب. والمعنى أحبته حتى دخل حُبُهُ شَغَافَ قَلْبِهَا، أي داخله.

الثالث: أنه الحب الواصل إلى غشاء القلب و(الشغاف) غشاء القلب إذا وصل الحب إليه باشر القلب. قال السدي^(٤): (الشغاف جلده رقيقة على القلب. يقول: دخله الحب حتى أصاب القلب)^(٥).

وهي إحدى مراتب حب العباد بعضهم لبعض من القسم الثالث.

العاشرة: العشق هو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه. وعليه تأول محمد بن عبد الوهاب ﴿وَلَا تُحَكِّمْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال محمد: هو العشق.

(١) مدارج السالكين (٢٩/٣).

(٢) سورة يوسف، بعض آية: ٣٠.

(٣) محمد السائب بن بشر الكلبي، ويكنى: أبا النضر، النسابة المفسر، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب، وله تفسير مشهور وناسخ القرآن ومنسوخه، ت ١٤٦هـ بالكوفة. المعارف ص ٥٣٥، والأعلام (١٣٣/٦)، وطبقات المفسرين - د - (١٤٩/٢).

(٤) إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة الهاشمي السدي الكبير، أبو محمد الكوفي الأعور، تابعي، حجازي الأصل، صاحب التفسير والمغازي والسير، من الطبقة الرابعة ت ١٢٧هـ. طبقات المفسرين - د - (١١٠/١)، والأعلام (٣١٧/١).

(٥) مدارج السالكين (٣٠-٢٩/٣).

ورفع إلى ابن عباس رضي الله عنهما شاب - وهو يعرفه - قد صار كالخلال^(١) فقال: ما به؟ قالوا: العشق. فجعل ابن عباس رضي الله عنهما عامة دعائه بعرفة: الاستعاذة من العشق. وفي اشتقاقه قولان. أحدهما: أنه من العشقة - محركة - وهي نبت أصفر يلتوي على الشجر، فشبّه به العاشق. والثاني: أنه من الإفراط. وعلى القولين: لا يوصف به الرب تبارك وتعالى، ولا العبد في محبة ربه^(٢).

وهي إحدى مراتب حب العباد بعضهم لبعض من القسم الثالث.



(١) الخلال: العود. مختار الصحاح ص ٧٩.

(٢) مدارج السالكين (٣/٣٠).

المبحث الثالث:

مظاهر المحبة في حياة المسلم

اتباع النبي صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١) (١).

قال السيوطي (٢) في تفسيره، أن سبب نزول الآية الكريمة ما أخرجه ابن جرير من طريق بكر بن الأسوف عن الحسن (٣) أنه قال: «قال قوم على عهد النبي ﷺ: يا محمد إنا نُحِبُّ رَبَّنَا. فأنزل الله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، فجعل اتباع نبيه محمد ﷺ علماً لحبه، وعذاب مَنْ خالفه».

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين، ولد سنة ٨٤٩هـ، إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو ٦٠٠ مصنف من كتبه: «الاتقان في علوم القرآن» و«تفسير الجلالين» و«تدريب الراوي» وغيره كثير. ت ٩١١هـ. الأعلام (٣/٣٠١)، والضوء اللامع (٤/٦٥).

(٣) الحسن بن أبي الحسن يسار مولى زيد بن ثابت الأنصاري، واسم أمه «خيرة» مولاة أم سلمة - زوج النبي ﷺ - كان شيخ أهل البصرة ت ١١٠هـ. النبلاء (٤/٥٦٣)، والمعارف ص ٤٤٠.

وكما ذكر - ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق عباد بن منصور^(١) أنه قال: «قال أقوام على عهد رسول الله ﷺ يزعمون أنهم يحبون الله، فأراد الله أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل فقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الآية، فكان أتباع محمد ﷺ تصديقاً لقولهم»^(٢).

وقد بين الإمام الرازي المراد بالأقوام وهم:

(أن اليهود كانوا يقولون «نحن أبناء الله وأحباؤه»، فنزلت الآية.

وأن النصارى قالوا: «إنما نعظم المسيح حباً لله»، فنزلت الآية.

وأنه ﷺ وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للأصنام فقال: «يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابراهيم»، فقالت قريش: «إنما نعبد هذه حباً لله تعالى ليقربونا إلى الله زلفى»، فنزلت الآية.

وبالجمله فكل واحد من فرق العقلاء يدعى أنه يحب الله ويطلب رضاه وطاعته، فقال لرسوله ﷺ: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي ادْعَاءِ مَحَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَا بَدَّ وَأَنْ يَكُونَ فِي غَايَةِ الْحَذَرِ مِمَّا يُوْجِبُ سَخَطَهُ، وَإِذَا قَامَتِ الدَّلَالَةُ الْقَاطِعَةُ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَجَبَتْ مَتَابَعَتَهُ، فَإِنْ لَمْ تَحْصُلْ هَذِهِ الْمَتَابَعَةُ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الْمَحَبَّةَ مَا حَصَلَتْ»^(٣).

والخطاب في الآية عام، وحجة على أهل الدعوى في كل زمان ومكان، وما قيمة الدعوى يكذبها العمل، وكيف يجتمع الحب مع الجهل بالمحجوب وعدم العناية بأمره ونهيه^(٤).

-
- (١) عباد بن منصور الناجي، أبو سلمة البصري القاضي بها، صدوق رمي بالقدر. ت ٥٥٢هـ.
تقريب التهذيب ص ٢٩١.
(٢) الدر المنثور (١٧٨/٢).
(٣) التفسير الكبير (١٦/٨).
(٤) تفسير المنار (٢٣٤/٣).

قال الإمام ابن كثير^(١): (هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله - وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم. وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تحب، وإنما الشأن أن تُحِب^(٢).

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويؤثركم في جوار قدسه وقد عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة أو المشاكلة.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي لمن يتحجب إليه بطاعته ويتقرب إليه باتباع نبيه عليه الصلاة والسلام فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة، ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للإشعار باستتباع وصف الألوهية للمغفرة والرحمة^(٣).

المحبة تستلزم الاتباع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: - (فاتباع رسول الله ﷺ وشريعته باطناً وظاهراً هي موجب محبة الله، وكثير ممن يدعي - المحبة - هو أبعد من غيره عن اتباع السنة وعن الأمر بالمعروف والنهي عي المنكر والجهاد في سبيل الله، ويدعي مع هذا أن ذلك أكمل لطريق - المحبة - من غيره لزعمه

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي الحافظ عماد الدين أبو الفداء، ولد سنة ٧٠١هـ، وكان مؤرخاً وحافظاً وفقياً، تناقل الناس تصانيفه في حياته من كتبه: «البداية والنهاية» و«الاجتهاد في طلب الجهاد» وغيره. ت سنة ٧٧٤هـ في دمشق. طبقات المفسرين - د - (١١١/١)، والأعلام (٣٢٠/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥٣٦/١).

(٣) إرشاد العقل السليم (٢٥/٢).

أن طريق المحبة لله ليس فيه غيره، ولا غضب لله وهذا ما دل عليه الكتاب والسنّة، ولهذا جاء في الحديث - المأثور - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يقول يوم القيامة: «أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظللهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»^(١).

فقوله أين المتحابون بجلال الله تنبيه على ما في قلوبهم من إجلال الله وتعظيمه مع التحاب فيه، وبذلك يكونون حافظين لحدوده، دون الذين لا يحفظون حدوده لضعف الإيمان في قلوبهم وهؤلاء الذين جاء فيهم قوله، وعن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتجالسين في، وحقت محبتي للمتزاورين في، وحقت محبتي للمتباذلين في»^(٢)^(٣).

قال الشيخ ابن عاشور: (وتعليق محبة الله إياهم على ﴿فَأَتَّبِعُونِي﴾ يدل على الحب المزعوم إذا لم يكن معه اتباع الرسول فهو حب كاذب، لأن المحب لمن يحب مطيع، ولأن ارتكاب ما يكرهه المحبوب إغاضة له وتلبس بعدوه)^(٤).

علامة صحة الاتباع:

وضح الله سبحانه وتعالى للأقوام السابقة من يهود ونصارى وعرب، أنّ علامة صحة من يدعي محبة الله عزّ وجلّ هو اتباع محمد ﷺ، ويتمثل هذا الاتباع في الآتي:

أ - الانخلاع عن المِلّة التي يدين بها، وإتباع محمد ﷺ بالدخول في

(١) رواه مسلم في الصحيح: كتاب البرّ والصلة - باب فضل الحب في الله (١٦/١٢٣).

(٢) رواه مالك: كتاب الشعر - باب ما جاء في المتحابين في الله (٢/٩٥٤) بنحوه وأحمد في المسند: (٥/٢٢٩، ٢٣٣، ٣٣٩) إسناده صحيح.

(٣) التحفة العراقية ص ١٠١.

(٤) التحرير والتنوير (٣/٢٢٨).

الدين الإسلامي. قال أبو سليمان الداراني^(١): (لما ادعت القلوب محبة الله أنزل الله لها محنة ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾).

ب - طاعة الرسول ﷺ فيما أمر ونهى، وشرع وطبق قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

ج - الابتعاد عن الآراء والأهواء التي تخالف وتعارض ما جاء به المصطفى ﷺ فعن أبي محمد عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»^(٣).

د - الاقتداء بالرسول ﷺ بهديه وخلقه، والتزامه وسمته، ودعوته لأهله وقومه، وحسن تبعه لزوجاته، ومعاملته الطيبة لأصحابه، وقوته وصلابته في جهاده لأعدائه، وحبه ورحمته للناس كافة.

هـ - العمل بكتاب الله عز وجل وستة نبيه محمد ﷺ، وعدم الفصل بين القرآن والستة لتلازمهما وترابطهما معاً.

و - الدفاع والذود عن شريعة الله عز وجل، عندما تتعرض لهجوم من قبل أعداء الله ورسوله، وتسخير جميع السبل أو ما أمكن لذلك.

ز - تطبيق شرع الله عز وجل في أسرته ومن ثم بين أفراد مجتمعه المحيط به، ومن - ثم - العمل على تطبيقه بين أفراد الأمة عموماً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤).

(١) عبدالرحمن بن سليمان بن أبي الجون العنز أبو سليمان الدمشقي الداراني، من الطبقة السادسة، قال ابن حجر: صدوق يخطأ. تهذيب الكمال (١٧/١٥٢)، تقريب التهذيب ص ٤٣١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

(٣) جامع العلوم والحكم ص ٤٦٩ بإسناده حسن صحيح.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

ح - حب النبي ﷺ، وتفضيله على النفس وسائر الخلق، عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»^(١).

الحكمة في محبة الرسول صلى الله عليه وسلم:

ومحبة رسول الله ﷺ واجبة لعدة أمور^(٢):

الأول: أنه رسول الله وإذا كان الله أحب إليك من كل شيء فرسوله إذن أحب إليك من كل مخلوق.

الثاني: لما قام به من عبادة الله تعالى وتبليغ رسالته على أكمل وجه.

الثالث: لما آتاه الله تعالى من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

الرابع: أنه السبب في هدايتنا وتعليمنا وتوجيهنا ورقينا.

الخامس: ولصبره على الأذى في تبليغ الرسالة.

السادس: ولبذل جهده بالمال والنفس لإعلاء كلمة الله تعالى.

السابع: ولحبه وحرصه على أمته في الدنيا والآخرة.



(١) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الإيمان - باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (٨١/١) ح (١٥).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١٤٨/٢) بتصرف.

المبحث الرابع: أثر المحبة على الإنسان

تبين فيما سبق أن الله عزّ وجلّ يحب عبده المؤمن به، ولهذه المحبة من الله لعبده انعكاس طيب وأثر حسن على الإنسان في دينه ودنياه، وعاقبة أمره وآجله، ولنوضح هذا الأثر الذي بيته المصطفى ﷺ في أقواله الشريفة:

أولاً: محبة الله وجبريل والملائكة له، وقبول أهل الأرض له:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبيه، فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض»^(١).

فيا له من شرف كبير وعظيم يهنأ به من ينال محبة الله له، فلا يكتفي بذلك وإنما يسبغ الله له وافر فضله وكثير امتنانه حين يخبر الله عزّ وجلّ جبريل بمحبته لهذا العبد ويأمره بحبه وليس ذلك فقط، وإنما يأمر أهل السماء جميعاً بمحبته لحب الله له، فيحبه جميع من في السماء، ويتكرم عليه بأن يضع له القبول في الأرض.

(١) رواه البخاري في الصحيح: كتاب بدء الخلق - باب ذكر الملائكة (٣٦٥/٦)

ح(٣٢٩٠).

يقول ابن حجر: (والمراد بالقبول قبول القلوب له بالمحبة والميل له والرضا عنه)^(١).

ثانياً: نصرة الله لعبده وتأنيده وإعانتة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»^(٢).

وقال الخطابي^(٣): (والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن موقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن السعي إلى الباطل برجله)^(٤).

وأى شرف يناله العبد حينما يحظى برعاية وحفظ الله عز وجل له ولجوارحه، وسرعة استجابة دعوته حين يدعوه، وإعادته مما يخاف حين يستعيذ به - فهو - مع الله وبالله والله سبحانه عز شأنه.

(١) فتح الباري (١٠/٥٦٨).

(٢) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الرقائق - باب التواضع (١١/٤١٤) ح (٦٥٠٢).

(٣) أبو سليمان - حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، ولد سنة ٣١٩هـ، الفقيه المحدث، الحافظ اللغوي، له «معالم السنن» و«بيان إعجاز القرآن» ت ٣٨٨هـ، الأعلام (٢/٢٧٣)، وتذكرة الحفاظ (٣/١٠١٨).

(٤) انظر فتح الباري (١١/٤١٨).

ثالثاً: حماية الله عزّ وجلّ لعبده المؤمن:

عن عاصم بن عمر بن قتادة عن منعم بن يزيد^(١) أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عزّ وجلّ ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم من الطعام والشراب تخافون عليه»^(٢).

إن محبة الله عزّ وجلّ لعبده المؤمن أفضت عليه حماية الله له وحفظه من الدنيا وفتنتها ومغرياتها وشهواتها، فهو في ظل حماية الله له واثق بدينه، راسخ بإيمانه، قوي في اعتقاده يترجل لا يلين أمام هذه الفتن والمغريات والشهوات والملهيات، وما أكثر ما حدثنا به التاريخ من صور ونماذج لفئات مؤمنة بربها يحاول الأعداء وضعاف النفوس إغراءها وإيقاعها في حفر الفتنة ولكنها تصمد وتثبت بقوة إيمانها ويقينها بربها عزّ وجلّ فهنيئاً لمن كان في حماية الله عزّ وجلّ له وذا خير من الدنيا وما فيها، وهذا رداء لا يناله إلا من ظفر بمحبة الله سبحانه وتعالى له.

رابعاً: مضاعفة الخير له:

عن أبي سعيد الخدري^(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحب الله العبد أتى عليه من الخير سبعة أضعاف لمن يعملها...»^(٤).

فهذا باب يفتحه الله عزّ وجلّ لمن أحب من عباده المؤمنين أنه لباب الخير والأجر وذلك بمضاعفته له من نفع وخير - سبعة أضعاف - وليس ذلك من عمل عمله، وإنما من أعمال لم يعملها - وقد يكون قد همّ بعملها

(١) محمود بن يزيد بن عقبة بن رافع بن امرؤ القيس بن عبدالله الأشهل الأوسي الأنصاري أبو نعيم المدني، ولد بالمدينة في حياة الرسول ﷺ توفي في المدينة سنة ٩٦هـ. تهذيب التهذيب (٥٩/١٠)، والنبلاء (٤٨٥/٣).

(٢) رواه أحمد في المسند: (٤٢٧/٥) إسناده صحيح.

(٣) سعيد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، أبو سعيد الخدري، له ولأبيه صحبة، استصغر بأحد ثم شهد ما بعدها، ت ٦٤هـ بالمدينة. تقريب التهذيب ص ٢٣٢.

(٤) رواه أحمد في المسند: (٧٦/٣) إسناده صحيح.

أو نوى أن يعملها - فبارك الله له فيها بأن ضاعفها سبعة أضعاف له، وهذا أجر كبير وقدر جليل لمن نال شرف محبة الله له.

خامساً: الابتلاء:

فعن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع»^(١).

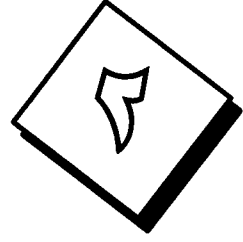
فهذا اختبار يُجرىه الله عز وجل لمن أحب من عباده وهو الابتلاء، باختلاف صورته وأشكاله - من مرض وفقر وعاهة وعقم - حتى يتبين قوة إيمانه ودرجة صبره واحتسابه، فله الأجر والثواب على تحمله لمشاقه. قال تعالى:

﴿لَا يَحْسِبُ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٢).



(١) رواه أحمد في المسند: (٤٢٧/٥) قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

(٢) سورة العنكبوت، الآيتان: ١ - ٢.



الفصل الثاني الذين يحبهم الله

ويتضمن تمهيداً والمباحث التالية:

المبحث الأول: المتقون.

المبحث الثاني: المحسنون.

المبحث الثالث: الصابرون.

المبحث الرابع: التوابون.

المبحث الخامس: المتطهرون.

المبحث السادس: المتوكلون.

المبحث السابع: المقسطون.

المبحث الثامن: المقاتلون في سبيل الله.



تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين
محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

قال بعض الحكماء والعلماء: (ليس الشأن أن تحب وإنما الشأن أن
تُحِبُّ)^(١) فالمرء له أن يحب، وأن يحب ما يريد حبه، وإذا ظفر بحب
الخلق له فهذا يضيء على حياته السعادة، فما بالك بمحبة الخالق عزَّ شأنه
له، فهو قمة السعادة وغاية المقصود، ونهاية المنتهى الذي يصبو إليه - المرء
- في دنياه وآخرته.

وحب الله لعباده ثابت في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ﴾^(٢) وقد بين القرآن الكريم أن محبة الله عزَّ وجلَّ خاصة بذوي
الأعمال العظيمة التي تفوق في قيمتها ومنزلة العاملين بها ما سواها من
جنسها، وأن هذه الأوصاف التي بينها الله في كتابه هي أمهات الأخلاق
ومنابع الفضائل النفسية، ولها من السمو عما يشاركها في أصل معناها ما
يجعلها جديرة بالحب الذي هو فوق مجرد القبول والرضا.

ولعل من أبرز فوائد معرفة ما يحبه الله ويرضاه: هو الوصول إلى

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٥٣٦).

(٢) سورة المائدة، بعض آية: ٥٤.

درجة الولاية، والتقرب بالطاعات إلى الله تعالى بواسطتها والإنابة إليه والتوبة منه، الدعاء والتوسل بالعمل الصالح، والتحلي بالخصال المرضية والمحبية إلى الله سبحانه وتعالى.

وإليك أن تتعرف على هذه الأوصاف العظيمة، حتى تقتدي بها، وتنال محبة الله لك. وهي ثمان صفات يحبها الله في عباده المؤمنين.



المبحث الأول: المتقون

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧٦) (١).

وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَكُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٤) (٢).

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧) (٣).

التقوى لغة:

هي من وقى: وقاه الله وقياً ووقاية: صانه - و - وقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته (٤) - و - وقيت الشيء واتقيتُهُ (٥) - و - وقيتُهُ أقيه وقياً (٦).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧.

(٤) لسان العرب (٤٠١/١٥) مادة وقى.

(٥) مجمل اللغة (٩٣٣/٤).

(٦) معجم مقاييس اللغة (١٣١/٦).

قال الأزهري^(١): وأصل الحرف وقي يقي، ولكن التاء صارت لازمة لهذه الحروف فصارت كالأصلية، والتاء فيها مبدلة من الواو لأن أصلها من الوقاية، وتقديرها اوتقي، فقلبت تاء وأدغمت، فلما كثر استعمالها توهموا أن التاء من نفس الحرف فقالوا اتقى يتقي، بفتح التاء فيها^(٢).

والتقوى اسم، وموضع التاء واو وأصلها وقوى من وقيت، فلما فتحت قلبت الواو تاء، ثم تركت التاء في تصريف الفعل على حالها في التقي والتقوى والتقية والتقي والاتقاء. والجمع: التقاة^(٣).

والوقاية: ما يقي الشيء. واتق الله: توفه، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية^(٤).

قال أبو بكر: (رجل تقي، ويجمع أتقياء، معناه أنه موق نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح)^(٥).

والتقوى اصطلاحاً:

وعند أهل الحقيقة: (هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك)^(٦).

حب الله للمتقين:

وقد ورد حب الله تعالى لهذه الصفة - صفة التقوى - في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، أحدهما في سورة آل عمران واثنتان في سورة التوبة.

(١) محمد بن أحمد بن الأزهر، أبو منصور الهروي، الأزهري الشافعي، كان أحد الأئمة في اللغة والأدب، ولد في هراه (هراسان) سنة ٢٨٢ ومات فيها سنة ٣٧٠، وله مصنفات كثيرة منها: «تهذيب اللغة» و«معرفة الصبح» وغيره. المعجم المفصل (٦٤/٢)، وأبجد العلوم (٧/٣).

(٢) تهذيب اللغة (٣٧٥/٩)، (٣٧٦).

(٣) لسان العرب (٤٠٤/١٥).

(٤) معجم مقاييس اللغة (١٣١/٦).

(٥) لسان العرب (٤٠١/١٥).

(٦) التعريفات ص ٦٥.

ففي سورة آل عمران قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧٦) (١).

وقال أبو جعفر الطبري (٢): (وهذا إخبار من الله عز وجل عن من أدى أمانته إلى من ائتمنه عليها اتقاء الله ومراقبته، عنده، بلى ومن أوفى بعهده الله الذي عاهده في كتابه، فأمن بمحمد ﷺ وصدق به وبما جاء به من الله، في أداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها، وغير ذلك من أمر الله ونهيه، واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به، وسائر معاصيه التي حرّمها عليه، فاجتنب ذلك مراقبة وعيد الله وخوف عقابه فإن الله يحب الذين يتقونه فيخافون عقابه ويحذرون عذابه، فيجتنبون ما نهاهم عنه وحرّمه عليهم ويطيعونه فيما أمرهم به) (٣).

ويقول الإمام الرازي: (بيّنت الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدِينَكَ لِأَنْ يُوَدِّعَهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) (٤).

- انقسام الناس إلى قسمين: بعضهم أهل أمانة، وبعضهم أهل خيانة، ومنهم من يرد الأمانة على الرغم من عظمها وكثرتها ومنهم من يخون الأمانة على الرغم من قلتها، أعقبها الله تعالى أن أهل الوفاء بالعهد والتقى هم الذين يحبهم الله لا غيرهم) (٥).

وقال السيد محمد رضا في تفسير المنار: (من أوفى بعهده الذي عاهد به الله أو الناس واتقى الإخلاف والغدر والاعتداء فإن الله يحبه فيعامله

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.

(٢) محمد بن جرير بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر رأس المفسرين، على الإطلاق، أصله من أهل طبرستان، وله التصانيف العظيمة منها: «تفسير القرآن» وهو أجل التفاسير، لم يؤلف مثله كما ذكره العلماء، ت ٣١٠هـ. طبقات المفسرين - س - ص ٨٢، والأعلام (٦/٦٩).

(٣) جامع البيان (٣/٣١٨).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

(٥) التفسير الكبير (٨/٢٦٤).

معاملة المحبوب بأن يجعله محل عنايته ورحمته في الدنيا والآخرة^(١).

وأما في سورة التوبة فقد ورد حُبَّ الله لهذه الصفة بعد الوفاء بالعهد الذي عقده محمد ﷺ مع بعض قبائل المشركين، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَتْهُمْ إِلَىٰ عَهْدِهِمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

وقال الإمام البغوي^(٣): (هذا استثناء من قوله ﴿بِرَأْيِهِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤)، إلا من عهد الذين عاهدتم من المشركين، وهم بنو ضمرة - حي من كنانة - أمر الله تعالى رسوله ﷺ بإتمام عهدهم إلى مدتهم، وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر، وكان السبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد، ولم يعاونوا عليكم أحداً من عدوكم، فأوفوا لهم بعهدهم إلى أجلهم الذي عاهدتموهم عليه)^(٥).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على أن مراعاة العهد من باب التقوى وأن التسوية بين الغادر والوفي منافية لذلك وإن كان المعاهد مشركاً^(٦).

وقال الشيخ ابن عاشور: (وجملة «إن الله يحب المتقين» تذييل في معنى التعليل للأمر بإتمام العهد إلى الأجل بأن ذلك من التقوى، أي من امتثال الشرع الذي أمر الله به، لأن الإخبار بمحبة الله للمتقين عقب الأمر كناية عن كون المأمور به من التقوى)^(٧).

(١) تفسير المنار (٢٨١/٣).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤.

(٣) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر العلامة القدوة، صاحب التصانيف «شرح السنة» و«معالم التنزيل»، ت ٥١٦ هـ. البداية والنهاية (١٩٣/١٢)، والنبلاء (٤٣٩/١٩).

(٤) سورة التوبة، الآية: ١.

(٥) معالم التنزيل (٢٢٧/٢).

(٦) روح المعاني (٤٩/١٠).

(٧) التحرير والتنوير (١١٣/١٠).

وكذا في الآية التالية لهذه الآية في سورة التوبة، حيث قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧) (١).

أي كيف للمشركين الناكثين للعهد عهد محترم عند الله وعند رسوله، ثم استدرك واستثنى الذين عاهدتم عند المسجد الحرام، وهم بنو بكر وبنو ضمرة - الذين - لم ينقضوا عهودهم المعقودة معهم يوم الحديبية، أي ليس العهد إلا لهؤلاء الذين لم ينقضوا ولم ينكثوا، فحكمهم أنهم ما داموا استقاموا لكم فاستقيموا لهم، أي فما أقاموا على الوفاء بعهدكم، فأقيموا لهم على مثل ما أقاموا لكم...

ثم أكد الله تعالى ضرورة الوفاء لهم بالعهد بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أي يرضى الذين يوفون بالعهد، ويتقون الغدر ونقض العهد. وهذا تعليل لوجوب الامتثال بأن مراعاة العهد من باب التقوى، وإن كان المعاهد مشركاً (٢).

والمتبع لهذه الآيات الثلاث يجد أنها جميعاً تتعرض لأهمية الوفاء سواء كان بين متحاربين، أو في الالتزام بالأمانة والمحافظة عليهما، وقد بين الإمام الرازي العلة في ذلك قائلاً: (إن هذه الآية دالة على تعظيم أمر الوفاء بالعهد، وذلك لأن الطاعات محصورة في أمرين التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معاً، - لأن ذلك - سبب لمنفعة الخلق، فهو شفقة على خلق الله، ولما أمر الله به، كان الوفاء به تعظيماً لأمر الله، فثبت أن العبارة مشتملة على جميع أنواع الطاعات والوفاء بالعهد، كما يمكن في حق غيرنا يمكن أيضاً في حق النفس لأن الوافي بعهد النفس هو الآتي بالطاعات والتارك للمحرمات، ولأنه عند ذلك تفوز النفس بالثواب وتبعد عن العقاب) (٣).

(١) سورة التوبة، الآية: ٧.

(٢) التفسير المنير (١١٨/١٠) بتصرف.

(٣) التفسير الكبير (٢٦٥/٨).

ولعل السبب في حب الله عزّ وجلّ للمتقين، فلأن المتقي جعل نصب عينه رضى الرحمن، وصرف نفسه عن صفات الذنوب فضلاً عن كبائرها، فهو في خوف ووجل من الحق سبحانه، شديد الاحتراز عن أن لا تزل إحدى جوارحه في المعصية، متجهاً بقلبه وكيانه وجميع أعضائه إلى الله سبحانه وتعالى، مستشعراً بمراقبة الله له، فهو مع الله وبالله والله، فلذا ظفر بحب الله - عزّ وجلّ - له .

أنواع التقوى:

والتقوى أنواع .

أدناها: اجتناب الشرك .

وأعلاها: التنزه عما يشغل سر المسلم عن الله تعالى، والتبتل إليه، وهي التقوى الحقيقية والمرادة بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾^(١) وذلك بأن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر .

وجوه التقوى:

قيل التقوى على وجوه: فللعامة تقوى الشرك، وللخاصة تقوى المعاصي، وللأولياء تقوى التوسل بالأفعال، وللأنبياء نسبة الأفعال إذ تقواهم منه وإليه . وأول ما توأصى به المقربون، وتداوله الناجون، وأول ما سلكه النبلاء وتزين به العقلاء وهو التحلي بحلية التقوى، والصبر مضض البلوى من غير شكوى^(٢) .

ثمرات التقوى:

لهذه الصفة الرفيعة ثمرات عديدة، تنعكس على صاحبها فيجد ذلك

(١) سورة آل عمران، بعض آية: ١٠٢ .

(٢) أدب الخلق في الإسلام ص ٤٠-٤١ .

في حياته الدنيا، وكذلك في الآخرة، فمن هذه الثمرات:

في الدنيا:

١ - الانتفاع بالقرآن الكريم والهداية به، قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١). وقليل ممن يقرأ كتاب الله ينتفع به.

٢ - تعليم الله تبارك وتعالى للمتقين، قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢). فإن التقوى تفتح قلوبهم للمعرفة، وتهيء أرواحهم للتعلم ليقوموا بحق الطاعة.

٣ - معية الله سبحانه للمتقين، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، ونيل معية الله سبحانه هدف تصبو إليه النفوس المؤمنة بالله سبحانه.

٤ - صرف الخوف والحزن عن المتقين. يقول الله عز وجل: ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤) ولعل العلة في ذلك استشعارهم بمعية الله فلذا انصرفت الأمراض عنهم، لأنفسهم المطمئنة.

٥ - فتح الخيرات لهم من السماء والأرض. يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٥). فينزل الله الغني المdrار المطر من السماء عليهم، وتفجر الأرض عن خيراتها المكنوزة فيها.

٦ - الحفظ من وساوس الشيطان، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٢) سورة البقرة، بعض آية: ٢٨٢.

(٣) سورة البقرة، بعض آية: ١٩٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣٥.

(٥) سورة الأعراف، بعض آية: ٩٦.

أَتَقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿١٦٦﴾^(١) وكثير منا من يقع تحت شباك وسوسة الشيطان دون معرفة ذلك، وقليل من هذا الكثير من يفطن إلى هذه الوسوسة وصرها عن نفسه.

٧ - الظفر بالولاية من عند الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلًا يَعْتَدِبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ﴾^(٢) والولاية درجة عالية يتنافس المؤمنون للوصول إليها.

٨ - الخروج من الأزمت، والرزق من غير ما يُحتسب. قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٣) وما أكثر الأزمت التي يتعرض لها الإنسان في دنياه ويحتاج إلى من يُخلصه منها.

وفي الآخرة:

٩ - النجاة من النار، يقول سبحانه: ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧٦﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٧﴾﴾^(٤) هل هو الصراط أم النار! فإن المرور بالصراط الذي فوق النار فيه الشعور بلهيب النار، والدخول فيها أشد من المرور عليها، فإذا ظفروا بأي منهما فهم ناجون.

١٠ - حسن العاقبة، يقول الحق: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعِزَّةُ لِلنَّعْوَى﴾^(٥).

١١ - الفوز والنجاة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٤.

(٣) سورة الطلاق، بعض آيات: ٢-٣.

(٤) سورة مريم، الآيات: ٧١ - ٧٢.

(٥) سورة طه، الآية ١٣٢.

اللَّهُ وَيَتَّقَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ (١) الفوز يرضي الرحمن وبما أعد للمتقين من الجنان.

١٢ - الصداقة الراححة، يقول الحق: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (١٧) (٢) وتشن العداوة بين جميع الصداقات في الآخرة إلا صداقة المتقين فهي الراححة.

١٣ - استقبال الملائكة وسلامهم، يقول سبحانه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (٧٣) (٣).

١٤ - الانضمام لوفد الرحمن، يقول الحق: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٥) (٤).

١٥ - الجنات والأنهار، ومقعد الصديق. يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ (٥) وهذه صورة للنعيم بطرفيه ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ (٦).



-
- (١) سورة النور، الآية ٥٢.
(٢) سورة الزخرف، الآية ٦٧.
(٣) سورة الزمر، الآية ٧٣.
(٤) سورة مريم، الآية ٨٥.
(٥) سورة القمر، الآيتان ٥٤ - ٥٥.
(٦) التقوى ص ١١٦ بتصرف.

المبحث الثاني: المحسنون

قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥) ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَطِيبِ وَالْفَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) ﴿٢﴾.

وقال تعالى: ﴿فَقَالَتْ لَهُمْ اللَّهُ ثَوَابِ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤٨) ﴿٣﴾.

وقال تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نُزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٣) ﴿٤﴾.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٣) ﴿٥﴾.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٩٣.

الإحسان لغة:

الحُسْنُ: ضد القُبْحِ ونقيضه^(١).

قال الأصفهاني: (الحُسْنُ: عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب:

مُستَحْسَنٌ من جهة العقل.

ومُستَحْسَنٌ من جهة الهوى.

ومُستَحْسَنٌ من جهة الحِسِّ)^(٢).

قال الليث: الحَسَنُ: نعت لما حَسُنَ، والمصدر: حَسُنَ يَحْسُنُ حُسْنًا^(٣).

والجمع: مَحَاسِينُ، على غير قياس كأنه جمع مَحْسِنٍ^(٤).

والمَحَاسِنُ: يعني به المواضع الحَسَنَةَ في البَدَنِ^(٥).

والمَحَاسِينُ في الأعمال ضِدُّ المساوئ^(٦).

والإحسان: ضد الإساءة^(٧).

وقال الإمام الرازي: (إن العلماء اختلفوا في أن المحسن مشتق من

ماذا؟

الأول: أنه مشتق من فعل الحسن وأنه كثر استعماله فيمن ينفع غيره

(١) مجمل اللغة (٢٣٣/١) ولسان العرب (١١٤/١٣) ومختار الصحاح (٥٨/١) مادة حسن.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٣٥.

(٣) تهذيب اللغة (٣١٤/٤).

(٤) لسان العرب (١١٤/١٣) ومختار الصحاح (٥٨/١).

(٥) تهذيب اللغة (٣١٤/٤).

(٦) تهذيب اللغة (٣١٥/٤)، ومجمل اللغة (٢٣٣/١)، ومختار الصحاح ص ٥٨.

(٧) تهذيب اللغة (٣١٥/٤)، ولسان العرب (١١٧/١٣).

حسن من حيث أن الإحسان حسن في نفسه، وعلى هذا التقدير فالضرب والقتل إذا حَسُنَا كان فاعلهما محسناً.

الثاني: أنه مشتق من الإحسان، ففاعل الحسن لا يوصف بكونه محسناً إلا إذا كان فعله حسناً وإحساناً معاً، فالاشتقاق إنما يحصل من مجموع الأمرين^(١).

وفسر النبي ﷺ الإحسان حين سأله جبريل، صلوات الله عليهما وسلامه، فقال: «هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٢)، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٣) وأراد بالإحسان الإخلاص، وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام معاً، وذلك أن من تلفظ بالكلمة وجاء بالعمل من غير إخلاص لم يكن مُحْسِنًا، وإن كان إيمانه صحيحاً، وقيل: أراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحُسن الطاعة، فإن من راقب الله أَحْسَنَ عمله، وقد أشار إليه في الحديث بقوله: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، وقوله عز وجل: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٤) أي ما جزاء من أحسن في الدنيا، إلا أن يُحْسَنَ إليه في الآخرة.

وأحسَنَ به الظن: نقيضُ أساءه^(٥).

والإحسان يقال على وجهين:

أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان.

والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً، أو عمل عملاً حسناً، وعلى هذا قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: (الناس أبناء ما

(١) التفسير الكبير (٢٩٦/٥).

(٢) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الإيمان - باب سؤال جبريل وبيان النبي له (١٥٢/١) ح (٥).

(٣) سورة النحل، بعض آية: ٩٠.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

(٥) لسان العرب (١١٧/١٣).

يحسنون) أي: منسوبون إلى ما يعلمونه وما يعملونه من الأفعال الحسنة^(١).

قال الكفوي: الإحسان هو فعل ما ينفع غيره بحيث يصير غيره حسناً به، كإطعام الجائع. أو يصير الفاعل حسناً بنفسه^(٢).

والإحسان شرعاً:

أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك^(٣).

والإحسان على هذا الأساس هو كمال الحضور مع الله تعالى، والمراقبة الجامعة لخشيته، والإخلاص له، بأن يحسن الإنسان قصده، فيجعله خالصاً متجرداً لله، فلا يستجيب ولا يطيع إلا كلمة ربه، وأمر دينه، وأن يقدم على تنفيذ ما أمر الله به في قوة وعزم، بلا ضعف أو رهن، وأن يصفى نفسه من الشوائب والأهواء، وأن يجعل نفسه كالمهاجر الدائم إلى الله عز وجل^(٤).

وقفه مع التعريف:

عَرَفَ النبي ﷺ الإحسان عندما سأله جبريل عليه السلام قائلاً: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

قال الإمام ابن حجر: (والإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود، وأشار في الجواب إلى حالتين أرفعهما أن يغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه بعينه وهو قوله: «كأنك تراه» أي وهو يراك، والثانية أن يستحضر أن الحق مطلع عليه يرى كل ما يعمل وهو قوله: «فإنه يراك». وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة الله وخشيته.

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٣٦.

(٢) الكليات ص ٥٣.

(٣) التعريفات ص ٢٣.

(٤) موسوعة أخلاق القرآن (٤٤/٢).

قال ابن حجر نقلاً عن الإمام النووي: إنك تراعي الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك، لكونه يراك لا لكونك تراه فهو دائماً يراك، فأحسن عبادته وإن لم تراه، فتقدير الحديث: فإن لم تكن تراه فاستمر على إحسان العبادة فإنه يراك^(١).

ويقول الشيخ محمد الغزالي في ذلك: ورؤية وجه الله تعالى في العمل هي الباعث على إجادته، والحاوي على إتقانه، وهي ليست تخيلاً لقوة موهومة، بل هي شعور بالوجود القائم، وإدراك لحقه. فإذا لم يبلغ المرء هذه المرتبة من الحسن فلن ينزل عن المرتبة الأخرى، وهي الشعور بإشراف الله ورقابته عليه وعلى كل شيء حوله^(٢).

حب الله للمحسنين:

انفردت فضيلة الإحسان عن بقية الفضائل التي يحبها الله عز وجل، بأنها الفضيلة الوحيدة التي ذكرت خمس مرات في آيات مختلفة بهذا النص ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهذا يدل على المكانة الرفيعة التي يحتلها هذا الخلق بالنسبة لبقية الأخلاق، وعلى احتوائه على كثير من المعاني الجليلة التي يأمرنا بها الله عز وجل، فلذا قال العلامة ابن القيم عنه: (الإحسان خلق جامع لجميع أبواب الحقائق، وفيه لب الإيمان وروحه وكماله)^(٣).

وحب الله للمحسنين، ورد في خمس صور للإحسان:

الأولى: الإحسان في النفقة في سبيل الله:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤) ورد الأمر بالإحسان بعد الأمر

(١) فتح الباري (١/١٥٩).

(٢) الجانب العاطفي في الإسلام ص ٦٣.

(٣) مدارج السالكين (٢/٤٧٩).

(٤) آية ١٩٥.

بالإنفاق في سبيل الله، والنهي عن الإسراف أو ترك النفقة في سبيله.

قال الإمام الطبري: (يعني جلّ ثناؤه بقوله «وأحسنوا»، أحسنوا أيها المؤمنون في أداء ما ألزمتكم من فرائضي، وتجنب ما أمرتكم بتجنبه من معاصي. ومن الإنفاق في سبيلي، وعود القوى منكم على الضعيف ذي الخلة، فإني أحب المحسنين في ذلك. وعن عكرمة (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) قال: أحسنوا الظن بالله، يبركم^(١).

وقال الرازي: (وقوله: «وأحسنوا» فيه وجوه (أحدهما) قال الأصم: أحسنوا في فرائض الله، (وثانيهما) وأحسنوا في الإنفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقتة والمقصود منه أن يكون ذلك الإنفاق وسطاً فلا تسرفوا ولا تقتروا، وهذا هو الأقرب لاتصاله بما قبله)^(٢).

ولعل الإحسان في هذه الآية يتضح في الاعتدال في النفقة في كل مجال من مجالاتها سواء كانت النفقة على الأسرة ومن يعيله أو النفقة في سبيل الله مثل الجهاد في سبيل الله ومشاريع الخير، لما للاعتدال في النفقة من الأثر الإيجابي في استقرار المورد المادي وثباته، وله أثر تربوي سليم في تنشئة الأبناء.

والثانية: الإحسان في النفقة وكظم الغيظ والعفو عن الناس:

وذكر سبحانه وتعالى حبه لفضيلة الإحسان بعد أن عدد جملة من الفضائل الكريمة التي يركز عليها بناء المجتمع وهي الإنفاق في الشدة واليسر، وكظم الغيظ عند الغضب، والعفو عن الآخرين عند المقدرة. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُومِ وَالْعَفَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).

(١) جامع البيان (٢/٢١٢).

(٢) التفسير الكبير (٥/٢٩٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

وقال الشهيد سيد قطب^(١): (والذين يجودون بالمال في السراء والضراء محسنون. والذين يجودون بالعفو والسماحة بعد الغيظ والكظم محسنون والله (يحب) المحسنين... والحب هنا هو التعبير الودود الحاني المشرق المنير، الذي يتناسق مع ذلك الجو اللطيف الوضيء الكريم.

ومن حب الله للإحسان وللمحسنين، ينطلق حب الإحسان في قلوب أحبائه. وتنبت الرغبة الدافعة في هذه القلوب. فليس هو مجرد التعبير الموحى، ولكنها الحقيقة كذلك وراء هذا التعبير.

والجماعة التي يحبها الله، وتحب الله... والتي تشيع فيها السماحة واليسر والطلاقة من الإحسان والإضغان... هي جماعة متضامنة، وجماعة متآخية، وجماعة قوية^(٢).

قال العلامة الألوسي في قوله ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: (تذيل المضمون ما قبله - وأل - إما للجنس والمذكورون داخلون فيه دخولاً أولياً وإما للعهد وعبر عنهم بالمحسنين على ما قيل: إيداناً بأن النعوت المعدودة من باب الإحسان الذي هو الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي. ويمكن أن يُقال: الإحسان هنا بمعنى الإنعام على الغير على وجه عار عن وجوه القبح، وعبر عنهم بذلك للإشادة إلى إنهم في جميع تلك النعوت محسنون إلى الغير لا في الإنفاق فقط)^(٣).

والمعنى إن الله يحب المحسنين، وهم الذين يوقعون الأعمال الصالحة مراقبين الله كأنهم مشاهدوه، وقال الحسن: الإحسان أن تعم ولا تخص،

(١) سيد بن قطب بن إبراهيم. مفكر إسلامي مصري ولد سنة ١٣٢٤هـ، تخرج بكلية دار العلوم (القاهرة)، له مؤلفات عديدة منها: «التصوير الفني في القرآن» و«في ظلال القرآن»، أعدم ١٣٨٧هـ. الأعلام (١٤٧/٣).

(٢) في ظلال القرآن (١/٤٧٥).

(٣) روح المعاني (٤/٥٩).

كالرياح والمطر والشمس والقمر، وقال الثوري^(١): الإحسان أن تحسن إلى المسيء، فإن الإحسان إليه مناجزة كنفذ السوق: خذ مني وهات^(٢).

وفي هذه الآية اتسعت دائرة الإحسان فلم تقتصر على النفقة وإنما شملت بعض المواقف التي تمرّ على المرء في حياته اليومية كالغضب فعليه أن يحسن في كظم غيظه ولا يسرع في إساءة التصرف، وكذا في حالة اعتداء الآخرين عليه إن استطاع أن يحسن فيعفو عنهم فليعفو، فإذا كان الإحسان مطلوباً في المواقف الصعبة التي يتعرض لها المرء فما بالك في المواقف التي هي أسهل من ذلك.

والثالثة: الإحسان في الجهاد:

وقد ذكر سبحانه وتعالى حبه لفضيلة الإحسان في آية أخرى كذلك في سورة آل عمران: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾^(٣).

قال الإمام الطبري: (يعني بذلك تعالى ذكره: فأعطى الله الذين وصفهم بما وصفهم، من الصبر على طاعة الله بعد مقتل أنبيائهم، وعلى جهاد عدوهم، والاستعانة بالله في أمورهم، واقتنائهم مناهج إمامهم على ما أبلوا في الله (ثواب الدنيا) يعني جزاء في الدنيا، وذلك النصر على عدوهم وعدو الله، والظفر، والفتح عليهم، والتمكين لهم في البلاء، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾. يعني: وخير جزاء الآخرة على ما أسلفوا في الدنيا من أعمالهم

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله الكوفي، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، من رؤوس الطبقة السابعة، وكان ربما دلس، ت ١٦١هـ وهو ابن ٦٤. تقريب التهذيب ص ٢٤٤، المعارف ص ٤٩٧.

(٢) البحر المحيط (٦٣/٣).

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ١٤٦ - ١٤٨.

الصالحة، وذلك الجنة ونعيمها^(١).

قال الشيخ ابن عاشور: (إعلام بتعجيل إجابة دعوتهم لحصول خيرَي الدنيا والآخرة، فتواب الدنيا هو الفتح والغنيمة، وثواب الآخرة وهو ما كتب لهم حينئذ من حسن عاقبة الآخرة، ولذلك وصفه بقوله: ﴿وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ لأنه خير وأبقى.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ تذييل أي يُحب كل محسن، وموقع التذييل هنا يدل على أَنَّ الْمُتَحَدِّثَ عَنْهُمْ هُم الَّذِينَ أَحْسَنُوا^(٢).

وعن ابن إسحاق^(٣): ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فعل الله ذلك بهم بإحسانهم، فإنه يحب المحسنين، وهم الذين يفعلون مثل الذي وصف عنهم تعالى ذكره أنهم فعلوه حين قتل نبيهم^(٤).

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال السيد محمد رضا: (لأنهم خلفاؤه في الأرض يقيمون سنته، ويظهرون بأنفسهم وأعمالهم حكمته، فيكون عملهم لله وبالله كما ورد في صفة العبد الذي يحبه الله «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها» أي أن مشاعره وأعماله لا تكون مشغولة إلا بما يرضي الله ويقيم سننه ويظهر حكمه في خلقه)^(٥).

وقال أبو حيان: وفسر المفسرون الإحسان بأحد قولين، وهو من أحسن ما بينه وبين ربه في لزوم طاعته، أو من ثبت في القتال مع نبيه حتى يقتل أو يغلب^(٦).

(١) جامع البيان (٤٦٦/٢).

(٢) التحرير والتنوير (١٢١/٤).

(٣) إبراهيم بن المسري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، عالم بالنحو واللغة من كتبه: «معاني القرآن» و«خلق الإنسان»، ت ٣١١ هـ. الأعلام (٤٠/١)، تاريخ بغداد (٨٧/٦).

(٤) جامع البيان (٤٦٦/٢).

(٥) تفسير المنار (١٤٢/٤).

(٦) البحر المحيط (٨٢/٣).

ويكمن حُب الله - عزّ وجلّ - للمحسنين في هذه الآية لمن أحسن القتال في مُجابهة الأعداء، فنال ثواب الدنيا بالنصر والفتح والغنيمة، وله حسن الثواب في الآخرة لأنه نال ثواب دائم وباقى لا يفنى ولا يزول.

والرابعة: الإحسان في العفو عن أهل الكتاب:

وقد عد سبحانه وتعالى العفو عن الكافر من جملة الإحسان التي يجب أن يتحلّى به المؤمن في معاملته في الحروب، فقال سبحانه: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ بِإِثْقَانِهِمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾^(١).

قال الإمام البيضاوي: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ بِإِثْقَانِهِمْ لَعْنَتُهُمْ﴾ طردناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا تنفعل عن الآيات والنذر أو بمعنى رديئة ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ استئناف لبيان قسوة قلوبهم فإنه لا قسوة أشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾ وتركوا نصيباً وافياً ﴿وَمِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من التوراة ومن اتباع محمد ﷺ والمعنى أنهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما إنزل عليهم فلم ينالوه ﴿وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ خيانة منهم أو فرقة خائنة أو خائن والمعنى أن الخيانة والغدر من عادتهم وعادة أسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ﴾ إن تابوا وأمنوا أو عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ تعليل للأمر بالصفح وحث عليه وتنبه على أن العفو عن الكافر الخائن إحسان فضلاً عن العفو عن غيره^(٢).

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال السيد محمد رشيد

(١) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص ١٤٤.

رضا: (فاعف عما سلف من هؤلاء القليل واصفح عن مسيئتهم وعاملهم بالإحسان الذي يحبه الله تعالى، وأنت أيها الرسول أحق الناس بتحري ما يحبه الله، وهذا رأي أي مسلم. أو فاعف عما سلف من جميعهم واضرب عنه صفحاً، إيثاراً للإحسان والفضل على ما يقتضيه العدل)^(١).

فإذا كان العفو عن المؤمن يُعد من الإحسان، والعفو عن غير المسلم أيضاً يُعد من الإحسان، وإذا كنا مُطالبين في العفو عن الكافرين، فالعفو عن المسلمين أولى وأقرب إلى الله.

فهذه الآية تدلل على شمولية دائرة الإحسان واتساع نطاقه حتى في التعامل مع غير المسلم على الرغم من اعتدائه على المسلم فالله يأمرنا بالعفو عنهم والصفح عن زلاتهم لأنه من صفات المحسنين.

والخامسة: الإحسان بالخوف من الله والتقرب إليه بالنوافل:

وبيّن الله سبحانه وتعالى أن من الإحسان التقرب إلى الله بنوافل الأعمال التي سنّها المصطفى ﷺ، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَاللَّهُ يُوِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

أورد ابن كثير في تفسيره عن سبب نزول الآية، قائلاً:

قال أحمد بن حنبل: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا إسرائيل عن سماك، عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما حرمت الخمر قال ناس: (يا رسول الله أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها، قال: «ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا»)^(٣).

ويذكر الإمام أبو جعفر الطبري كلاماً جميلاً هنا فيقول: (إن الالتقاء الأولى هي مخافة الله ومراقبته، وتصديق الله ورسوله فيما أمرهم ونهاهم

(١) تفسير المنار (٢٣٦/٦).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم (١٥٦/٢).

فأطاعوهما، واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه الله في ذلك مما كلفهم بذلك ربهم، وإن التقوى والإيمان الثانية هي مخافة الله ومراقبته باجتناب محارمه بعد ذلك التكليف، فثبتوا على اتقاء الله في ذلك والإيمان به، ولم يغيروا ولم يبدلوا، وأما التقوى الثالثة التي أضيفت إليها الإحسان هي الخوف من الله، فدعاهم خوفهم الله إلى الإحسان، وذلك (الإحسان) هو العمل بما لم يفرضه عليهم من الأعمال، ولكنه نوافل تقربوا بها إلى ربهم طلب رضاه وهرباً من عقابه، والله يحب المتقربين إليه بنوافل الأعمال التي يرضاهما^(١).

وذكر الألويسي نقلاً عن العلامة الطيبي إن معنى الآية أنه ليس المطلوب من المؤمنين الزهادة عن المستلذات وتحريم الطيبات وإنما المطلوب منهم الترقى في مدارج التقوى والإيمان إلى مراتب الإخلاص واليقين ومعارج القدس والكمال وذلك بأن يثبتوا على الاتقاء عن الشرك وعلى الإيمان بما يجب الإيمان به وعلى الأعمال الصالحة لتحصل الاستقامة التامة التي يتمكن بها إلى الترقى إلى مرتبة المشاهدة ومعارج أن تعبد الله كأنك تراه وهو المعنى بقوله تعالى: «وأحسنوا» وبها يمنح الزلفى عند الله تعالى ومحبته سبحانه المشار إليها بقوله عز وجل ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

وتجلى الإحسان في هذه الآية في حسن علاقة العبد بربه، وذلك بأنه لا يكتفي في أداء الفرائض التي افترضها الله عليه وإنما يرتقي في العلاقة بأداء النوافل من الطاعات باختلاف صورها من (صلاة، وصيام، وصدقة، وعمرة، وأعمال برّ...) يبتغي فيها وجه الله ومرضاته، فالإحسان هنا هو الزيادة فيما فرض الله من عبادة.

صور من الإحسان:

للإحسان صور عديدة، ومجالات رحبة، وفرص متنوعة، لا يمكن حصرها في أمر معين أو دائرة محددة، بل هو أوسع من ذلك وأشمل فهو

(١) جامع البيان (٣٧/٥).

(٢) روح المعاني (٢١/٧).

يخرج من دائرة العبادة ليشمل العمل والمعاملة ويتعدى هذه الحدود ليشمل جميع مجالات حياة الإنسان التي يبدها في الصباح وينتهي بها في المساء، - ولذا - نسلط الضوء على ذلك ابتداءً بالعبادة.

١ - الإحسان في العبادة:

العبادة - هي الصلة بين العبد وخالقه، وتتجلى هذه العبادة في أداء ما افترضه الله عزّ وجلّ على العباد ويكون الإحسان بها في الاتقان والإخلاص في أداء هذه الشعائر.

ففي الصلاة يتضح الإحسان بتدبر الآيات والخشوع والسكينة في أداء الحركات، والتي ينعكس أثرها على خلق المصلي وعمله.

وبالنسبة لأداء الزكاة يكون الإحسان بها في أن تكون من مال طاهر لم يمسه خبيث، وفي وقتها الذي حدده الشرع حسبما يُريد المزكي.

وفي الصوم يتجلى الإحسان بإخلاص النية، والامتناع عن المفطرات الحسية، ومنع الأعضاء عن استخدامها فيما لا يليق بالمسلم، ومنع العقل والقلب عن خواطر الإثم وأفكار السوء.

وفي الحج يكون الإحسان بالتجرد في الرحلة إلى الله، وبتأدية المناسك بما يوافق الشرع دون إفراط ولا تفريط.

٢ - الإحسان في المعاملة:

وأما المعاملة فهي صلة الإنسان بأخيه الإنسان مهما اختلف نوعه أو جنسه أو دينه وبهذه المعاملة تستطيع البشرية أن تحيا حياة طيبة أو حياة شقاوة، على وفق تعامل الأفراد فيها، ويكون:

في القول بانتقاء أطايب الحديث والبعد عن فحشه يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(١) وكذا بأداء التحية، يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا حُيِّمْتُمْ بِنَجِيَّتِهِ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِّ مِمَّا أَوْ رُدُّوهُا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا

(١) سورة البقرة، بعض آية: ٨٣.

كُلُّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ (١).

ومع الزوج والزوجة يكون الإحسان بحسن التبعل والمعاشرة اللطيفة والتي تستمر الحياة الزوجية ومع الأبناء بإحسان التربية إليهم، وتنشئتهم التنشئة الصالحة.

وبإحسان التعامل مع الوالدين فقد ركز الشرع الكريم على ذلك في سور عديدة فقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (٢) ويكون ببرهما في حياتهما والدعاء والاستغفار لهما بعد مماتهما.

ومع الأرحام بصلتهم والبرّ لهم والوفاء لذويهم وعدم مقاطعتهم.

وفي البيع والشراء يكون الإحسان بالمسامحة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى» (٣).

ويكون الإحسان في أداء العمل يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٤) ويكون الإحسان بالعفو عن الكافر بعد الحروب، فهذا النبي المصطفى ﷺ، عندما فتح مكة قال لأهلها: «أذهبوا فأنتم الطلقاء» مع قدرته على إنزاله بهم أقسى عقوبة بسوء معاملتهم له ولصحابته، ولكنه الخلق الرفيع من المصطفى الكريم محمد بن عبد الله ﷺ.

والخلاصة أن الإحسان لا يقتصر على العبادة والزيادة في النوافل، وإنما المُحسن وصف لإنسان يقيم أوامر الله كلها، في شئون الحياة كافة.

(١) سورة النساء، بعض آية: ٨٦.

(٢) سورة الأحقاف، بعض آية ١٥.

(٣) رواه البخاري في الصحيح: كتاب البيوع - باب السهولة والسماحة في الشراء (٤/٣٨٨) ح (٢٠٧٦).

(٤) سورة الكهف، بعض آية: ٣٠.

نماذج من المحسنين:

أولاً: في الامتثال لأمر الله:

● إبراهيم عليه السلام مع ابنه:

وقد ضرب القرآن الكريم نموذجاً فريداً في الإحسان، وتتضح الصورة في قصة إبراهيم عليه السلام عندما أقدم على ذبح ابنه إسماعيل، يقول الحق سبحانه: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّمَ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَّيْنَهُ أَنْ يَأْتِيَاهُمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾^(١).

وإبراهيم عليه السلام كان محسناً في غاية الإحسان، لأن الإحسان في هذه الحادثة يتمثل في تلك الطاعة المطلقة لله عز وجل بلا تردد ولا توقف من قبل إبراهيم عليه السلام حين امتثل لأمر ربه بذبح ابنه كما رأى في الرؤيا.

ثانياً: في كظم الغيظ والعفو والإحسان:

● علي بن الحسين مع الجارية:

فقد أخرج البيهقي أن جارية لعلي بن الحسين رضي الله عنهما جعلت تسكب عليه الماء ليتهياً للصلاة فسقط الإبريق من يدها فشجه فرفع رأسه إليها فقالت: إن الله يقول: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ فقال لها: قد كظمت غيظي. قالت: ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ قال: قد عفا الله تعالى عنك. قالت: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى^(٢).



(١) سورة الصافات، الآيات: ١٠٣ - ١٠٥.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان: باب في حسن الخلق - فصل من ترك الغضب، (٣١٧/٦) ح (٨٣١٧).

المبحث الثالث: الصابرون

قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١).

الصبر لغة:

من أسماء الله الحسنى: الصُّبُورُ تعالى وتقدس، وهو الذي لا يُعاجل العصاة بالانتقام (٢).

قال أبو إسحاق: الصبور في صفة الله تعالى الحليم (٣).

الصَّبْرُ: نقيضُ الجَزَعِ (٤).

قال الأصفهاني: (الصَّبْرُ: الإمساك في ضيق، يُقال: صَبَرْتُ الدَّابَّةَ: حَبَسْتُهَا بلا عَلفٍ، وَصَبَرْتُ فُلَانًا: خَلَفْتُهُ خِلْفَةً لا خروج له منها) (٥).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٢) لسان العرب (٤٣٧/٢) مادة صبر.

(٣) تهذيب اللغة (١٧٣/١٢).

(٤) انظر تهذيب اللغة (١٧١/١٢) ولسان العرب (٤٣٨/٤).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٧٤.

قال الجوهري: (الصبر حَبْسُ النفس عند الجزع، وقد صبر فلان عند المُصِيبَةِ يَصْبِرُ صَبْرًا، وَصَبْرَتُهُ أَنَا: حَبَسْتَهُ^(١)). قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾^(٢).

وصبرت نفسي على ذلك، أي حبستها^(٣).

وَالصَّبْرُ: حَبْسُ النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه^(٤).

وأصل الصَّبْرِ الحَبْسِ، وكل من حبس شيئاً فقد صبره^(٥).

والصبر اصطلاحاً:

قال ابن القيم: (الصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش)^(٦).

وقال الجرجاني^(٧): (هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله، لأن الله تعالى أثنى على أيوب بالصبر بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾^(٨)، مع دعائه في رفع الضر عنه بقوله: ﴿وَإِيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ: أُنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٩)، فعلمنا أن العبد إذا دعا الله

(١) لسان العرب (٤/٤٣٨) ومختار الصحاح ص ١٤٩.

(٢) سورة الكهف، بعض آية: ٢٨.

(٣) مجمل اللغة (٢/٥٤٩).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٧٤.

(٥) تهذيب اللغة (١٢/١٧١).

(٦) مدارج السالكين (٢/١٦٢).

(٧) هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، له العديد من المؤلفات منها: «التعريفات» و«مقاليم العلوم» وغيره، ت ٨١٦هـ. الأعلام (٥/٧)، والضوء اللامع (٥/٣٢٨).

(٨) سورة ص، بعض آية: ٤٤.

(٩) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.

تعالى في كشف الضر عنه لا يُقدح في صبره، ولثلا يكون كالمقاومة مع الله تعالى ودعوى التحمل بمشاقة. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَوُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ﴾ (٧٦) (١)، فإن الرضا بالقضاء لا يقدح فيه الشكوى إلى الله ولا إلى غيره، وإنما يقدح بالرضا في المقضى، والضر هو المُقضى به، وهو مقضى به على العبد، سواء رضي به أو لم يرض، وإنما لزم الرضا بالقضاء، لأن العبد لا بد أن يرضى بحكم سيده (٢).

حب الله للصابرين:

والصبر من الفضائل الخُلُقِيَّة التي يتحلى بها الإنسان، وهو النفحة الروحية التي يعتصم بها المؤمن فتخفف من بأسائه، وتبث في قلبه السكينة والطمأنينة، وتكون بلسماً لجراحاته التي يتألم منها، فالصابر يتلقى المكاره بالقبول، ويراهما من عند الله.

وعند التأمل ترى العناية الإلهية، تسوق إلينا الشدائد لحكمة عالية، والجاهل هو الذي يضرر ويحزن ويكتئب، أما العاقل فيلتمس وجوه الخير فيما يبتليه الله به من الشدائد.

وتتجلى العناية الإلهية في العصبية المؤمنة والتي قاتلت مع النبي ﷺ، ومدى ثباتها في مجابهة عدو يفوقها في العدد والعدة، وعزمها على نصرته نبيها وعدم التخلي عنه في آخر لحظة من لحظات القتال، ومحاولة تهدئة النفوس عما ألم بها من الخطوب من قتل وجراح وخوف وشكوك، وقد أثنى الله عز وجل عليهم فقال سبحانه: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٧٦.

(٢) التعريفات ص ١٤٩.

قال الإمام الطبري: (أي فما عجزوا لما نالهم من ألم الجراح الذي نالهم في سبيل الله، ولا لقتل من قُتل منهم، عن حرب أعداء الله، ولا نكلوا عن جهادهم، ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ يقول: وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم، ﴿وَمَا اسْتَكَاثُوا﴾، يعني وما زالوا فيتخشعوا لعدوهم بالدخول في دينهم وقد أهنئهم في خيفة منهم، ولكن مضوا قُدماً على بصائرهم ومنهاج نبيهم، وصبراً على أمر الله وأمر نبيهم، وطاعة الله واتباعاً لتزويله ووجيهه^(١).

وقال الإمام الرازي في تفسيره^(٢): (واعلم أنه تعالى مدح هؤلاء الربيين بصفات النفي وهو قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَاثُوا﴾ ولا بد من إظهار الفرق بين هذه الأمور الثلاثة:

قال صاحب الكشاف: (وما وهنوا عن قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو، وهذا تعويض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسولهم، ويضعفهم عند ذلك من مجاهدة المشركين واستكانتهم للكفار حتى أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبدالله بن أبي، وطلب الأمان من أبي سفيان)^(٣).

ويحتمل أيضاً أن يفسر الوهن باستيلاء الخوف عليهم، ويفسر الضعف بأن يضعف إيمانهم، وتقع الشكوك والشبهات في قلوبهم، والاستكانة هي الانتقال من دينهم إلى دين عدوهم.

وفيه وجه ثالث وهو أن الوهن ضعف يلحق القلب، وكل هذه الوجوه حسنة محتملة.

قال الرازي نقلاً عن الواحدي: (الاستكانة الخضوع، وهو أن يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد)^(٤).

(١) جامع البيان (٤/٤٦٣).

(٢) التفسير الكبير (٩/٣٨١) بتصرف.

(٣) الكشاف (١/٤١٦).

(٤) التفسير الكبير (٩/٣٨١).

ثم ختم الآية بقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره في سبيله فينصرهم ويعظم قدرهم^(١).

وأردف الإمام الرازي قائلاً: (والمعنى أن من صبر على تحمل الشدائد في طريق الله ولم يظهر الجزع والهلع فإن الله يحبه، ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن إرادة إكرامه وإعزازه وتعظيمه، والحكم له بالثواب والجنة، وذلك نهاية المطلوب)^(٢).

وقال الإمام البقاعي: (أي فليعلن بهم من النصر وإعلاء القدر وجميع أنواع الإكرام فعل من يحبه)^(٣).

وصدق الله العلي العظيم في حبه للصابرين، لأن الصابر استطاع أن يُصبر نفسه عن كل أمر ممكن بأن تعجز النفس البشرية على أن تصمد أمامه وكذلك استطاع بقوة الإرادة وصدق العزيمة أن يروض نفسه على مثل هذه الملمات بجميع أنواعها، وباختلاف أسمائها، بإيمان راسخ، ويقين ثابت بالأجر والثواب الجزيل من عند الله حتى يظفر بمحبة الله له.

الصبر في القرآن:

عني القرآن الكريم بالصبر ومدحه وأثنى على المتحلين به ثناء لا مزيد عليه، ورفع منزلته، وأعلى قدره، ونقل العلامة ابن القيم^(٤) عن الإمام رحمه الله تعالى: الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً، فلم تذكر فضيلة من الفضائل بهذا القدر، وهذا يدل على عظم أمره، وعلى المكانة العالية التي يحظى بها الصبر عن بقية الفضائل.

فلذا قال علي رضي الله عنه: (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من

(١) روح المعاني (٨٤/٤).

(٢) التفسير الكبير (٣٨١/٩).

(٣) نظم الدرر (٨٧/٥).

(٤) مدارج السالكين (١٥٨/٢).

الجسد^(١) ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أن لا جسد لمن لا رأس له.

وهو مذكور في القرآن على ستة عشر نوعاً، وكما وضحه ابن القيم^(٢):

الأول: الأمر به، نحو قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٣) وقوله: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾^(٤) وقوله: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٥).

الثاني: النهي عن ضده كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَّهُمْ﴾^(٦) وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾^(٧).

الثالث: الثناء على أهله، كقوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقانتِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّصِفِينَ بِالْأَسْحَابِ﴾^(٨) وقوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٩).

الرابع: إجابة سبحانه محبته لهم. كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(١٠).

الخامس: إجابة معيته لهم. وهي معية خاصة، تتضمن حفظهم ونصرهم، وتأيدهم. ليست معية عامة، وهي معية العلم،

(١) الحب بين العبد والرب ص ٧٥.

(٢) راجع مدارج السالكين (١٥٩/٢).

(٣) سورة البقرة، بعض آية: ١٥٣.

(٤) سورة آل عمران، بعض آية: ٢٠٠.

(٥) سورة النحل، بعض آية: ١٢٧.

(٦) سورة الأحقاف، بعض آية: ٣٥.

(٧) سورة آل عمران، بعض آية: ١٣٩.

(٨) سورة آل عمران، بعض آية: ١٧.

(٩) سورة البقرة، بعض آية: ١٧٧.

(١٠) سورة آل عمران، بعض آية: ١٤٦.

والإحاطة كقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

السادس: إخباره بأن الصبر خير لأصحابه كقوله سبحانه: ﴿وَلَيْنَ صَبْرَتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾^(٢).

السابع: إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم كقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

الثامن: إيجاب سبحانه الجزاء لهم بغير حساب كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٤).

التاسع: إطلاق البُشرى لأهل الصبر. كقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٥).

العاشر: ضمان النصر والمدد لهم. كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾^(٦).

الحادي عشر: الإخبار منه تعالى بأن أهل الصبر هم أهل العزائم. كقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنَ عَزِيهِ الْأُمُورِ﴾^(٧).

الثاني عشر: الإخبار أنه ما يُلقى من الأعمال الصالحة وجزائها والحفظ العظيمة إلا أهل الصبر. كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَنَهَا إِلَّا ذُو حَقٍّ عَظِيمٍ﴾^(٨).

(١) سورة الأنفال، بعض آية: ٤٦.

(٢) سورة النحل، بعض آية: ١٢٦.

(٣) سورة النحل، بعض آية: ٩٦.

(٤) سورة الزمر، بعض آية: ١٠.

(٥) سورة البقرة، بعض آية: ١٥٥.

(٦) سورة آل عمران، بعض آية: ١٢٥.

(٧) سورة الشورى، بعض آية: ٤٣.

(٨) سورة فصلت، بعض آية: ٣٥.

الثالث عشر: الإخبار أنه إنما ينتفع بالآيات والعبير أهل الصبر. كقوله تعالى لموسى: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (١).

الرابع عشر: الإخبار بأن الفوز المطلوب المحبوب، والنجاة من المكروه المرهوب، ودخول الجنة، إنما نالوه بالصبر. كقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢).

الخامس عشر: أن يورث صاحبه درجة الإمامة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (بالصبر اليقين تنال الإمامة في الدين). ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٣).

السادس عشر: اقتراؤه بمقامات الإسلام والإيمان، كما قرنه الله سبحانه باليقين وبالإيمان وبالتقوى والتوكل والشكر والعمل الصالح والرحمة.

أقسام الصبر في القرآن:

ذكر أبو حامد الغزالي كلاماً جميلاً في ذلك فقال: (إن للصبر ضربين:

أحدهما: ضرب بدني، كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليهما، وهو إما بالفعل: كتعاطي الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها. وإما بالاحتمال: كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة. وذلك قد يكون محموداً إذا وافق الشرع.

(١) سورة إبراهيم، بعض آية: ٥.

(٢) سورة الرعد، بعض آية: ٢٤.

(٣) سورة السجدة، بعض آية: ٢٤.

ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر: وهو الصبر النفسي عن مشتريات الطبع ومقتضيات الهوى. ثم هذا الضرب إن كان صبراً على شهوة البطن والفرج سمي عفة، وإن كان على احتمال مكروه اختلفت أساميها عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر. فإن كان مصيبة اقتصر على اسم الصبر، وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر. وإن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن. وإن كان في كظم الغيظ سمي حلاًماً ويضاده التذمر. وإن كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر. وإن كان في إخفاء الكلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوماً، وإن كان عند فضول العيش سمي زهواً وضاده الحرص. وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر.

ولذلك لما سئل النبي ﷺ عن الإيمان قال: «هو الصبر» لأنه أكثر أعماله وأعزها كما قال: «الحج عرفة»، وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبراً فقال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾ أي المصيبة ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ أي الفقر ﴿وَجِينَ الْبَأْسِ﴾ أي المحاربة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ فإن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها^(١).

أنواع الصبر:

يقسم العلامة ابن القيم الصبر إلى ثلاثة أنواع: (صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله).

فالأول: صبر بالله. أول الاستعانة به، ورؤيته أنه هو المصبر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه، كما قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٢) يعني إن لم يصبرك هو لم تصبر.

(١) إحياء علوم الدين (٤/٦٦-٦٧).

(٢) سورة النحل، بعض آية: ١٢٧.

والثاني: الصبر لله. وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه، والتقرب إليه. لا إظهار قوة النفس، والاستحمام إلى الخلق، وغير ذلك من الأعراض.

الثالث: الصبر مع الله. وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، صابراً نفسه معها، سائراً بيسرها، مقيماً بإقامتها، يتوجه معها أين توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلت مضاربيها. فهذا معنى كونه صابراً مع الله، أي قد جعل نفسه وقفاً على أوامره ومحابه وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها. وهو صبر الصديقين^(١).

نماذج من المؤمنين الصابرين:

وهناك صورة مشرقة في تاريخنا الإسلامي المجيد تبين عظم صبر المؤمنين على ابتلائهم باختلاف صورها وبتعدد مسمياتها، لنقتدي بهم ونتأسى بجميل صبرهم واحتسابهم الأجر والمثوبة من عند الله عز وجل. وأمثلة ذلك:

• أيوب عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا غَمْسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرْنَاهُ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرَبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾^(٢).

ضرب الله للمؤمنين نموذجاً رائعاً في الصبر ويتمثل ذلك في شخصية سيدنا أيوب عليه السلام، إذ ابتلاه الله عز وجل بالمرض وفقد المال والولد، حتى نفر الناس منه جميعاً ولم يبق معه إلا زوجته، واستمر المرض به سنوات عديدة إلى أن كشف الله سبحانه الضر عنه.

(١) مدارج السالكين (٢/١٦٤).

(٢) سورة ص، الآيات: ٤٤-٤٤.

فحري بنا نحن المؤمنين أن نتأسى بهذه النماذج الرائعة في الصبر عند وقع البلاء حتى ننال الأجر والثواب من عند الله عز وجل.

● معاذة العدوية^(١):

وقد ذهب زوجها صلة بن أشيم وابنه في إحدى الغزوات، فقال: أي بني: تقدم فقاتل حتى احتسبك فحمل فقاتل حتى قتل، فاجتمع النساء عند أمه معاذة العدوية. فقالت: «مرحباً إن كنتن جئتن تهنئني، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن...»^(٢).

فهكذا يجب أن تكون المرأة المسلمة عند وقع المصيبة عليها تحتسبها لله، وإن كانت كذلك، وبذا تضرب المثل لغيرها بالاحتذاء بحذوها والتجلد عند وقع الابتلاء.

وذلك لأن كل طاعة لها جزاء محدود، إلا الصبر فلا حد لجزائه، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣).



(١) معاذة بنت عبد الله العدوية، من ربات الفصاحة والبلاغة والتفقه في الدين والنسك، روت عن عائشة أم المؤمنين. قال يحيى بن معني: معاذة العدوية ثقة حجة. ت ١٠١هـ. أعلام النساء (٦٠/٥).

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص ٢٩٠.

(٣) سورة الزمر، بعض آية: ١٠.

المبحث الرابع: التوابون

قال تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَجِيزِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا الْبَسَاءَ فِي الْمَجِيزِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (١).

التوبة لغة:

قال الأزهري: (أصل تَابَ عاد إلى الله ورجع وأناب وتاب الله عليه، أي عاد عليه بالمغفرة، قال عز وجل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ (٢) أي عودوا إلى طاعته وأنبوا) (٣).

والتَّوْبَةُ: الرَّجُوعُ مِنَ الذَّنْبِ (٤). وفي الحديث: «النَّدْمُ تَوْبَةٌ» (٥).

وقال الأصفهاني: (التوب: ترك الذنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٢) سورة النور، بعض آية: ٣١.

(٣) تهذيب اللغة (٣٣٢/١٤) مادة توب.

(٤) لسان العرب (٢٣٣/١)، ومختار الصحاح (٣٣/١).

(٥) رواه ابن ماجه في السنن: كتاب الزهد - باب ذكر التوبة (١٤٢٠/٢) ح (٤٢٥٢).

وأحمد في المسند (٣٧٦/١، ٤٢٣، ٤٣٣) قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

وجوه الاعتذار^(١).

وتَابَ إِلَى اللَّهِ يَتُوبُ تَوْبًا وَتَوْبَةً وَمَتَابًا: أَنَابَ وَرَجَعَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ.

وتاب الله عليه: وَقَّهَ لَهَا^(٢).

والتائب يُقال لباذل التوبة ولقائِل التوبة^(٣)، فالعبد تائب إلى الله، والله تائبٌ على عبده^(٤).

والتواب: العبد الكثير التوبة، وذلك بتركه كل وقتٍ بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركاً لجميعه، وقد يُقال ذلك لله تعالى لكثرة قبوله توبة العباد حالاً بعد حال^(٥).

واستتبتُ فلاناً أي عرضتُ عليه التوبةَ مما اقترف، أي الرجوع والندم على ما فرط منه^(٦).

واستتابه: سأله أن يتوب^(٧).

التوبة شرعاً:

ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة^(٨).

قال الجرجاني: (الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ثم

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص ١٦٩.

(٢) لسان العرب (٢٣٣/١).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص ١٦٩.

(٤) لسان العرب (٢٣٣/١)، ومفردات ألفاظ القرآن ص ١٦٩.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ص ١٦٩.

(٦) تهذيب اللغة (٣٣٢/١٤)، ولسان العرب (٢٣٣/١).

(٧) لسان العرب (٢٣٣/١)، ومختار الصحاح ص ٣٣.

(٨) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٩.

القيام بكل حقوق الرب^(١).

حب الله للتائبين:

تحدث الآية الكريمة عن حال المرأة وقت الحيض وماذا يجب على الزوج اتجاه زوجته خلال فترة المحيض، فقد كان اليهود يعتزلون النساء في كل شيء، وكان النصارى يجامعون الحيض ولا يبالون بالحيض، فأمر الله بالاعتصام في الأمرين.

قال الإمام الطبري: (إن الله ذكر أمر الحيض، فنهاهم عن أمور كانوا يفعلونها في جاهليتهم: من تركهم مساكنة الحائض ومواكلتها ومشاربتها، وأشياء غير ذلك مما كان الله تعالى يكرهها من عباده. فلما استفتى أصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك، أوصى الله تعالى إليه في ذلك، فبين لهم ما يكرهه مما يرضاه ويحبه، وأخبرهم أنه يحب من خلقه من أناب إلى رضاه ومحبه، تائباً مما يكرهه).

وختم الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾، المنيبين من الأدبار عن الله وعن طاعته، إليه وإلى طاعته، وقال آخرون: التوابين من الذنوب^(٢).

وقال السيد محمد رشيد رضا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ أي: (الذين إذا خالفوا سنة الفطرة بغلبة سلطان الشهوة فأتوا نساءهم في زمن الحيض أو في غير المأتى الذي أمر الله به يرجعون إليه تائبين ولا يصرون على فعلهم السيء)^(٣).

ومما عسى ينذر منهم من ارتكاب بعض الذنوب كالإتيان في الحيض المورث للجذام في الولد كما ورد في الخبر، والمستدعي عقاب الله تعالى. فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه

(١) التعريفات ص ٧٦.

(٢) جامع البيان (٤٠٣/٢).

(٣) تفسير المنار (٢٨٧/٢).

عن النبي ﷺ قال: «من أتى حائضاً أو امرأة في دُبُرِها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(١) وهو جار مجرى الترهيب.

وقال مجاهد: من إتيان النساء في أدبارهنّ في أيام حيضهنّ^(٢).

وقال الشيخ ابن عاشور: (هو ارتفاق بالمخاطبين بأن ذلك المنع كان لمنفعتهم ليكونوا متطهرين، وأما ذكر التوابين فهو إدماج للتبويه بشأن التوبة عند ذكر ما يدل على امتثال ما أمرهم الله به من اعتزال النساء في المحيض أي إن التوبة أعظم شأناً من التطهر أي أن نية الامتثال أعظم من تحقق مصلحة التطهر لكم، لأن التوبة تطهر روحاني والتطهر جسماني)^(٣).

وقال أبو حيان: (وأبرز ذلك في صورة عامة، واستدرج الأزواج والزوجات في ذلك فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ﴾ أي الراجعين إلى ما شرع، وأما عن سبب مجيء محبة الله للتائب عقب الأمانة والنهي إيذاناً بقبول بتوبة من يقع منه خلاف ما شرع له)^(٤).

والسبب في حب الله عزّ وجلّ للتوابين، إن التائب استشعر بأن له رباً غفوراً رحيماً فرجع إليه وأناب، وتاب عن معاصيه التي اقترفها، وتذكر العقاب الذي أعدّه الله للعاصين فخاف منه واستغفر لذنوبه بتوبة صادقة إلى الله سبحانه.

التوبة في القرآن:

ورد للتوبة معنيان، وكلاهما ذكر وبيّنته الآيات الكريمة.

(١) رواه الترمذي في السنن: كتاب الطهارة - باب ما جاء في كراهية إتيان الحيض (٢٤٢/١) ح (١٣٠)؛ وابن ماجه في السنن: كتاب الطهارة - باب النهي عن إتيان الحائض (٢٠٩/١) ح (٦٣٩)؛ والإمام أحمد في المسند: (٤٠٨/٢، ٤٧٦) بنحوه إسناده صحيح.

(٢) روح المعاني (٥١٧/١).

(٣) التحرير والتنوير (٣٧٠/٢).

(٤) البحر المحيط (١٧٩/٢) بتصرف.

فأما المعنى الأول، وهو: رجوع عن المعصية، فقد جاء بقوله تعالى: ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٢).

وأما المعنى الثاني وهو: قبل الله توبته وغفر له، فقد جاء بقوله تعالى: ﴿فَلَقَّعْ ءَادَمُ مِنْ رَّبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ (٤) أي أقبل توبتهم.

وجوب التوبة:

وقد أجمع أهل العلم على وجوب التوبة، لأن الذنوب مُهلكة، تبعد العبد عن ربه، فيجب التخلص منها على الفور، ولن يتم ذلك إلا بالتوبة.

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة» (٧).

(١) سورة المائدة، بعض آية: ٣٩.

(٢) سورة طه، الآية: ٨٢.

(٣) سورة البقرة، بعض آية: ٣٧.

(٤) سورة البقرة، بعض آية: ١٦٠.

(٥) سورة التحريم، الآيتان: ٧ - ٨.

(٦) سورة النور، بعض آية: ٣١.

(٧) رواه أبو داود في السنن، متفرع أبواب الوتر - باب الاستغفار (٣٨٠/١) بنحوه؛ رواه أحمد في المسند (٤٥٠/٢) إسناده صحيح.

شروط التوبة:

ولكي تصح توبة العبد لربه من ذنبه الذي اقترفه سواء كان كبيراً أو صغيراً، لا بد من تحقق خمسة شروط، حتى تقبل توبته:

أولاً: الإخلاص لله تعالى، بأن يكون الدافع له على التوبة مخافة الله عز وجلّ ورجاء ثوابه وإحسانه، وأن لا يكون الحامل لها خوفه من حاكم أو مسئول أو والد، وإنما استشعر عظم الذنب الذي ارتكبه، وكيف غاب عنه رؤية الله له في حال أداء الذنب، فاتجه مباشرة وسراعاً إلى الله تائباً من ذنبه قبل أن ترصده الملائكة في سجل أعماله.

ثانياً: الندم على فعل الذنب. فإن ذلك علامة على صدق توبة العبد، لأنه يحاسب نفسه باستمرار - لماذا فعل هذا الذنب؟ وكيف فعله؟ وما الدافع إلى فعله - إذ من لم يندم على القبيح فذلك دليل على رضاه به، وإصراره عليه.

ثالثاً: الإقلاع عن الذنب، بتركه إن كان من المحرمات، وبتداركه إن كان واجباً يمكن تداركه.

رابعاً: العزم على أن لا يعود إليه... وهذه حقيقة يجب أن لا تغيب عن ذهن التائب، بأن تكون هناك نية صادقة من أعماق قلبه على أن لا يعود إلى الذنب الذي كان يفعله.

خامساً: أن تكون التوبة في الوقت المسموح للعبد أن يتوب فيه، فإن خرجت عن هذا الوقت قبل احتضار الروح، كما حدث لفرعون عندما أدركه الغرق في اليم ﴿قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنِ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١) فلن تقبل منه فعن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»^(٢)، وكذا أن تكون قبل طلوع الشمس من

(١) سورة يونس، بعض آية: ٩٠.

(٢) رواه الترمذي في السنن: كتاب الدعوات - باب فضل التوبة والاستغفار (٥٤٧/٥) ح (٣٥٣٧) بإسناد حسن غريب.

مغربها لأنها دليل على قرب قيام الساعة، ويصدق ذلك قول صفوان بن عسال المرادي^(١) أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جعل بالمغرب باباً عرضُهُ مسيرة سبعين عاماً للتوبة ما لم تطلع الشمس من قبله وهو من ضمن حديث طويل»^{(٢)(٣)}.

سادساً: رد المظالم إلى أهلها.

علامات قبول التوبة:

هناك عدة علامات إذا فعلها العبد التائب إلى الله تشير إلى قبول الله عز وجل توبته - ويأذنه تعالى.

أولها: مصاحبة الصالحين والأخيار، والأنس بمجالستهم والاستمتاع بأحاديثهم، والبعد عن قرناء السوء، والاحتراز من مجالسهم، والدعاء لهم بالهداية.

ثانيها: التحرز من المعاصي، والتوخي عن الذنوب صغيرها قبل كبيرها، والاتجاه نحو الطاعة والإقبال على الحسنات وتحسس الطريق المؤدي إليها.

ثالثها: أن تكون الدنيا بيديه لا بقلبه، فلا الدنيا تتحكم بمسير حياته وإنما هو الذي يتحكم بها ويوجهها حيث ما يوافق دينه، لأن قلبه مشغول بالآخرة والإعداد لها.

رابعها: الامتثال لأوامر الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، والابتعاد عن نواهيه وما ذمه المصطفى ﷺ.

-
- (١) صفوان بن عسال المرادي. صحابي معروف، نزل الكوفة. تقريب التهذيب ص ٢٧٧.
- (٢) رواه الترمذي في السنن: كتاب الدعوات - باب فضل التوبة والاستغفار (٥٤٦/٥) ح (٣٥٣٦) بإسناد حسن صحيح.
- (٣) العقيدة الواسطية (١/٢٣٢).

فوائد التوبة:

أولاً: التوبة طريق للعفو عن السيئات والذنوب، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢٥)^(١).

ثانياً: بالتوبة ينال المسلم المغفرة من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلِيِّنِي لَفَقَارًا لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٨٧)^(٢).

ثالثاً: الوصول إلى مرتبة الفلاح، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣) فكل تائب مفلح، ولا يكون مفلحاً إلا من فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

رابعاً: ينال المؤمن المحبة من الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ (٤) شريطة إن تكون التوبة صادقة، قال تعالى: ﴿يَتَّابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (٥)(٦).



(١) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(٢) سورة طه، بعض آية: ٨٢.

(٣) سورة النور، بعض آية: ٣١.

(٤) سورة البقرة، بعض آية: ٢٢٢.

(٥) سورة التحريم، بعض آية: ٨.

(٦) نيل الأرب في معرفة الأدب ص ١٣٦.

المبحث الخامس:

المتطهرون

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَجِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَجِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ (٢٢٢) (١).

وقال تعالى: ﴿لَا نَقَمُ فِيهِ أَبَدًا لَمَسَّجِدُ أُتِيَ مِنْ عَلَىٰ النَّبْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ (١٧٨) (٢).

الطهر في اللغة:

قال ابن فارس: (الطاء والهاء والراء أصل واحد صحيح يدلُّ على نقاء وزوال دَنَسٍ والتطهر: التنزه عن الدَّمِّ وكل قبيح. وفلان طاهر الثياب إذا لم يدنَس) (٣). قال الشاعر (٤):

ثياب بني عوفٍ طَهَارَىٰ نَقِيَّةٌ وَأَوْجُهُمْ عِنْدَ الْمَسَافِرِ غُرَانٌ

والاسم: الطَّهْر وهو النقاء من الدنس والنجس وهو طاهر أي برىء

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة (٤٢٨/٣) مادة طهر.

(٤) امرئ القيس راجع معجم مقاييس اللغة (٤٢٨/٣).

من العيب^(١).

الطُّهُرُ: نقيض الحيض^(٢). وَطَهَّرَتِ الْمَرْأَةُ، وَطَهَّرْتُ فِيهَا طَاهِرًا: إِذَا انْقَطَعَ عَنْهَا الدَّمُ، وَرَأَتْ الطُّهُرَ^(٣). فَإِذَا اغْتَسَلَتْ قِيلَ: تَطَهَّرَتْ وَأَطَهَّرَتْ. وَنِسَاءٌ طَاهِرَاتٌ^(٤).

وَالطُّهُرُ: نَقِيضُ النِّجَاسَةِ، وَالْجَمْعُ أَطْهَارٌ. وَطَهَّرَهُ بِالْمَاءِ، غَسَلَهُ^(٥). وَمَاءٌ طَهُورٌ: أَي يُتَطَهَّرُ بِهِ. وَاسْمُ الْمَاءِ الطُّهُورِ. وَكُلُّ مَاءٍ نَظِيفٍ طَهُورٌ. وَكُلُّ طَهُورٍ طَاهِرٌ، وَليْسَ كُلُّ طَاهِرٍ طَهُورًا^(٦).

وَالْمَاءُ الطُّهُورُ، بِالْفَتْحِ: هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ الْحَدِيثَ وَيُزِيلُ النِّجَسَ لِأَنَّهُ فَعُولًا مِنْ أُنْبِيَةِ الْمُبَالِغَةِ فَكَأَنَّهُ تَنَاهَى فِي الطَّهَارَةِ.

وَالطَّهَارَةُ، اسْمٌ يَقُومُ مَقَامَ التَّطَهُّرِ بِالْمَاءِ: الْاسْتِنْجَاءُ وَالْوَضُوءُ. وَالطَّهَارَةُ: فَضْلٌ مَا تَطَهَّرْتَ بِهِ^(٧).

التَّطَهُّرُ: التَّنْزَهُ عَنِ الْإِثْمِ وَمَا لَا يَحْمَدُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾^(٨) أَي يَتَنَزَّهُونَ عَنِ إِتْيَانِ الذِّكْرَانِ^(٩).

وَالتَّطَهُّرُ: التَّنْزَهُ عَمَّا لَا يُحِلُّ، وَهُمْ قَوْمٌ يَتَطَهَّرُونَ أَي يَتَنَزَّهُونَ مِنَ الْأَدْنَسِ^(١٠).

قَالَ الرَّاعِبُ: (وَالطَّهَارَةُ ضَرْبَانِ: طَهَارَةُ جِسْمٍ، وَطَهَارَةُ نَفْسٍ، وَحَمَلٌ عَلَيْهَا عَامَةُ الْأُمُورِ. يُقَالُ: طَهَّرْتُهُ فَطَهَّرْتُ، وَتَطَهَّرْتُ، وَأَطَهَّرْتُ فَهُوَ

(١) المصباح المنير (٥١٨/٢).

(٢) انظر تهذيب اللغة (١٧٠/٦)، ولسان العرب (٥٠٤/٤).

(٣) تهذيب اللغة (١٧٠/٦).

(٤) لسان العرب (٥٠٥/٤).

(٥) لسان العرب (٥٠٤/٤).

(٦) تهذيب اللغة (١٧١/٦)، ولسان العرب (٥٠٥/٤).

(٧) لسان العرب (٥٠٦/٤).

(٨) سورة الأعراف، بعض آية: ٨٢.

(٩) تهذيب اللغة (١٧١/٦)، ولسان العرب (٥٠٦/٤).

(١٠) لسان العرب (٥٠٦/٤).

طَاهِرٌ وَمُتَطَهَّرٌ^(١).

والطهارة شرعاً:

قال الجرجاني: (هي عبارة عن غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة)^(٢).

وعرفت أيضاً: بأنها رفع الحدث أو إزالة النجس أو ما في معناهما أو على صورتها كالغسلة والثانية والثالثة والأغسال المسنونة وتجديد الوضوء والتميم وغير ذلك مما لا يرفع حدثاً ولا يزيل نجساً ولكنه في معناه^(٣).

حب الله للمتطهرين:

للطهارة معنى جميل يتبادر إلى ذهن السامع بمجرد سماعه وعلمه بأن فلاناً طاهر، وقد يتبادر إليه أمرين لا ثالث لهما، وهو أما أنه طاهر من النجاسة والخبائث أو أنه طاهر القلب نقي السريرة من جميع ما يعكر صفو القلب ويكدر نقاوته.

فحب الله عزّ وجلّ لهذه الصفة ليس بعيداً من مالك الملك ذو الكمال المطلق، لأنه سبحانه وتعالى هو نظيف وهو طيب. فقد قال المصطفى ﷺ: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أنفسكم، ولا تشبهوا باليهود»^(٤).

فإذا كان الخالق جلّ شأنه يتحلى بهذه الصفة فما بال الخلق لا يتأسون

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٢٥.

(٢) التعريفات ص ١٦١.

(٣) كفاية الأخبار (٤/١) وهو ما ذكرته الموسوعة الفقهية (٩١/٢٩).

(٤) رواه الترمذي في السنن: كتاب الأدب - باب ما جاء في النظافة (١١١/٥) بإسناد غريب.

به قبل أن يتأسوا بمخلوق مثلهم يبحث على الكمال البشري.

وقد ورد حب الله عز وجل لهذه الصفة في سورتين إحداهما في سورة البقرة، والأخرى في سورة التوبة، أما في سورة البقرة فقد ذكر في ختام آية الحيض، حينما استفتى أحد الصحابة رسول الله ﷺ عن أمر النساء في الحيض فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ (١).

قال الإمام الطبري: (واختلف في معنى قوله: ﴿وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ قال بعضهم: هم المتطهرون بالماء، وقال آخرون: من أدبار النساء أن يأتوها.

وكان مما بين لهم من ذلك أنه قد حرم عليهم إتيان نساءهم وإن طهرن من حيضهن حتى يغتسلن، ثم قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ يعني بذلك: المتطهرين من الجنابة والأحداث للصلاة، والمتطهرين بالماء من الحيض والنفاس والجنابة والأحداث من النساء) (٢).

وقال العلامة الألوسي: ﴿وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ (أي المتنزهين عن الفواحش والأقذار كمجامعة الحائض والإتيان إلا من حيث أمر الله تعالى. وحمل التطهر على التنزه هو الذي تقتضيه البلاغة) (٣).

وذكر السيد محمد رشيد رضا: (من الأحداث والأقذار، ومن إتيان المنكر، بل هؤلاء أحب إليه من الذين يقعون في الدنس ثم يتوبون إليه) (٤).

والعلة في قوله تعالى: ﴿وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾:

قال الإمام الطبري: (وإنما قال: ﴿وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ - ولم يقل

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٢) جامع البيان (٢/٤٠٣).

(٣) روح المعاني (٢/١٢٤).

(٤) تفسير المنار (٢/٢٨٧).

«المتطهرات» - وإنما جرى قبل ذلك التطهر للنساء، لأن ذلك بذكر «المتطهرين» يجمع بين الرجال والنساء. ولو ذكر ذلك بذكر «المتطهرات»، لم يكن للرجال في ذلك حظ، وكان للنساء خاصة. فذكر الله تعالى بالذكر العام جميع عباده المكلفين، إذا كان قد تعبد جميعهم بالتطهر بالماء، وإن اختلفت الأسباب التي توجب التطهر عليهم بالماء في بعض المعاني، واتفقت في بعض^(١).

وتجدر الإشارة هنا إلى اختلاف أهل العلم في المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل عنه ﴿يَطْهُرْنَ﴾ بتشديد الطاء والهاء والفتح، وأصله يتطهرن، وقرأ الباقون من السبعة ﴿يَطْهُرْنَ﴾ مضارع طهر^(٢).

وبناءً على اختلافهم في القراءة أدى إلى اختلاف الأئمة في المراد بقوله ﴿يَطْهُرْنَ﴾:

- قال أبو حنيفة: يجب أن تؤتى المرأة إذا انقطع دم الحيض ولو لم تغتسل بالماء. إلا أنه إذا انقطع دمها لأكثر الحيض حلت حينئذ، وإذا انقطع دمها لأقل الحيض لم تحل حتى يمضي وقت صلاةٍ كامل.

فحمل أبو حنيفة ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ على انقطاع دم الحيض، وقوله ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ على معنى فإذا انقطع دم الحيض، فاستعمل المشدّد بمعنى المخفف.

- قال مالك وأحمد: لا تحل حتى ينقطع الحيض، وتغتسل بالماء غسل الجنابة.

حيث استعمل المخفف بمعنى المشدّد، والمراد، ولا تقربوهن حتى يغتسلن بالماء، فإذا اغتسلن فأتوهن، بدليل قراءة بعضهم ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ بالتشديد، وبدليل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

(١) جامع البيان (٤٠٤/٢).

(٢) البحر المحيط (١٧٨/٢).

- قال طاووس ومجاهد يكفي في حلها أن تتوضأ للصلاة^(١).

وحب الله للمتطهرين في هذه الآية لمن انصرف عن مباشرة النساء في فترة الحيض، إلى حين طهرهن، فابتعد عن الأذى الذي يمكن أن يلحق به أو بالزوجة في حالة مباشرته للزوجة.

وفي سورة التوبة قال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّطَهِّرِينَ﴾^(٢). فقد ذكر سبحانه حبه لهذه الصفة - الطهارة - وفي معرض ثنائه على قوم من الأنصار، إذ كانوا يحرصون على نظافة ثيابهم وأبدانهم، وملازمة مسجدهم الذي أسس على التقوى من أول يوم وضع فيه، وهو يوم الاثنين، حين قدوم النبي ﷺ مهاجراً من مكة إلى المدينة، والمسجد - هو - مسجد قباء.

وأخرج ابن ماجة، عن جابر بن عبدالله، وأنس بن مالك رضي الله عنهم، أن هذه الآية لما نزلت ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا﴾ قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم خيراً في الطهور فما طهوركم هذا؟» قالوا: «نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة ونستنجي بالماء». قال: «هو ذاك فعليكموه»^(٣).

قال عطاء^(٤): (كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة)^(٥).

ويقول الإمام الرازي: (وفي تفسير هذه الطهارة قولان:

الأول: المراد منه التطهر عن الذنوب والمعاصي، وهذا القول متعين

لوجوه:

(١) تفسير آيات الأحكام (١/٢٤٥).

(٢) سورة التوبة، بعض آية: ١٠٨.

(٣) رواه ابن ماجه في السنن: كتاب الطهارة - باب الاستنجاء بالماء (١/١٢٧) قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

(٤) هو عطاء بن أبي رباح، واسم أبي رباح (أسلم) القرشي مولاهم، المكي، ثقة فقيه فاضل، كثير الإرسال، من الثالثة ت ١٤٠هـ. تقريب التهذيب ص ٣٩١.

(٥) تفسير البغوي (٢/٣٢٨).

أولها: أن التطهر عن الذنوب والمعاصي هو المؤثر في القرب من الله تعالى واستحقاق ثوابه ومدحه.

والثاني: أنه تعالى وصف أصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والكفر بالله والتفريق بينهم، فوجب كون هؤلاء على الضد من صفاتهم، وما ذاك إلا لكونهم بريئين عن الكفر والمعاصي.

والثالث: أن طهارة الظاهر إنما يحصل لها أثر وقدّر عند الله لو حصلت طهارة الباطن من الكفر والمعاصي، أو لم تحصل نظافة الظاهر، كأن طهارة الباطن لها أثر، فكان طهارة الباطن أولى.

والقول الثاني: أن المراد منه الطهارة بالماء بعد الحجر^(١).

والعلة في حب الله عزّ وجلّ للمتطهرين، تكمن في حرصهم على نظافة أبدانهم مما يخل بطهارتها فيؤخرها عن تأدية ما فرضه الله عليها من أداء الصلاة على وقتها، وانعكس الحرص على نظافة ثيابهم، فهم في نظافة جوهرية جسدياً وعرضية ثياباً مستمرة لكي يستطيعوا تأدية هذه الفريضة اليومية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾^(٢).

ناهيك على حرصهم على طهارة قلوبهم ونقاوتها من جميع أمراض القلوب التي تعكر من صفاء القلب وبياضه، فاهتمامهم بالطهارة بشقيه البدني والقلبي قد أهلهم لحب الله لهم.

مراتب الطهارة:

وقد ذكر أبو حامد الغزالي رحمه الله أن للطهارة أربعة مراتب:

(المرتبة الأولى: تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث

والفضلات.

(١) التفسير الكبير (١٥٥/١٦، ١٥٦).

(٢) سورة النساء، بعض آية: ١٠٣.

المرتبة الثانية: تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام.

المرتبة الثالثة: تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة.

المرتبة الرابعة: تطهير السر عما سوى - الله - وهي طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم والصدقيين.

والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فإن الغاية القصوى في عمل السر أن ينكشف له جلال - الله - تعالى وعظمته ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله تعالى عنه^(١).

أقسام الطهارة:

تنقسم الطهارة إلى قسمين^(٢):

الأول: طهارة من الخبث. فالشارع أوجب على المصلي أن يكون بدنه وثوبه طاهرين من الخبث.

الثاني: طهارة من الحدث. لأن الشارع أوجب أن يكون بدنه طاهراً من الحدث.

والخبث هو العين المستقدرة شرعاً، كالدم والبول ونحوهما، وينقسم باعتبار ما جعل وصفاً له إلى قسمين:

أ - أصلية: وهي القائمة بالأشياء بأصل خلقتها، كالماء والتراب والحديد والمعادن وغيرها، فهذه الأشياء موصوفة بالطهارة بأصل خلقتها.

ب - عارضة: هي النظافة من النجاسة التي أصابت هذه الأعيان، وسميت عارضة، لأنها تعرض بسبب المطهرات المزيلات لحكم الخبث من ماء وتراب وغيرها.

(١) إحياء علوم الدين (١/١٢٦).

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة (١/٥).

أما الحدث فينقسم إلى قسمين:

- أ - الحدث الأكبر: وقد وصف بها الشارع بدن الإنسان كله عند الجنابة. والطهارة منه تكون بال غسل، ويتبعه الحيض والنفاس.
- ب - الحدث الأصغر: وصف بها الشارع بعض أعضاء البدن بسبب ناقض الوضوء من ربح وبول ونحوهما. والطهارة تكون بالوضوء.
- وينوب عن الغسل والوضوء التيمم عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعمال.



المبحث السادس: المتوكلون

قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ إِلهَ الْوَالِدِينَ كُنْتَ تَطَّاعًا غَلِيظًا ۗ أَلْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾^(١).

التوكل لغة:

أصلها وكل: الواو والكاف واللام: أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك^(٢).

الوكيل في صفة الله عز وجل: الذي توكل بالقيام بما خلق^(٣).

التوكل: إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك^(٤). والاسم تكلان^(٥).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة (١٣٦/٦) مادة وكل.

(٣) تهذيب اللغة (٣٧١/١٠).

(٤) مجمل اللغة (٩٣٤/٤).

(٥) المصباح المنير (٩٢٤/٢)، ولسان العرب (٧٣٤/١١).

والمتموكلُ على الله: الذي يعلمُ أن الله كافيٌ رزقه فاطمأن قلبه على ذلك. ولم يتوكل على غيره^(١).

يُقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان - أي ألبأته إليه - واعتمدت فيه عليه. ووكل إليه الأمر: سلمه^(٢).

وَوَاكَلَ فلان، إذا ضَيَّع أمره مُتَكِلًا على غيره. وسُمِّي الوكيلُ لأنه يوكلُ إليه الأمر^(٣).

والجمع وُكلاء. ووكلته توكيلاً فتوكل قبل الوكالة.

وتواكل القوم تواكلاً أتكل بعضهم على بعض^(٤).

والتوكل اصطلاحاً:

تفويض الأمر إلى الله والاعتماد عليه وحده في تحقيق الغايات مع الأخذ بالأسباب المشروعة وسلوك السنن التي هيأها الله لعباده من غير تقصير^(٥).

وعند الفقهاء: عبارة عن إقامة الإنسان غيره مقام نفسه في تصرف معلوم^(٦).

آياته:

فلقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ أن يتحلى بخلق التوكل، في نشر دعوته للناس، فقال عز شأنه: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ

(١) تهذيب اللغة (٣٧١/١٠)، والمصباح المنير (٩٢٤/٢)، ولسان العرب (٧٣٤/١١).

(٢) لسان العرب (٧٣٤/١١).

(٣) معجم مقاييس اللغة (١٣٦/٦).

(٤) المصباح المنير (٩٢٤/٢).

(٥) الولاء في الإسلام ص ١٨.

(٦) الكلبيات ص ٩٤٧.

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٩﴾^(١) وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾^(٢) وقال تعالى عن أنبيائه ورسله: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾^(٣) وقال سبحانه عن أوليائه: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ وَلِيَّتُكَ الْوَكِيلُ﴾^(٤) وقال سبحانه عن أصحاب نبيه محمد ﷺ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَّ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَرَّادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٢﴾﴾^(٥).

وأمر سبحانه عباده المؤمنين بالتخلق بهذا الخلق الكريم فقال سبحانه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٦) واعتبر التوكل في هذه الآية شرط لتمام الإيمان.

وبيّن أن من صفات المؤمنين التوكل عليه سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾^(٧).

حب الله للمتوكلين:

وقد جاء حب الله سبحانه وتعالى للمتوكلين في آية واحدة فقط وهي في سورة آل عمران، بعد أن وصف الله نبيه محمد ﷺ بصفات جليلة قد اتصف بها وهي الرأفة والرحمة للمؤمنين، واللين والرفق بصحابته الطاهرين، فلم يكن غليظاً ولا فظاً - حتى مع المشركين -، وإنما كان يعفو ويصفح عن المسيئين.

وأمر سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يشاور صحابته في الأمور التي تهم

(١) سورة النمل، بعض آية: ٧٩.

(٢) سورة الأحزاب، بعض آية: ٣.

(٣) سورة إبراهيم، بعض آية: ١٢.

(٤) سورة الممتحنة، بعض آية: ٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٦) سورة المائدة، بعض آية: ٢٣.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٢.

المسلمين، على الرغم من أنه يوحى إليه، وذلك لإعلام القادة إلى أهمية مشورة الرعية، وإن ذلك أطيب لنفوس القوم، وحتى يكون الحماس في تنفيذ ما اقترحوه في المشورة.

وقد قدم الله سبحانه وتعالى العزم على التوكل، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ قال قتادة^(١): أمر نبيه ﷺ إذا عزم على أمر أن يمضي فيه، ويستقيم على أمر الله، ويتوكل على الله^(٢).

وعرّف الإمام القرطبي العزم: (هو الأمر المروي المنقح، وليس ركوب الرأي دون روية عزمًا)^(٣).

فالأمر بالتوكل جاء بعد إعلان المشاورة والتروي والتنقيح، وهذا يكون في حدود الإنسان وطاقته وإمكانياته وقدراته في هذه الأمور، أما ما يكون بعد ذلك فالنتيجة من تنفيذ الأمر، سواءً كان: فشلاً في تجارة، أو هزيمة لعدو، أو إحراز النجاح في دراسة، فإن الأمر يرجع كله إلى الحكيم العليم، الذي نعتمد ونتكل عليه في تحقيق ما نريده.

ثم ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ قال الإمام الرازي: (دلت الآية الكريمة على أنه ليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه، كما يقول بعض الجهال، وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافياً للأمر بالتوكل، بل التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة، ولكن لا يعول بقلبه عليها، بل يعول على عصمة الحق. وفيه ترغيب للمكلفين في الرجوع إلى الله تعالى والإعراض عن كل ما سوى الله)^(٤).

ويقول العلامة الألوسي: (إن الله يحب المتوكلين عليه الوائقين به

(١) قتادة بن دعامة بن عَزِيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه ت ١١٧هـ. المعارف ص ٤٦٢، والأعلام (١٨٩/٥). تذكرة الحافظ (١٢٢/١).

(٢) الدر المنثور (٣٥٩/٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦٢/٤).

(٤) التفسير الكبير (٦٠-٥٥/٩).

المنقطعين إليه فينصرهم ويرشدهم إلى ما هو خير لهم كما تقتضيه المحبة^(١).

وكما يقول السيد محمد رشيد رضا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾: (أي على حوله وقوته مع العمل في الأسباب بسنته، ومن أحبه الله عصمه من الغرور باستعداده، والركون إلى عدته وعتاده، والبطر الذي يصرفه عن النظر فيما يعرض له بعد ذلك حتى لا يقدره قدره، ولا يحكم فيه أمره، فبدلاً من أن يكون نظره في الأمور بعين العجب والغرور واستماعه لأنبائها بإذن الغفلة والازدراء ومباشرته لها بيد التهاون يلقي السمع وهو شهيد، وينظر بعين العبرة فبصره حينئذ حديد، ويبطش بيد الحزم فبطشه قوي شديد، ذلك بأنه يسمع ويبصر ويعمل للحق لا للباطل الذي يزينه الهوى ويدلي به الغرور، فيكون مصداقاً للحديث القدسي: «إذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها»^(٢)^(٣).

وتكمن العلة في حب الله للمتوكلين، لأن المتوكل على الله يأخذ بالأسباب كلها فعمل وفكر، وخطط ودبر، واجتهد فوضع الأمور في نصابها ثم اعتمد على الحي القيوم، الذي تتساقط عنده جميع القوى والجبروت، ثقة به وإيماناً بقضائه ويقيناً بإرادة الله للإنسان الخير في أي أمر يصيبه سواء كان خيراً أم شراً.

حقيقة التوكل وجزاؤه:

وقد دعا النبي ﷺ إلى التأسّي بهذه الفضيلة بالإضافة إلى ما جاء في القرآن الكريم من ذلك، وبيّن للمسلمين حقيقة التوكل، وذلك عندما سأل الأعرابي الرسول ﷺ أراد دخول المسجد ومعه ناقته: أتركها وأتوكل، أم

(١) روح المعاني (٤/١٠٨).

(٢) الحديث سبق تخريجه في ص ٥٣.

(٣) تفسير المنار (٤/١٦٨).

أعقلها وأتوكل؟ أجابه ﷺ: «إعقلها وتوكل»^(١) وهذا يدل دلالة صريحة على أنه لا بدّ من الأخذ بالأسباب ثم التوكل على الله عزّ وجلّ.

وعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»^(٢) وهو ظاهر أن التوكل يكون مع السعي. لأنه ﷺ بيّن أن للطير عملاً وهو الذهاب صباحاً في طلب الرزق وهي فارغة البطن والرجوع وهي ممتلئتها.

وجعل جزاء المتوكلين على الله الجنة، وهذه غاية ما يسمو إليه العبد في هذه الحياة الدنيا، فعن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب»، قالوا: «من هم يا رسول الله؟»، قال: «هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتبون وعلى ربهم يتوكلون»^(٣).

فالمعنى الحقيقي للتوكل هو بذل الجهد كل حسب طاقته ومقدرته ثم تفويض الأمانة إلى الله والرضا بقدره تعالى واختياره باعتبار أن ذلك أوفق لمصالح الإنسان في دنياه وأخراه^(٤).

صور من التوكل:

ويروي الإمام الغزالي صوراً عن المتوكلين على الله حق التوكل فيقول: (روي أن رجلاً لازم باب عمر رضي الله عنه فإذا هو بقائل يقول: يا هذا هاجرت إلى عمر أو إلى الله تعالى؛ اذهب فتعلم القرآن فإنه سيغنيك

(١) رواه الترمذي في السنن: كتاب صفة القيامة - باب ٦٠ (٦٦٨/٤) ح (٢٥١٧) بإسناد غريب.

(٢) رواه الترمذي في السنن: كتاب الزهد - باب التوكل على الله (٥٧٣/٤) ح (٢٣٤٤) بإسناد حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الإيمان - باب التوكل على الله (٩٢/٣).

(٤) الولاء في الإسلام ص ٢١.

عن باب عمر، فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر، فإذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة، فجاءه عمر فقال له: إني قد اشتقت إليك فما الذي شغلك عني؟ فقال: إني قرأت القرآن فأغناني عن عمر وعن آل عمر، فقال عمر: رحمك الله فما الذي وجدت فيه، فقال: وجدت فيه ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢٢) فقلت رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرحام، فبكى عمر وقال: صدقت، فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس إليه.

وقال أبو يعقوب الأقطع البصري: جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفاً، فحدثني نفسي بالخروج فخرجت إلى الوادي لعلني أجد شيئاً يسكن ضعفي فرأيت سلجمة^(١) مطروحة فأخذتها، فوجدت في قلبي منها وحشة وكأن قائلاً يقول لي: جعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة، فرميت بها ودخلت المسجد وقعدت، فإذا أنا برجل أعجمي قد أقبل حتى جلس بين يدي ووضع قمطرة^(٢) وقال: هذه لك، فقلت كيف خصصتني بها؟ قال: أعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام أشرفت السفينة على الغرق، نذرت إن خلصني الله تعالى أن أتصدق بهذه على أول من يقع عليه بصري من المجاورين، وأنت أول من لقيته، فقلت: افتحها، ففتحتها فإذا فيها سميد مصري ولوز مقشور وسكر كعاب، فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي إلى أصحابك هدية مني إليكم، وقد قبلتها، ثم قلت في نفسي: رزقك يسير إليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادي.

وهذه صورة لعدم التوكل على الله عزّ وجلّ، قيل: كان في الزمان الأول رجل في سفر ومعه قرص فقال: إن أكلت مت، فوكل الله عزّ وجلّ به ملكاً وقال: إن أكله فارزقه وإن لم يأكله فلا تعطه غيره، فلم يزل القرص معه إلى أن مات ولم يأكله وبقي القرص عنده^(٣).



(١) سلج: اللقمة. انظر مختار الصحاح ص ١٣٠.

(٢) قمطرة: ما تُصان فيه الكُتُب. انظر مختار الصحاح ص ٢٣٠.

(٣) إحياء علوم الدين (٤/٢٧١).

المبحث السابع:

المقسطون

قال تعالى: ﴿سَمِعُوا لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّخْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَفْتِنُوا أَلَيْ تَتَّبِعُونَ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٣﴾﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ (٣).

القسط لغة:

(قسط) القاف والسين والطاء أصل صحيح يدل على معنيين متضادين والبناء واحد. فالقسط: العدل. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. والقسط بفتح القاف: الجور (٤).

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

(٤) معجم مقاييس اللغة (٨٥/٥) مادة قسط.

وفي أسماء الله تعالى الحسنى المُقْسِطُ: هو العادل^(١). يُقال أَقْسَطُ يُقْسِطُ، فهو مُقْسِطٌ إذا عدل^(٢).

وفي الحديث: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يَخْفِضُ القِسْطَ ويرفعه»^(٣).

قال ابن منظور: (القِسْطُ: الميزانُ، سمي به من العَدْلِ، أراد أن الله يَخْفِضُ ويرفعُ ميزان أعمال العباد المرتفعة إليه وأرزاقهم النازلة من عنده، كما يرفع الوزنُ يده ويخفضها عند الوزن، وهو تمثيل لما يُقدِّره الله ويُنزله - وقيل - أراد بالقِسْطِ القِسْمَ من الوزنِ الذي هو نصيب كل مخلوق وخفضه تقيلاً، ورفعته تكثيره)^(٤).

والقِسْطُ: الحصة والنصيب^(٥).

والإقساط العدل من القسمة والحكم، يُقال: أَقْسَطْتُ بينهم وأقْسَطْتُ إليهم. وقد أخذ كل واحد منهم قِسْطَهُ أي حِصَّتَهُ، وقد تَقَسَّطُوا الشيء بينهم أي اقسَمُوهُ على السواءِ والعدل^(٦)، وكلُّ مقدارٍ فهو قِسْطٌ في الماء وغيره.

والفعل منه أقسطَ بالألف^(٧). والاسم القِسْطُ بالكسر والجمع أقساط^(٨).

قال الأصفهاني: (القِسْطُ: هو النصيبُ بالعَدْلِ كالتَّصْفِيفِ والتَّصْفِيفَةِ. قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا أَلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾^(٩). والقِسْطُ: هو أن يأخذ قِسْطَ غيره،

(١) لسان العرب (٣٧٧/٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٨٥/٥)، ولسان العرب (٣٧٧/٧).

(٣) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الإيمان - باب قوله ﷺ «إن الله لا ينام» (١٧/٢) ح (١٧٩).

(٤) لسان العرب (٣٧٧/٧).

(٥) تهذيب اللغة (٣٨٨/٨)، ومعجم مقاييس اللغة (٨٥/٥)، والمصباح المنير (٦٨٨/٢)،

ولسان العرب (٣٧٧/٧).

(٦) تهذيب اللغة (٣٨٨/٨)، (٣٨٩)، ولسان العرب (٣٧٧/٧).

(٧) تهذيب اللغة (٣٨٨/٨).

(٨) المصباح المنير (٦٨٨/٢).

(٩) سورة الرحمن، بعض آية: ٩.

وذلك جَوْرًا، وَالْإِقْسَاطُ: أَنْ يُعْطِيَ قِسْطَ غَيْرِهِ، وَذَلِكَ إِنْصَافٌ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: قَسَطَ الرَّجُلُ: إِذَا جَارَ، وَأَقْسَطَ: إِذَا عَدَلَ^(١).

حب الله للمقسطين:

ورد حب الله عز وجل للمقسطين في ثلاث آيات في القرآن الكريم:

أولاً: القسط في الحكم مع أهل الكتاب:

ففي الآية الأولى في سورة المائدة، قال تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّخِيَّةِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢)، وقد جاء حب الله لهذه الصفة بعد أن ذكر سبحانه وتعالى بعض صفات اليهود وهي كثرة سماعهم للكذب، وأخذ الرشوة، عن الحسن قال: (تلك أحكام اليهود يسمع كذبه ويأخذ رشوته)^(٣)، قال المراغي: (بين الله سبحانه لنبينا محمد ﷺ أنه إذا جاءه اليهود ليحكم بينهم فالأمر مخير له إن شاء حكم بينهم وإن شاء أعرض عنهم وتركهم لرؤسائهم، وإن أعرض فالله حافظه من ضررهم، وإن شاء وأراد أن يحكم بينهم فليحكم بالعدل الذي أمر به وهو ما تضمنه القرآن واشتملت عليه شريعة الإسلام)^(٤).

قال الإمام الطبري: (إن الله يحب العادلين في حكمهم بين الناس، القاضين بينهم بحكم الله الذي أنزله في كتابه وأمر به أنبياءه صلوات الله عليهم)^(٥).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ قال مالك: (المعدلين في القول والفعل)^(٦).

وقال الإمام العلامة الألوسي: (أي العادلين فيحفظهم من كل مكروه

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٧٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٢.

(٣) الدر المنثور (٨٤/٣).

(٤) تفسير المراغي (١٢١/٦) بتصرف.

(٥) جامع البيان (٥٨٧/٤).

(٦) الدر المنثور (٨٤/٣).

ويعظم شأنهم^(١).

ويتجلى حب الله للمقسطين في هذه الآية أنهم أقسطوا حتى في حكمهم مع المعهدين - كاليهود - فلا يحكمون بينهم إلا بما أنزله الله من أحكام وتشريعات في القرآن الكريم.

ثانياً: القسط عند تقابل طائفتين من المؤمنين:

جاء في الآية الثانية في سورة الحجرات قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتِلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتَةً فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢).

فبين الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ، ولمن بعده من المؤمنين. أنه إذا حدث نزاع بين طائفتين وأدى ذلك إلى القتال فيما بينهما، فيأمر الله المؤمنين أن يصلحوا بينهم بالدعاء إلى حكم الله والرضا بما فيه وإن أصرت إحداهما على موقفها ولم ترضَ بالحكم فأمر بقتال الطائفة الباغية إلى أن ترجع إلى حكم الله، فإن حصل الرجوع عن موقفها (البغي) فيحكم بينهما بالعدل ثم ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به في إصلاح ذات البين، والقول فيه مثله في الأمانة باتقاء الله عقب النهي عن التقديم بين يديه، والقسط بمعنى العدل، فالفعل منه: أقسط، وهمزته للسلب، أي: أزال القسط وهو الجور^(٣).

قال الإمام الرازي: (أي في كل مفض إلى أشرف درجة وأرفع منزلة وهي محبة الله تعالى، والإقساط إزالة القسط وهو الجور والقاسط هو الجائر، والتركيب دال على كون الأمر غير مرضي من القسط والقاسط في القلب وهو أيضاً غير مرضي ولا معتد به فكذلك القسط)^(٤).

(١) روح المعاني (٣/٣١٠).

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٣) الكشف (٤/٣٥٦).

(٤) التفسير الكبير (٢٨/١٠٦).

وقال الشنقيطي^(١): في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ يقول إن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس وعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيرون من برهم ويحسنون لمن أحسن إليهم^(٢).

وقال المراغي: (أي واعدلوا في كل ما تأتون وما تذررون، إن الله يحب العادلين في جميع أعمالهم ويجازيهم أحسن الجزاء)^(٣).

النزاع بين طوائف المؤمنين كثير، سواء كان في السابق أو في وقتنا الحالي، وهذا النزاع قد يكون بين طوائف، وقد يكون بين دول مسلمة، فإذا حصل النزاع بين طوائف داخل الدولة لا بد من هيئة تحكيم محلية تصلح بينهم وتحكم بالعدل.

أما إذا حصل النزاع بين الدول المسلمة فلا بد من هيئة تحكيم عالمية إسلامية تصدر من منظمة دول العالم الإسلامي، تقوم بمهام الإصلاح بين الدول، وتخفف من حدة التوتر في العلاقات كما هو واقع في وقتنا الحالي، وكون حكمها بالعدل.

ثالثاً: القسط في المعاملة مع الذين لم يقاتلونا في الدين:

وبيّن الله سبحانه وتعالى معنى آخر للقسط، ألا وهو القسط في المعاملة، وقد جاء ذلك جلياً في الآية الثالثة في سورة الممتحنة يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّهُمُ وَقَسْطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٤).

وهنا يوضح المولى سبحانه وتعالى إذا كان أهل من أسلم ظلوا على

(١) محمد الأمين بن المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ولد ١٣٢٥هـ، مدرس ومفسر من علماء شنقيط «مورتانيا»، وله العديد من الكتب منها: «أضواء البيان في تفسير القرآن»، توفي في مكة ١٣٩٣هـ. الأعلام (٤٥/٦).

(٢) أضواء البيان (١٥٤/٨).

(٣) تفسير المراغي (١٣١/٢٦).

(٤) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

كفرهم أو شركهم فذلك لا يمنع من بزهم وصلتهم، وعن سبب نزول الآية الكريمة، قال عبدالله بن الزبير^(١): (قدمت فتيلة بنت عبد العزى على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وأقط وسمن، وهي مشركة فأبت أسماء أن تقبل هديتها، أو تدخلها بيتها، حتى أرسلت إلى عائشة أن سلي عن هذا رسول الله ﷺ، فسألته، فأنزل الله ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ﴾^(٢) إلى آخر الآية، فأمرها أن تقبل هديتها وتخلها بيتها^(٢).

﴿وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس يريد بها الصلة وغيرها.

وقال النسفي: (أي وتقضوا إليهم بالقسط ولا تظلموهم)^(٣) والمعنى (لا ينهاكم الله عن بز الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم، ولا عن القسط فيهم، لأن الله عز وجل يحب من اتصف بصفة العدل)^(٤).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ﴾ يريد أهل البر والتواصل^(٥).

وقال ابن عاشور: (وجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ﴾ تذييل، أي يحب كل مقسط فيدخل الذين يقسطون للذين خالفوهم في الدين وكانوا مع المخالفة محسنين معاملتهم)^(٦).

ويتجلى حب الله للمقسطين في هذه الآية، أنهم يلتزمون العدل حتى في معاملتهم مع أهلهم، وإذا كانوا مشركين وهذا يدل على سمو ورقي

(١) عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب بن مرة، أمير المؤمنين، أبو بكر، كان أول مولود للمهاجرين بالمدينة، له صحبة ورواية أحاديث، قتل سنة ٧٣ هـ. النبلاء (٣/٣٦٣).

(٢) الدر المنثور (٨/١٣٠).

(٣) مدارك التنزيل (٣/٥١٤).

(٤) الأساس في التفسير (١٠/٥٨٤٩).

(٥) التفسير الكبير (٢٩/٥٢١).

(٦) التحرير والتنوير (٢٨/١٥٣).

التعامل حتى مع المخالفين في الدين من الأهل.

والسبب وراء حب الله للمقسطين، أن المقسط عرف حق الله فأداه كما ينبغي له فأقام القسط في نفسه في علاقته مع خالقه بأدائه الفرائض والنوافل وباجتناب المحرمات والنواهي، وكذا في علاقته مع أهله وأبنائه، يتعامل معهم بالعدل دون الجور والتحيز، وكذا في عمله يقوم بأدائه بالقسط كما أمره ربه، وفي جميع معاملاته التي يتعامل بها مع الآخرين، فبه وبنماذجه يستطيع أن يحيي المجتمع حياة عدل وإنصاف وراحة واستقرار، لأن الظلم والجور ينصرف عن أخلاقيات هذه الفئة.

ولم يقف الأمر منه سبحانه وتعالى عن حبه لهؤلاء المقسطين فقط، وإنما جعلهم على منابر في الجنة عن يمين الرحمن. عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»^(١).

وقال الإمام النووي نقلاً عن القاضي عياض: (يحتمل أن يكونوا على منابر حقيقة على ظاهر الحديث ويحتمل أن يكون كناية عن المنازل الرفيعة)^(٢).

صور من القسط:

للقسط صور عديدة ومتنوعة، ومحورها الأساسي هو الإنسان في تعامله مع خالقه ومع نفسه ومع الآخرين.

أولاً: في تعامله مع الخالق:

ويتحلى القسط في تعامل العبد مع خالقه بالحمد والشكر لله سبحانه

(١) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الإمارة - باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر (٢١١/١٢).

(٢) صحيح مسلم (٢١١/١٢).

وتعالى على نعمه الكثيرة وآلائه الجسيمة، فمن العدل القيام بالشكر له على ما أنعم به، وكذلك بين الله لنا الحق، فمن القسط اتباعه، يقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(١) ويكون الاتباع بأداء أوامره واجتناب نواهيه واتباع سنة نبيه محمد ﷺ والابتعاد عن البدع والضلالات.

ثانياً: في تعامله مع نفسه:

وكذلك يتضح العدل في تعامل الإنسان مع نفسه، فمن العدل أن يسلك بها طريق الخير والصواب ويبعدها عن طريق الشر والضلال، وأن لا يكلف نفسه فوق طاقتها من الأعمال سواء التي شرعها الله سبحانه، فيصيبه الملل والفتور، أو من أعماله الدنيوية فيرهق نفسه ويعرضها للمخاطر والأمراض، ومن هنا النبي ﷺ يرشد أحد صحابته إلى الطريقة المثلى في العبادة لله، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبدالله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟» فقلت: «بلى يا رسول الله». قال: «فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام»^(٢).

ثالثاً: في تعامله مع الآخرين:

يتجلى القسط في تعامله مع أهله أولاً، فيعطي زوجته جميع حقوقها ولا يظلمها، وإن كان له أكثر من زوجة، فيقسم لكل واحدة مثل ما يقسم للأخرى بالسوية...

ويدخل في القسط كذلك تعامله مع أبنائه فيعدل بينهم في العطفية، فعن حصين عن عامر قال: «سمعت النعمان بن بشير^(٣) رضي الله عنهما

(١) سورة آل عمران، بعض آية: ٣١.

(٢) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الصوم - باب حق الجسم في الصوم (٢٢٧/٤) ح (١٩٧٥).

(٣) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، له ولأبويه صحبة، ثم سكن الشام، ثم ولي إمارة الكوفة، ثم قتل بحمص ٦٥هـ وله ٦٤ سنة. تقريب التهذيب ص ٥٦٣.

وهو على المنبر يقول: أعطاني أبي عطية، فقالت بنت رواحة: لأرضي حتى تشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله. قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا. قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم. قال فرجع فرد عطيته»^(١).

ويدخل في القسط في معاملته مع المجتمع الخارجي يعيش فيه، فمن العدل أن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به، فلا يعاملهم معاملة يكره أن يعامله بها غيره، وبهذا الفهم في نمط التعامل يرقى المجتمع في أخلاقياته وسلوكياته.

نماذج من المقسطين:

لا تمرّ حقبة من الزمن، ولا عصر من العصور، إلا ونجد هناك نماذج رائعة من الطائفة المؤمنة بالله والتي تعمل على نصرة دينه وتطبيق شريعته، فنجد فيها صفات رفيعة، ومواقف نبيلة يسطرها لنا التاريخ ولكي نقتدي بهم. فإليك هذه النماذج:

عدل الرسول صلى الله عليه وسلم بين الرعية:

وهذه حادثة حصلت في عهد المصطفى ﷺ، وتبين مدى التزام الرسول عليه السلام بالقسط في تطبيقه لشرع الله، حتى ولو كان الجاني أحد المقربين إليه - كابنته - عن عائشة أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجتريء عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: «أنتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب فقال: أيها الناس إنما هلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد

(١) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الهبة - باب الإهداء في الهبة (٥/٢٦٠) ح (٢٥٨٧).

سُرقت لقطعت يدها»^(١).

عدل عمر بن الخطاب بين الرعية:

وهذا نموذج رائع في تطبيق القسط بين أفراد الشعب، وإن اختلفت عقيدتهم، فعن أنس بن مالك رحمه الله قال: كنا عند عمر بن الخطاب رضوان الله عليهم، إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال: يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك. قال: أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل، فأقبلت فرسي، فلما رآها الناس، قام محمد بن عمرو فقال: فرسي ورب الكعبة. فلما دنى مني عرفته فقلت: فرسي ورب الكعبة. فقام إليّ وضربني بالسوط ويقول: خذها وأنا ابن الأكرمين. قال: فوالله ما زاده عمر على أن قال له: اجلس ثم كتب إلى عمرو: إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل معك بابنك محمد، قال فدعا عمر وابنه فقال: (أحدثت حدثاً؟ أجنيت جناية؟ فقال: لا. قال: ما بال عمر يكتب فيك؟ قال: فقدم على عمر قال أنس: فوالله بينما أنا عند عمر، حتى إذا نحن بعمرو وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه فإذا هو خلف أبيه، فقال: أين المصري؟ قال: ها أنا ذا. قال: «دونك الدرة فاضرب ابن الأكرمين. قال: فضربه حتى أثخنه، ثم قال أرجلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه، فقال: يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني. قال: أما والله لو ضربته ما رجلنا بينك وبينه، حتى تكون أنت الذي تدعه، أي عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً، ثم التفت إلى المصري فقال: انصرف راشداً فإن رابك ريب فاكتب إليّ»^(٢).



(١) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الحدود - باب النهي في الشفاعة في الحدود (١٨٦/١١).

(٢) مناقب عمر بن الخطاب ص ٩٨.

المبحث الثامن: المقاتلون في سبيل الله

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ
بُيُوتًا مَرْتُضًا﴾ (١).

وقد وردت مادة الجهاد في الآيات المدنية، بمعنى القتال كما جاء في
سورة النساء وغيرها من السور. قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ﴾ (٢).

وكذا جاء في السنة النبوية لفظ الجهاد، بهذا المعنى الشرعي أيضاً،
وهو القتال، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل
الصائم القائم. وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو
يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة» (٣).

(١) سورة الصف، الآية: ٤.

(٢) سورة النساء، بعض آية: ٩٥.

(٣) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الجهاد والسير - باب أفضل الناس مؤمن مجاهد
بنفسه وماله في سبيل الله (٩/٦) ح (٢٧٨٧).

فإذن القتال هو أحد صور الجهاد، وبناءً عليه سوف أتعرض لتعريف الجهاد في اللغة والشعر.

الجهاد لغة:

الجيم والهاء والذال أصله المشقة، ثم يُحمل عليه ما يقاربه. يُقال: جَهَدْتُ نفسي وأَجْهَدْتُ^(١).

الجَهْدُ المشقة^(٢). والجَهْدُ: الطاقة^(٣). وقيل: الجَهْدُ للإنسان. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾^(٤) والجَهْدُ بالفتح والغاية وهو مصدر من جَهَدَ في الأمر جهداً إذا طلب حتى بلغ غايته في الطلب^(٥).

والجَهْدُ: بُلُوغُكَ غاية الأمر الذي لا تألو عن الجَهْدِ فيه. تقول: جَهَدْتُ جَهْدِي واجتهدتُ رأيي ونفسي حتى بلغتُ مجهودي.

قال الليث: (الجَهْدُ: ما جَهَدَ الإنسان من مَرَضٍ أو أمر شاقٍ فهو مَجْهُودٌ)^(٦).

والاجتهاد: أخذ النفس ببذلِ الطاقة وتحمُّلِ المشقة، يُقال: جهدتُ رأيي وأجهدته: أتعبته بالفكر^(٧).

وجاهد العدو مُجاهدةً وجهاداً: قاتله وجاهد في سبيل الله.

والجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء^(٨).

(١) معجم مقاييس اللغة (/) مادة جهد.

(٢) لسان العرب (١٣٣/٣)، والمصباح المنير (١٥٥/١).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٤٨٦/١)، ولسان العرب (١٣٣/٣)، والمصباح المنير (١٥٥/١).

(٤) سورة التوبة، بعض آية: ٧٩.

(٥) المصباح المنير (١٥٥/١).

(٦) تهذيب اللغة (٣٦/٦).

(٧) مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٠٨.

(٨) لسان العرب (١٣٥/٣).

والمجاهدة تكون بالمال والنفس واللسان، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وأستكم»^(١).

وقال الراغب: (والجهاد ثلاثة أضرب:

- مجاهدة العدو الظاهر.

- ومجاهدة الشيطان.

- ومجاهدة النفس.

وتدخل ثلاثها في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾^(٢) (٣).

الجهاد شرعاً:

بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة أو معاونة بمال أو رأي أو تكثير سواد أو غير ذلك^(٤).

حب الله للمقاتل في سبيله:

جاء ذكر حب الله عز وجل للمقاتلين في سبيله، في آية واحدة وهي في سورة الصف، والملاحظ أن هذه الصفة تختلف عن بقية الصفات التي يحبها الله في عباده المؤمنين، وذلك بأن أتت جملة «إن الله يحب» في صدر الآية بخلاف الآيات السابقة في الصفحات الآتية الذكر تكون في ختام الآية. ولعل الحكمة في ذلك أن هناك وصفاً معيناً للمقاتلين في سبيل الله استلزم الإيضاح فلذا تقدمت الآية بقوله «إن الله يحب».

(١) رواه أبو داود في السنن: كتاب الجهاد - باب كراهية ترك الغزو (١١/٢) قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

(٢) سورة الحج، بعض آية: ٧٨.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٠٨.

(٤) حاشية ابن عابدين (٢١٧/٣).

ويذكر الصابوني: (سبب تسميتها بسورة الصف لأن المحور الذي تدور عليه السورة هو «القتال»^(١)). وهنا يبين الله عزّ وجلّ صفة دقيقة للمقاتلين في سبيله وهي الاصطفاف صفّاً... كالبنيان المرصوص بحيث لا يكون بينهم فرجة كأنهم بنيان متلاحم الأجزاء.
وصفاً. أي صافين أنفسهم و صفو بينهم^(٢).

ويقول الشيخ ابن عاشور: (الصف: عدد من أشياء متجانبة منتظمة الأماكن فيطلق على صف المصلين، وصف الملائكة، وصف الجيش في ميدان القتال بالجيش إذا حضر القتال كان صفّاً من رجاله أو فرسان ثم يقع تقدم بعضهم إلى بعض فرادى أو زرافات. فالصف هنا كناية عن الانتظام والمقاتلة عن تدبر)^(٣).

والمرصوص، قال الفراء: هو المعقود بالرصاص، ويراد به المحكم، وقال المبرد^(٤): (رصصت البناء لاءمت بين أجزائه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة، ومنه الرصيص، وهو انضمام الأسنان)^(٥).

وقال الليث: (يقال رصصت البناء إذا ضمته، والرص انضمام الأشياء بعضها إلى بعض).

وقال ابن عباس: (يوضع الحجر ثم يرص بأحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فتسميه أهل مكة المرصوص)^(٦).

والظاهر أن المراد تشبيههم في التحام بعضهم ببعض بالبنيان

(١) صفوة التفاسير (٤١/١٨).

(٢) الكشاف (٥١١/٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٧٦/٢٨).

(٤) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، شيخ أهل النحو وحافظ علم العربية، من كتبه: «الكامل» و«المقتضب» ت ٢٨٦هـ. الأعلام (١٤٤/٧)، وتاريخ بغداد (١٥١/٤).

(٥) روح المعاني (٢٧٨/١٤).

(٦) التفسير الكبير (٥٢٧/٢٩).

المرصوص من حيث أنه لا فرجة بينهم ولا خلل، وقيل: المراد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص والأكثرين على الأول^(١).

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ الآية، قال: (ألم تروا إلى صاحب البناء كيف لا يحب أن يختلف بنيانه، فكذلك - الله - لا يحب أن يختلف أمره وإن الله وصف المسلمين في قتالهم وصفهم في صلاتهم فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به)^(٢).

وقال أبو إسحاق: (أعلم الله تعالى أنه يحب من يثبت في الجهاد، ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص، وقال: ويجوز أن يكون على أن يستوي شأنهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة، وموالة بعضهم بعضاً كالبنيان المرصوص)^(٣).

ومعنى الآية يقول الإمام القرطبي: (إن الله سبحانه وتعالى يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء)^(٤).

وسر هذا أنهم إذا كانوا كذلك زادت قوتهم المعنوية، وتنافسوا في الطعان والنزال، والكر والفر، إلى ما في ذلك من إدخال الروح والفرع في نفوس العدو، إلى ما لحسن النظام من إمضاء العمل بالدقة والإحكام، ومن ثم أمرنا بتسوية الصفوف في الصلاة، وألا يجلس المصلي في صف خلفي إلا إذا اكتمل ما في الصف الأمامي، وهكذا تراعي الأمم في عصرنا الحاضر النظام في كل أعمالها^(٥).

(١) روح المعاني (٢٧٨/١٤).

(٢) الدر المنثور (١٤٧/٨).

(٣) التفسير الكبير (٥٢٧/٢٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٥/١٨).

(٥) تفسير المراغي (٨١/٢٨).

ويتجلى حب الله للمقاتلين في سبيله في التحامهم في الصفوف، مما يدل على قوتهم وبسالتهم. ورجبتهم بالفوز بإحدى الحسنين النصر أو الشهادة في سبيله، وهذا يبين مدى عمق الإيمان في قلوبهم الذي نتج عنه هذا التصرف.

حكم الخروج من الصف:

قال ابن العربي^(١): (وأما الخروج من الصف فلا يكون إلا لحاجة تعرض للإنسان، أو في رسالة يرسلها الإمام ومنفعة تظهر في المقام، كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها، أو يتظاهر على التبرز للمبارزة)^(٢).

رأي العلماء في الخروج عن الصف للمبارزة:

واختلف العلماء في ذلك إلى رأيين:

أحدهما: أنه لا بأس بذلك، إرهاباً للعدو، وطلباً للشهادة، وتحريضاً على القتال.

ثانيهما: لا يبرز أحد طالباً لذلك؛ لأن فيه رياء وخروجاً إلى ما نهى الله عنه عز وجل يوم بدر، وفي غزوة خيبر، وعليه درج السلف^(٣).

صور البنیان المرصوص:

أولاً: صف المصلين:

عن أنس رضي الله عنه قال: أقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله ﷺ

(١) محمد بن عبدالله بن محمد المعامري، الإشبيلي المالكي، أبو بكر العربي، من حفاظ الحديث، قاض. ولد في أشبيلية، له كتب كثيرة منها: «العواصم من القواصم» و«عارضه الأحوذى في شرح الترمذي» و«أحكام القرآن» ت ٥٤٣هـ. الأعلام (٢٣٠/٦)، ووفيات الأعيان (٢٩٦/٤).

(٢) أحكام القرآن (١٨٠١/٤)..

(٣) المرجع السابق.

بوجهه فقال: «أقيموا صفوفكم وتراصوا، فإني أراكم من وراء ظهري»^(١).

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «سواوا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة»^(٢). اعتبر النبي ﷺ تسوية الصفوف وتراص المصلين بين المناكب والأقدام، وسد الفرج بينهم شرط لإقامة الصلاة.

وكما يحرص المقاتلون على تراص الصفوف بينهم حتى لا يكون هناك فرجة ولا خلل يستطيع العدو أن يتغلغل إلى صفوفهم فكذا المصلون يجب أن يحرصوا على تسوية الصفوف حتى لا يكون مجالاً للشيطان أن يدخل بينهم ويوسوس عليهم في صلاتهم.

ثانياً: صف الملائكة:

عن جابر بن سمرة قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قالوا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم، قال: يتمون الصف الأول ثم يتراصون في الصف»^(٣).

فهؤلاء الملائكة الذين خلقوا من نور، وجبلوا على الطاعة والعبادة، ينتظمون في الصف عند ربهم أي في محل قربه وقبوله، فأحرى بنا نحن البشر أن نتراص في الصفوف في الصلاة والقتال كما يحب ربنا.

ثالثاً: صف الجيش في ميدان القتال:

عن حمزة بن أبي أسيد، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ حين اصطفنا يوم بدر: «إذا أكثبوكم - يعني إذا غشوكم - فارموهم بالنبل،

(١) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الأذان - باب إقبال الإمام على الناس عند تسوية (٢٦٩/٢) ح (٩١٧).

(٢) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الأذان - باب إقامة الصف من تمام الصلاة (٢٧١/٢) ح (٧٢٣).

(٣) رواه النسائي في السنن: كتاب الإمامة - باب حث الإمام على رص الصفوف والمقارنة بينها (٩٢/٢) قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

واستبقوا نبلكم»^(١).

قال عبدالرحمن بن عوف^(٢): (إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن فكأنني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرأ من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي وما تصنع به؟ فقال: عاهدت الله إن رأيت أنه أقتله أو أموت دونه. فقال لي الآخر سرأ من صاحبه مثله. قال: فما سرنني أني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدوا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه؛ وهما ابنا عفراء)^(٣).

تشير الأحاديث المذكورة على حرص النبي ﷺ على تنظيم صفوف الجيش المقاتل معه في غزواته، حتى تقوى الروح لديهم في مجابتهم عدوهم على الرغم من قلة العدد والعتاد في مجابهة الكفار، في أول غزوة معهم، وهي غزوة بدر.

صفات المقاتلين في سبيل الله:

فهؤلاء الذين علق الله سبحانه وتعالى المحبة لهم بأعمالهم لهم عدة صفات:

أولاً: يقاتلون؛ فلا يركنون إلى الخلود والخمول والكسل والجمود الذي يضعف الدين والدنيا.

ثانياً: الإخلاص، لقوله سبحانه ﴿فِي سَبِيلِهِ﴾ فلم يقاتل رياءً أو لطلب شهرة ولكي يقال عنه أنه مقاتل.

ثالثاً: يشد بعضهم بعضاً، لقوله تعالى: ﴿صَفًّا﴾.

(١) رواه أبو داود في السنن: كتاب الجهاد - باب في الصفوف (٥٣/٢) قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

(٢) عبدالرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، أحد العشرة، أسلم قديماً. ت ٥٣٢هـ. تقريب التهذيب ص ٣٨٤.

(٣) رواه البخاري في الصحيح: كتاب المغازي - باب ١٠ (٣٨٥/٧) ح (٣٩٨٨).

رابعاً: أنهم كالبنيان، والبنيان حصن منيع لا يقوى العدو على اقتحامه.

خامساً: لا يتخللهم ما يمزقهم، لقوله تعالى: ﴿مَرْضُوصٌ﴾.

هذه خمس صفات علق الله المحبة لهؤلاء عليه^(١).

أنواع القتال في الإسلام:

ذكر د. محمد خير هيكل في كتابه «الجهاد والقتال في السياسة الشرعية»^(٢) إلى أنواع القتال في الإسلام، وأيها يصدق عليه تعريف الجهاد شرعاً في فصل متكامل المباحث، وهنا نشير إلى هذه الأنواع دون أن نبحت في أي مبحث ونترك للراغب في الاستزادة الرجوع إليه:

الأول: قتال الردة.

الثاني: قتال أهل البغي.

الثالث: قتال المحاربين (الحرابة، أو قطاع الطرق).

الرابع: القتال للدفاع عن الحرمات الخاصة.

الخامس: القتال للدفاع عن الحرمات العامة.

السادس: القتال ضد انحراف الحاكم.

السابع: قتال الفتنة.

الثامن: قتال مغتصب السلطة.

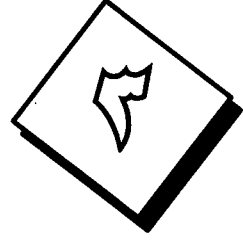
التاسع: قتال أهل الذمة الخارجين.

العاشر: القتال لإقامة الدولة الإسلامية.

الحادي عشر: القتال من أجل وحدة بلاد الإسلام.

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/٢٣٧).

(٢) الجهاد والقتال (١/٥١).



الفصل الثالث الذين لا يحبهم الله

ويتضمن تمهيداً والمباحث التالية:

المبحث الأول: المفسدون.

المبحث الثاني: الظالمون.

المبحث الثالث: الكافرون.

المبحث الرابع: المعتدون.

المبحث الخامس: الخائنون.

المبحث السادس: المسرفون.

المبحث السابع: المتكبرون والمختال الفخور.

المبحث الثامن: الفرحون.

المبحث التاسع: الجهر بالسوء.



تمهيد

الحمد لله نحمده ونستعين به ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

أما بعد . . .

فقد نفى الله سبحانه وتعالى حبه عن ذوي الصفات السيئة الموغلة في السوء التي من شأنها أن تشيع الضرر في نفس صاحبها وعلى أسرته وعلى المجتمع المحيط به .

وحتى يصرف الله سبحانه وتعالى عباده عن هذه الصفات المشينة، وحتى يسير الخلق على وفق المنهج الذي رسمه الله لهم، وأنزله على نبيه محمد ﷺ، نفى الله سبحانه وتعالى حبه عن تسع صفات مذمومة، لما لها من آثار سيئة أولها بغض الله - عزّ وجلّ - له، الذي يترتب عليه بغض الملائكة له وكذلك بغض الخلق إليه، كما قال رسول الله ﷺ: « . . . إذا أبغض الله عبداً، دعا جبريل، فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، فيبغضه جبريل - ثم يُنادي في أهل السماء: إن الله يُبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض»^(١).

(١) رواه مسلم في الصحيح: كتاب البرّ والصلة - باب: إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده

بالإضافة إلى أن هذه الصفات من شأنها أن تخل بالنظام وتزعزع الأمن وتدهور الحياة في هذا الكون، ولعل من أبرز فوائد معرفة ما لا يحبه الله عزّ وجلّ، هو: البعد والانصراف عن الأفعال القبيحة والصفات السيئة والعادات المشينة، ومحاربتها بجميع الوسائل والإمكانات المُتاحة، لتطهير المجتمع وتنقيته من كل قبيح مستقبح، فإليك بيان الذين لا يحبهم الله.



المبحث الأول: المفسدون

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَوْلُكَ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ يُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ۗ﴾ (٢٥) (١).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۗ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۗ وَالْقِتْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَاةَ وَالْبَغِضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فُسَادًا ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۗ﴾ (٦٤) (٢).

وقال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنَ ۗ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۗ﴾ (٧٧) (٣).

الفساد لغة:

والفساد نقيضُ الصلاح (٤).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٤) تهذيب اللغة (٣٦٩/١٢)؛ ولسان العرب (٣٣٥/٣) مادة فسد.

فَسَدَ الشَّيْءُ يَفْسُدُ فَسَاداً وَفُسُوداً وَهُوَ فَاسِدٌ وَفَسِيدٌ^(١). والجمع: فسدى^(٢). وهو خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان الخروج أو كثيراً^(٣)، يُقال: فسد اللحم: أنتن، وفسدت الأمور: اضطربت، وفسد العقد: بطل^(٤). وفسد الشيء: إذا أباره^(٥).

وأفسده هو واستفسد فلان إلى فلان. وتفاسد القوم: تدابروا وقطعوا الأرحام^(٦).

والمفسدة: خلاف المصلحة^(٧). والاستفساد: خلاف الاستصلاح. وقالوا هذا الأمر مفسدة لكذا أي فيه فساد^(٨).

واستفسد السلطان قائده: إذا ساء إليه حتى استعصى عليه^(٩).

والفساد اصطلاحاً:

قال الكفوي: (الإفساد هو جعل الشيء فاسداً خارجاً عما ينبغي أن يكون عليه وعن كونه منتفعاً به)^(١٠).

وقال الجرجاني: (الفساد: هو زوال الصورة عن المادة بعد أن كانت حاصله)^(١١).

وعرّف جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة الفساد بأنه:

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/٥٠٣).

(٢) المصباح المنير (٢/٦٤٦)، ولسان العرب (٣/٣٣٥).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٣٦، والموسوعة الفقهية (٣٢/١١٧).

(٤) الموسوعة الفقهية (٣٢/١١٧).

(٥) تهذيب اللغة (١٢/٣٧٠)، ولسان العرب (٣/٣٣٥).

(٦) لسان العرب (٣/٣٣٥).

(٧) المصباح المنير (٢/٦٤٧)، ولسان العرب (٣/٣٣٥).

(٨) لسان العرب (٣/٣٣٥).

(٩) تهذيب اللغة (١٢/٣٧٠)، ولسان العرب (٣/٣٣٥).

(١٠) الكليات ص ١٥٤.

(١١) التعريفات ص ١٦٦.

مخالفة الفعل الشرع بحيث لا يترتب عليه الآثار، ولا يسقط القضاء في العبادات^(١).

وقيل: هو إخراج الشيء، عن حالة محمودة لا لغرض صحيح؛ ولا يوجد ذلك في فعل الله؛ وما تراه في فعله تعالى فساداً فهو بالإضافة إلينا، وأما بالنظر إليه فكله صلاح^(٢).

انتفاء محبة الله للمفسدين:

- كلمة الفساد - كلمة مرادفة للخراب والدمار والهلاك، وصاحب هذه الصفة يحمل صفات عدوانية وبغيفية تجاه أسرته، ومجتمعه، ووطنه. ولعل ظروف نشأته، ودرجة بعده من خالقه جعلته يسلك هذا المسلك وهو الفساد ومحاولة إفساد كل ما هو سليم وممكن الاستفادة منه أو صالح للاستعمال والمنفعة منه.

وقد يتبادر إلى ذهن السامع عندما نقول إن هذه سلعة فاسدة أو مادة فاسدة، بأن هناك ظروفاً خارجية أثرت فيها فجعلتها تفسد وتنتهي صلاحيتها، فكذلك الحال بالنسبة للمفسد فإن هناك ظروفاً محيطة به جعلته يسلك هذا الدرب ويتصرف هذا التصرف وهو الفساد.

وقد ورد انتفاء محبة الله للمفسدين في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، في ثلاث صور.

أولاً: الإفساد يهلك الحرث والنسل:

ورد بغض الله للصفة ذاتها في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥) ﴿٣﴾.

(١) الموسوعة الفقهية (١١٧/٣٢).

(٢) الكلبيات ص ١٥٤.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٢٠٤، ٢٠٥.

فهنا يبين الله سبحانه وتعالى حال المنافق مع ولاة الأمر من المسلمين أو الدعاة إلى الله، فإنه إذا التقى بهم أظهر لهم الكلام الطيب مبدئاً الحب والتبجيل لهم، ويُشهد الله على أنه صادق في كلامه وأنه يحب الإسلام والمسلمين، وهو شديد الجدل والعداوة لهم.

ومما يدل على عداوته أنه إذا تولى عنك وذهب بعد إلانة القول وإجلاء المنطق، كان خلاف ما أبان وأظهر.

قال تعالى: ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَهُوَ لَكُمْ الْأَحْرَثَ وَالثَّغْلُ﴾^(١) وسئل مجاهد عن هذه الآية فقال: يلي في الأرض فيعمل فيها بالعدوان والظلم، فيحبس الله بذلك القطر من السماء، فيهلك بحبس القطر الحرث والنسل^(١).

وقيل ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ وإذا كان والياً فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل^(٢).

قال العلامة الألوسي في قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾: أي لا يرضى به فاحذروا غضبه عليكم، والجملة اعتراض للوعيد واكتفى فيها على الفساد لانطوائه على الثاني لكونه من عطف العام على الخاص، ولا يرد أن الله تعالى مفسد للأشياء قبل الإفساد، وما نراه ظاهراً من فعله جلّ وعلا ظناً إفساداً فهو بالإضافة إلينا، وأما بالنظر إليه تعالى فكله صلاح، وأما أمره بإهلاك الحيوان مثلاً لأكله فلاصلاح الإنسان الذي هو زبدة هذا العالم^(٣).

قال الشيخ ابن عاشور: (ومعنى نفي المحبة نفي الرضا بالفساد، وإلا فالمحبة - وهي انفعال النفس وتوجه طبيعي يحصل نحو استحسان ناشيء - مستحيلة على الله تعالى فلا يصح نفيها فالمراد لازمها وهو الرضا.

والفساد ضد الصلاح، ومعنى الفساد: إتلاف ما هو نافع للناس نفعاً

(١) الدر المنثور (٥٧٤/١).

(٢) الكشف (٢٤٨/١).

(٣) روح المعاني (٤٩١/١) بتصرف.

محضاً أو راجحاً، فإتلاف الألبان مثلاً إتلاف نفع محض، وإتلاف الحطب بعلة الخوف من الاحتراق إتلاف نفع راجح والمراد بالرجحان رجحان استعماله عند الناس لا رجحان كمية النفع على كمية الضرر، فإتلاف الأدوية السامة فساد، وإن كان التداوي بها نادراً لكن الإهلاك بها كالمعدوم لما في عقول الناس من الوازع عن الإهلاك بها فيتفادى عن خيرها بالاحتياط في رواجها وبأمانة من تسلم إليه، وأما إتلاف المنافع المرجوحة فليس من الفساد كإتلاف الخمر، وإنما كان الفساد غير محبوب عند الله: لأن في الفساد بالتفسير الذي ذكرناه تعطيلاً لما خلقه الله في هذا العالم لحكمة صلاح الناس فإن الحكيم لا يحب تعطيل ما تقتضيه الحكمة، فقتل العدو إتلاف للضرر الراجح ولذلك يقتصر في القتال على ما يحصل به إتلاف الضرر بدون زيادة، ومن أجل ذلك نهى عن إحراق الديار في الحرب وعن قطع الأشجار إلا إذا رجح في نظر أمير الجيش أن بقاء شيء من ذلك يزيد قوة العدو ويطيل مدة القتال ويخاف منه على جيش المسلمين أن ينقلب إلى هزيمة وذلك يرجع إلى قاعدة: الضرورة تُقدَّر بقدرها^(١).

وهذه الآية تختلف عن نظائرها في الآيات اللاحقة بأن المذكور الذي ورد انتفاء محبة الله له هو الفعل بعينه - وهو الفساد - بخلاف الآيات اللاحقة فقد ورد انتفاء محبة الله للمفسدين أنفسهم وهم الأشخاص الذين يتولون مهمة الفساد، وهنا تجدر الإشارة بأن هذا الفعل - الفساد - لا يحبه الله عزّ وجلّ بحد ذاته، لما له من تعطيل لمصالح العباد في هذه الحياة، وإلحاق الضرر على حياتهم... وإن هذه الآية تبين حال المنافق إذا كلف ولاية موقع ما سعى إلى الإفساد فيه.

ثانياً: الإفساد بإيقاد نار الحرب:

ويبين الله سبحانه وتعالى صورة أخرى للمفسدين في الأرض، وذلك بإشعال نار الحرب بين المسلمين عن طريق إثارة الشر والفتنة بينهم وهذا سبيل

(١) التحرير والتنوير (٢/٢٧٠).

اليهود لإضعاف المسلمين وقد جاء ذلك في سورة المائدة فقال سبحانه وتعالى :

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا يَمًا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُوقِفُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَنَزِدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُنَّ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُفَيْنًا وَكُفْرًا وَالْقِتْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾^(١).

يذكر الله في هذه الآية الكريمة قبح أخلاق اليهود وافترائهم على ربهم بوصفهم إياه بما لا يوصف به، ونكرانهم جميل فضله عليهم، وحملهم حقدهم وحسدهم على الرسول ﷺ وما نزل عليه من أخبارهم التي لا يعلمها إلا أحبارهم دون غيرهم من اليهود إلى الكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام وبرسالته، وألقى الله بينهم وبين النصارى العداوة إلى يوم القيامة ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ أي كلما هموا بالكيد للرسول وللمؤمنين الصادقين خذلهم الله، وهم إما أن يخيبوا في سعيهم ولا يتم لهم ما أرادوا من الإغراء والتحريض وإما ينصر الله رسوله والمؤمنين^(٢).

﴿وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله، وإثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغير ما عبر عنه بإيقاد نار الحرب، كتغيير صفة النبي ﷺ وإدخال الشبه على ضعفاء المسلمين والمشي بالنميمة مع الافتراء ونحو ذلك.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بل يبغضهم، ولذلك أطفأ نائرة فسائدهم^(٣).

وقال السيد محمد رشيد رضا في قوله ﴿وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾: أي (أنهم لم يكونوا فيما يأتونه، أو على ما يأتونه من عداوة النبي والمؤمنين وإيقاد نيران الحرب والفتن والقتال، مصلحين للأخلاق والأعمال، أو لشئون الاجتماع والعمران، بل كانوا يسعون في الأرض سعي الفساد، أو لأجل الفساد بمحاولة منع اجتماع كلمة العرب،

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) تفسير المراغي (١٥٤/٦).

(٣) روح المعاني (٣٤٩/٣).

وخروجهم من الأمية إلى العلم، ومن الوثنية إلى التوحيد، وبالكيد للمؤمنين وتشكيكهم في الدين حسداً لهم، وحباً في دوام امتيازهم عليهم، والله لا يحب المفسدين في الأرض، فلا يصلح عملهم ولا ينجح سعيهم لأنهم مضادون لحكمته في صلاح الناس وعمران البلاد^(١).

ويتضح من خلال الآية الكريمة أن الصنف الذي لا يحبه الله من المفسدين هم - اليهود - وأنهم في سعي دائم للفساد في الحرب عن طريق إشعال نار الحرب بين المسلمين سواء في الطعن بينهم - محمد ﷺ أو كتابهم - القرآن الكريم.

ثالثاً: الإفساد في الأرض:

ووردت - الآية الثالثة - التي تبين انتفاء محبة الله للمفسدين، في سورة القصص بعد أن وصف الله الصورة التي وصل إليها قارون بامتلاكه الكنوز والأموال التي لا تحصى وما أدى إليه من بطر وبغي ونصح قومه له فيقول سبحانه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢).

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ قال السدي^(٣) رضي الله عنه: تصدق، وقرب الله تعالى، وصل الرحم^(٤).

أي واستخدم ما وهبك الله من مال جزيل، ونعمة طائلة في طاعة ربك، والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي ولا تترك حظك من ملذات الدنيا في مآكلها، ومشاربها وملابسها: فإن إذ لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً.

(١) تفسير المنار (٦/٣٨٠).

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٣) إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة الهاشمي السدي الكبير، أبو محمد الكوفي الأعور. روي عن ابن عباس وأنس وجماعة من الطبقة الرابعة ت ١٢٧هـ. طبقات المفسرين - د - (١/١١٠).

(٤) الدر المنثور (٦/٤٣٩).

﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي وأحسن إلى خلقه، كما أحسن هو إليك فيما أنعم به عليك، فأعن خلقه بمالك وجاهك، وطلاقة وجهك، وحسن لقائهم والثناء عليهم في غيبتهم.

﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي لا تصرف همتك، مما أنت فيه إلى الفساد في الأرض والإساءة إلى خلق الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي إن الله لا يكرم المفسدين، بل يهينهم ويبعدهم من حظيرة قربه، ونبل مودته ورحمته^(١).

من صور الفساد:

يتفنن أهل الباطل في إظهار الفساد في الأرض، وعرض صوره المختلفة على البشرية بغية ترويعها وإلقاء الخوف في نفوسها وإليك بعض صور الفساد:

أ - الدعوة إلى غير دين الله.

ب - قتل النفوس، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٢).

ج - نهب الأموال وقطع الأرحام، وقال سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(٣).

د - تخريب البلاد، وذلك بإهلاك المزروعات، وحرق الآبار، وتدمير العمران والمنشآت، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَوْلًا سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِیُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(٤).

(١) تفسير المراغي (٩٤/٢٠).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

فساد الملوك:

يرتبط الفساد في الأرض بالشخصية المتسلطة الحاكمة بالقوة والتمتجة على قومها والمتغترسة على شعبها، والتي تخشى زوال حكمها فتطغى وتتجبر وتهلك وتقتل وتسلب بغية الثبات على الحكم وإرهاب الشعب بما عندها من قوة وجبروت، وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه العزيز هذا النموذج المتغترس المتكبر الذي ادعى الربوبية من دون الله، وها هو فرعون الذي عاث في الأرض علواً وفساداً، فقال سبحانه وتعالى عنه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّنَّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدِّعِيْنَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَجْجِي، يَسَاءَ لَهُمُ الْيَوْمَ كَانَتْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١).

وفي عصرنا الحاضر يتكرر هذا النموذج الفاسد المفسد في الأرض، وينطبق عليه قول بلقيس حين قالت لقومها ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ (٢).

والأمثلة بالمثل تذكر وذلك حينما غزا طاغية العراق أرض الكويت وأهلها نيام، فقتل أبناءها، وهتك عرض نساءها، وقطع أمل الحياة عن أطفالها الخدج، وسلب الأجهزة والمعدات، ودمر المباني والمنشآت، وأتلف البيئة وحرق الآبار، وخطف النساء والرجال وأودعهم في غياهب السجون يشكون إلى الله ظلم الطاغوت. وهذا بعض فساد الذي عاث به ذلك المجرم وزمرته في عصرنا الحاضر على أرض جارتها المسلمة أرض الكويت الأبية، قال تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ (٣). ولا يحق المكر السيء إلا بأهله... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون...

عاقبة المفسدين:

بين الحق تبارك وتعالى عاقبة المفسدين في الأرض، وما يجب أن يلحق بهم من عقوبة من قبل الحاكم العادل المسلم، حتى يرتدع كل من

(١) سورة القصص، الآية: ٤.

(٢) سورة النمل، الآية: ٣٤.

(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٢.

تسول له نفسه أن يسلك هذا المسلك الخطير على أبناء شعبه وهو في جهل تام عن حقيقة عاقبته.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ (١).

وهذا حكم كل قاطع طريق في الدنيا وهو:

- ١ - القتل من غير صلب، إن أقرروا القتل.
- ٢ - الصلب مع القتل، إن جمعوا بين القتل والأخذ.
- ٣ - قطع الأيدي والأرجل من خلف، إن أخذوا المال.
- ٤ - النفي من الأرض، إذا لم يزيدوا على الإخافة.

بعض من أنواع الفساد:

يذكر الشيخ محمد الغزالي بعض من أنواع الفساد في كتابه المحاور الخمسة للقرآن الكريم قائلاً:

(الخروج على سنن الله الكونية والاجتماعية ومعالجة الشؤون الخاصة والعامّة بالهوس والقصور. وقد يبدأ بأمر تافه ثم يكبر وستفحل أمره وتزيد خطورته.

وفساد إداري بالغ الأضرار في العالم الثالث، فالرجل يتولى المنصب العام فيحسبه متعة خاصة أو جاهاً شخصياً، ولا يعلم أنه مسؤولية جسيمة وأمانة صعبة، ومن ثم لا يتيقظ لمطالبه ولا يسهر على مراقبته^(٢).



(١) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

(٢) المحاور الخمس للقرآن ص ١٩٤.

المبحث الثاني: الظالمون

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿إِن يَمَسُّكُمْ فَزَعٌ مِّنَ الْقَوْمِ فَزَعٌ مِّثْلَهُ وَتِلْكَ
الْآيَاتُ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمُ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا
يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ (٣).

الظلم لغة:

الظَلُمُ: وضع الشيء في غير موضعه (٤). وزاد الراغب المختص به؛
إما بنقصان أو زيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه؛ ومن هذا يُقال:
ظَلَمْتُ السَّقَاءَ: إذا تناولته في غير وقته؛ ويسمى ذلك اللبن الظليم. وظَلَمْتُ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤٦٨/٣)، والمصباح المنير (٥٢٧/٢)، ومفردات ألفاظ القرآن
ص ٥٣٧، والكليات ص ٥٩٤ مادة ظلم.

الأرض: حفرتها ولم تكن موضعاً للحفر، وتلك الأرض يُقال لها: المظلومة، والتراب الذي يخرج منها: ظَلِيمٌ^(١).

ومن أمثال العرب في الشبه: مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ؛ قال الأصمعي: ما ظَلَمَ أي ما وضع الشَّبه في غير موضعه^(٢).

وأصل الظلم الجورُ ومُجاوِزة الحدِّ، ومنه حديث الوضوء: «فمن زاد أو نقص فقد أساء وظلَّم»^(٣). أي أساء الأدب بتركه السنَّة والتأدب بأدب الشرع، وظلَّم نفسه بما نقصها من الثواب بترداد المرات في الوضوء^(٤).

والظلم: المَيْل عن القصد، والعرب تقول: ألزم هذا الصوب ولا تظلم عنه أي لا يجز عنه^(٥)، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٦) يعني أن الله تعالى هو المُحْيِي المُمِيت الرزاق المُنعم وخذ له لا شريك له، فإذا أشرك به غيره فذلك أعظمُ الظلم، لأنه جعل النعمة لغير ربها^(٧).

فالظلمُ مصدرٌ حقيقي، والظلمُ الإسمُ يقوم مقام المصدر، وهو ظالمٌ وظلوم^(٨).

الظَلامة: اسم مَظْلَمَتِكَ التي تطلبها عند الظالم^(٩). وتظالم القوم: ظلم بعضهم بعضاً.

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٣٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤٦٨/٣)، ولسان العرب (٣٧٣/١٢).

(٣) رواه أبو داود في السنن: كتاب الطهارة - باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً (٣٩/١)، وابن ماجه في السنن، كتاب الطهارة - باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه (١٤٦/١) ح (٤٢٢) بنحوه، قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

(٤) لسان العرب (٣٧٣/١٢).

(٥) تهذيب اللغة (٣٨٥/١٤)، ولسان العرب (٣٧٣/١٢).

(٦) سورة لقمان، بعض آية: ١٣.

(٧) لسان العرب (٣٧٣/١٢).

(٨) لسان العرب (٣٧٣/١٢).

(٩) تهذيب اللغة (٣٨٦/١٤).

وَالظَّالِمَةُ: المانعون أهل الحقوق حقوقهم^(١). وَالْمُسْلِمُ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ
لِتَعَدِّيهِ الْأُمُورَ الْمَفْتَرَضَةَ عَلَيْهِ^(٢).

وَالظُّلْمُ اصْطِلَاحًا:

قال الجرجاني: (عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور).

وقيل: هو التصرف في ملك الغير، ومجاوزه الحد^(٣).

انتفاء محبة الله للظالمين:

لما للظلم من آثار سيئة على الظالم والمظلوم وعلى المجتمع أيضاً، نذر الله عباده منه عن طريق بيان أنه لا يحب الظالمين، وكون الإنسان يتصف بهذه الصفة الظلم - ويعلم أن الله لن يحبه، لعل ذلك يكون سبيلاً له للارتداع عن هذه الصفة السيئة.

وقد بين الله عز وجل انتفاء محبته للظالمين، في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، وهما آيتان في سورة آل عمران والثالثة في سورة الشورى في صورتين للظلم.

الصورة الأولى للظلم: هي الشرك بالله:

أ - ففي سورة آل عمران على تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾^(٤) فبعد بيان موقف المؤمنين والكافرين من سيدنا عيسى عليه السلام، وبيان ما يلحق

(١) لسان العرب (١٢/٣٧٤، ٣٧٥).

(٢) تهذيب اللغة (١٤/٣٧٨).

(٣) التعريفات ص ١٤٤.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ٥٦-٥٧.

بالكافرين من العذاب الشديد في الدنيا والآخرة، والأجر العظيم والكبير للذين آمنوا بدعوة عيسى عليه السلام، وإن الله لا يسوي بين المؤمن والكافر لأن في ذلك ظلم للمؤمن، ختم الله سبحانه وتعالى الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

وقال الشيخ ابن عاشور: (وجملة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ تذييل لجملة ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلى آخرها، لأن انتفاء محبة الله للظالمين يستلزم أنه يحب الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلذلك يعطيهم ثوابهم وافيًا.

ومعنى كونهم ظالمين أنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وظلم النصارى - الله - بأن نقصوه بإثبات ولد له وظلموا عيسى بأن نسبوه ابناً لله تعالى، وظلمه اليهود بتكذيبهم إياه وأذاهم له^(١).

قال الشيخ المراغي: (أي والله لا يحب من ظلم غيره حقاً له، أو وضع شيئاً في غير موضعه، فكيف بظلم عباده له، فهو يجازيه بما يستحق. وفي هذا وعيد منه للكافرين به وبرسله، ووعد منه للمؤمنين به وبرسله)^(٢).

قال السيد محمد رشيد رضا في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: (الظالمون لأنفسهم بالخروج عن سنن الفطرة والكفر بالأنبياء الذين يطالبون النفوس بتقويمها)^(٣).

ب - أما في الآية الثانية في سورة آل عمران، فقد ورد انتفاء محبة الله للظالمين بعد أن بيّن الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين بأن ما أصابهم يوم أحد فقد أصاب المشركين مثله يوم بدر، فلم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتهم بالقتال، فأنتم أولى بأن لا تضعفوا لمعرفتكم بحسن العاقبة وللغاية التي من أجلها تجاهدون وهذه سنة الله في الخلق فمرة تكون

(١) التحرير والتنوير (٣/٢٦١).

(٢) تفسير المراغي (٣/١٧١).

(٣) تفسير المنار (٣/٢٦٢) بتصرف.

الدولة للباطل، ومرة للحق، ولكن العاقبة لمن اتبع الحق.

قال تعالى: ﴿إِن يَمَسَّكُمْ فَرَجٌ مِّنَ الْقَوْمِ فَاصْرَحْ لَهُمْ وَمِثْلَهُ وَتِلْكَ الْآيَاتُ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٤) (١).

وليبيّن للناس الثابتين على الإيمان ويتخذ منهم شهداء. يقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ قال: إن المسلمين كانوا يسألون ربهم: ربنا أرنا يوماً كيوم بدر، نقاتل به المشركين، ونبليك فيه خيراً، ونلتمس فيه الشهادة. فلقوا المشركين يوم أحد فاتخذ منهم شهداء (٢).

وختم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي المشركين، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٣).

قال الرازي: (وهو اعتراض بين بعض التعليل وبعض، وفيه وجوه:

الأول: والله لا يحب من لا يكون ثابتاً على الإيمان صابراً على الجهاد (٤).

الثاني: فيه إشارة إلى أنه تعالى إنما يؤيد الكافرين على المؤمنين لما ذكر من الفوائد، لا لأنه يحبهم (٥).

والظالمين الذين لا يحبهم الله في كلا الآيتين هم الذين أشركوا بالله عز وجل، سواء كانوا من اليهود والنصارى كما بيّنته الآية الأولى، أو من عبدة الأصنام كما بيّنته الآية الثانية.

وإن الشرك بالله من أعظم أنواع الظلم، لأن الإنسان ظلم أعز الخلق

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٢) الدر المنثور (٣٣٢/٢).

(٣) سورة لقمان، بعض آية: ١٣.

(٤) وبه قال الزمخشري، الكشاف (٤١١/١).

(٥) التفسير الكبير (١٦/٩).

إليه وهي نفسه، فحرفها عن الفطرة السليمة وحاد بها عن الطريق المستقيم، فانتفت محبة الله لهذا الصنف من الناس - الظالمين - لأنهم ظلموا أنفسهم بشركهم بالله عز وجل.

قال صاحب تفسير المنار: (قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ جملة معترضة مسوقة لبيان أن الشهداء يكونون ممن خلصوا لله وأخلصوا في إيمانهم وأعمالهم فلم يظلموا أنفسهم بمخالفة الأمر أو النهي، ولا بالخروج عن سنن الله في الخلق وأنه تعالى لا يصطفي للشهادة الظالمين ما داموا على ظلمهم، وفي ذلك بشارة للمتقين، وإنذار للمقصرين، فالناس قبل الابتلاء بالمحن والفتن يكونون سواء، فإذا ابتلوا تبين المخلص والصادق والظالم والمنافق وما أسهل ادعاء الإخلاص والصدق إذا كانت آياتهما مجهولة، فبيان السبب مؤدب للمقصرين وقاطع لألسنة المدعين، إلا أن يكونوا مع الأغبياء الجاهلين^(١).

قال الشيخ المراغي: (أي أن الله لا يصطفي للشهادة الظالمين ما داموا على ظلمهم، وفي ذلك بشارة للمتقين بمحبة الله لهم، وإنذار للمقصرين بأنه لا يحبهم الله، وتعريض لأعدائهم المشركين بأن الله لا يحبهم، لأنهم ظلموا أنفسهم وسفهوها بعبادة المخلوقات، وظلموا سواهم بالفساد في الأرض، والبغي على الناس وهضم حقوقهم، ومن المعلوم أن الظلم لا تدوم له سلطة، ولا تثبت له دولة، بل تكون دولته سريعة الزوال قريبه الانحلال^(٢).

الصورة الثانية للظلم: الزيادة في رد الاعتداء:

وجاء ذلك في سورة الشورى، صورة أخرى للظلم مغيرة للآية السابقة، ويكون ذلك في الاعتداء على الإنسان وفي احتمال الزيادة في حال رد العدوان من قبل المعتدي عليه.

(١) تفسير المنار (٤/١٢٤).

(٢) تفسير المراغي (٤/٨١).

قال تعالى: ﴿وَجَزَّوْا سِنِينَ سِنَّةً مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٤) (١).

قال الإمام الرازي: (هذه الآية أصل كبير في علم الفقه فإن مقتضاها أن تقابل كل جناية بمثلها وذلك لأن الإهدار يوجب فتح باب الشر والعدوان لأن في طبع كل أحد الظلم والبغي والعدوان، فإذا لم يزجر عنه أقدم عليه ولم يتركه، وإما الزيادة على قدر الذنب فهو ظلم والشرع منزه عنه فلم يبق إلا أن يقاتل بالمثل، ثم تأكد هذا النص بنصوص أخر، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ (٢) (٣).

فقال سبحانه: ﴿وَجَزَّوْا سِنِينَ سِنَّةً مِّثْلَهَا﴾ قال السدي: إذا شتمك، فاشتمه بمثلها من غير أن تعتدي (٤).

وقال الألوسي: (فمن عفا من المسيء إليه، وأصلح ما بينه وبين من يعاديه بالعفو والإعفاء و عما صدر منه فيجزيه جلّ وعلا أعظم الجزاء) (٥).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شتم أبا بكر والنبّي ﷺ جالس، فجعل النبي ﷺ يعجب ويتسم، فلما أكثر، رد عليه بعض قوله، فغضب النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر رضي الله عنه، فقال: «يا رسول الله، كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت و قمت؟» قال: «إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله، وقع الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان»، ثم قال: «يا أبا بكر ثلاث كلهن حق ما من عبد ظلم بمظلّمة فيغضب عنها الله إلا أعز الله بها نصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٢) سورة النحل، بعض آية: ١٢٦.

(٣) التفسير الكبير (٦٠٥/٢٧).

(٤) الدر المنثور (٣٥٩/٧).

(٥) روح المعاني (٤٧/١٢).

مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة»^(١).

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ قال الرازي: (وفيه قولان:

الأول: أن المقصود منه التنبيه على أن المجني عليه لا يجوز له استيفاء الزيادة من الظالم لأن الظالم فيما وراء ظلمه معصوم والانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز التسوية والتعدي خصوصاً في حال الحرب والتهاب الحمية، فلربما صار المظلوم عند الإقدام على استيفاء القصاص ظالماً.

الثاني: أنه تعالى لما حثَّ على العفو عن الظالم أخبر أنه مع ذلك لا يحبه تنبيهاً على أنه إذا كان لا يحبه ومع ذلك فإنه يندب إلى عفوه، فالمؤمن الذي هو حبيب الله بسبب إيمانه أولى أن يعفو عنه)^(٢).

قال الإمام أبو السعود والعلامة القاسمي في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (: البادئين بالسيئة والمعتدين في الانتقام)^(٣).

والعلة في انتفاء محبة الله للظالمين، في أنه لم يقتصر على رد الاعتداء بالمثل وإنما زاد عليه فوقع في دائرة الظلم للغير، وإنه على المظلوم أن يستوفي حقه بمقدار ما ظلم ولا يزيد عليه حتى لا يقع في دائرة الظالمين، وما أكثر ذلك في وقتنا الحالي.

مجالات الظلم:

للظلم مجالات متعددة منها ما يتعلق بالله سبحانه ومنها ما يتعلق بالنفس، والخلق، والكون...

١ - ظلم الإنسان لحق الله عليه، وذلك بالشرك به سبحانه وتعالى، والإعراض عن عبادته، وكذلك باقتراف المعاصي والابتعاد عن

(١) رواه أحمد في المسند: (٤٣٦/٢) بإسناد صحيح.

(٢) التفسير الكبير (٦٠٧/٢٧).

(٣) إرشاد العقل السليم (٣٥/٨)، ومحاسن التأويل (٣٧٣/٨).

- طاعته، والتعرض للذات الإلهية بما ينقص من كمالها وجلالها.
- ٢ - وظلم الإنسان لحقوق الآخرين، وذلك بالاعتداء عليها، أو تجاوزها، والنيل منها.
- ٣ - وظلم الإنسان لنفسه، وذلك بأن يكلفها فوق طاقتها في العبادة فتضعف النفس وتفتر، وكذلك بأن يغامر بنفسه فيما يشتهي فيعرضها للشقاء في الدنيا والآخرة.
- ٤ - ظلم الإنسان للكون الذي هو فيه وذلك بالإفساد فيه وإهلاك الحرث والنسل، والعمل على تدميره وتدمير البشرية جمعاء من خلال إنتاج الأسلحة المدمرة.
- ٥ - ظلم الإنسان للشوايت العلمية والحقائق الفكرية، وذلك بإنكارها وجودها، ويتجاوز حدودها.

الظلم في القرآن:

قد تحدث القرآن الكريم عن الظلم والظالمين والعقوبات التي أعدّها الله لهم، في آيات كثيرة، بغية التحذير منها، واتخاذ الوسائل لمعالجتها.

وفيما يلي عرض لطائفة من تلك النصوص القرآنية والتي توضح أنواع الظلم:

- ١ - الشرك بالله، وذلك من وصايا لقمان لابنه وهو يعظه: لا تشرك بالله لظلم عظيم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) (١).
- ٢ - الاعتداء على حدود الله، وحدود الله هي شرائعه التي حدد فيها لعباده أبعاد الحلال والحرام، والأوامر والنواهي، وتجاوز هذه

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

الحدود التي حدها لعباده معصية له، ومعصية الله ظلم لحقه على عباده. قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١).

٣ - كتم شهادة الحق، وخصوصاً إن كانت تتعلق بالشهادة بالحقائق الربانية والمعارف الإلهية. قال سبحانه: ﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ مَا أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٠) (٢).

٤ - منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه والسعي إلى خرابها، وهذا من أشد الظلم لأنه صدّ عن سبيل الله ومنع لعباد الله من عبادة الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١٤) (٣).

٥ - الإعراض عن آيات الله بعد التذكير بها، وعدم الاستجابة لله فيما يدعو إليه من الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (٥٧) (٤).

٦ - الكذب على الله لإضلال الناس بغير علم، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٤.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٥٧.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٤٤.

٧ - الاعتداء على أموال الناس وأنفسهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (٣٠) (١).

ولما كان الظلم من الأفعال القبيحة حرمه الله على نفسه، وجعله بين عباده محرماً. وجاء ذلك في الحديث القدسي، عن أبي ذر (٢) عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» (٣).

وفي هذا الإعلان الإلهي قد بين سبحانه أنه حرم الظلم على نفسه كما حرمه على عباده، وكما أن الله تعالى لا يظلم أحداً مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُمْضِعْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤) (٤).



(١) سورة النساء، الآية: ٣٠.

(٢) أبو ذر الغفاري، صحابي مشهور، اسمه جندب بن جنادة، وقيل برير، واختلف في اسم أبيه، تقدم إسلامه وتأخرت هجرته، فلم يشهد بدرأ، ومناقبه كثيرة جداً، ت ٣٢ هـ في خلافة عثمان. تقريب التهذيب ص ٦٣٨.

(٣) رواه مسلم في الصحيح: كتاب البرّ والصلة - باب تحريم الظلم (١٦/١٣١).

(٤) سورة النساء، الآية: ٤٠.

المبحث الثالث: الكافرون

قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ (٣٢) (١).

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صٰلِحًا فَلٰنَفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ (٤٤) (٢).

قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (١٧٧) (٣).

الكفر لغة:

قال ابن فارس: (الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية) (٤). وكل ما غطى شيئاً فقد كَفَرَهُ. ومنه قيل

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الروم، الآيات: ٤٤-٤٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

(٤) معجم مقاييس اللغة (١٩١/٥) مادة كفر.

للليل: كافرٌ لأنه ستر بظلمته كل شيء وغطَّاه^(١). ومنه سمي الكافر كافرًا لأنه ستر نعم الله، ونعم الله عز وجل: آياته الدالة على توحيده^(٢). ويقال للزراع كافر، لأنه يغطي الحب بتراب الأرض^(٣)، قال تعالى: ﴿أَعْمَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُمْ﴾^(٤).

قال ابن منظور: (وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه)^(٥).

والكفر: ضد الإيمان^(٦). سمي بذلك لأنه تغطية الحق. قال تعالى: ﴿قَالُوا ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَحَدِيثِ الْكَفَرَانَا إِنَّمَا نَكْفُرُ بِاللَّهِ وَكُفْرَانَا﴾^(٧). ويقال لأهل دار الحرب: قد كفروا أي عصموا وامتنعوا^(٨).

والكفر: جحود النعمة، وهو ضد الشكر. قال تعالى: ﴿إِنَّا يَكْفُرُونَ﴾^(٩) أي جاحدون. وكفر نعمة الله يكفرها كفورًا وكفرانًا وكفر بها: جحدها وسترها.

ورجل مكفر: مجحود النعمة مع إحسانه^(١٠).

ويقال: هو كافر وكفرة وكفار وكافرون والأنثى كافرة وكافرات وكوافر^(١١).

(١) تهذيب اللغة (١٩٧/١٠).

(٢) تهذيب اللغة (١٩٧/١٠)، ولسان العرب (١٤٧/٥).

(٣) انظر تهذيب اللغة (١٩٩/١٠)، ومعجم مقاييس اللغة (١٩١/٥)، ولسان العرب (١٤٦/٥).

(٤) سورة الحديد، بعض آية: ٢٠.

(٥) لسان العرب (١٤٥/٥).

(٦) تهذيب اللغة (١٩٣/١٠)، ومعجم مقاييس اللغة (١٩١/٥)، ولسان العرب (١٤٤/٥).

(٧) سورة غافر، بعض آية: ٨٤.

(٨) تهذيب اللغة (١٩٣/١٠)، ولسان العرب (١٤٤/٥).

(٩) سورة القصص، بعض آية: ٤٨.

(١٠) لسان العرب (١٤٤/٥).

(١١) المصباح المنير (٧٣٤/٢).

وسميت الكفارات بذلك لأنها تكفر الذنوب التي تسترها^(١).

والكفر شرعاً:

هو إنكار ما علم ضرورة أنه من دين محمد ﷺ، كإنكار وجود الصانع، ونبوته عليه الصلاة والسلام، وحرمة الزنا ونحو ذلك^(٢).

انتفاء محبة الله للكافرين:

الكفر ضد الإيمان، وله صور مختلفة وأقسام متنوعة، وهو مخالف لما أمر الله به عباده أن يكونوا عليه فقد أرسل الله عز وجل الرسل والأنبياء لعبادته وتوحيده وحده لا شريك له ولكن الشيطان - عليه لعنة الله - عدو ابن آدم إذ لم يهنأ أن يكون وحده في جهنم وإنما أخذ بتزين الكفر والشرك في نفوس العباد حتى يلحقوا بركبه في النار والعياذ بالله. ويتضح ذلك في قوله تعالى:

﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْمُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾^(٣).

ولما كان للكفر من آثار سيئة على صاحبه، فقد بغض الله هذا النهج لعباده، وبيّن عدم رضاه، عمن اتبع هذا السبيل. ووضح سبحانه ذلك في ثلاث آيات في القرآن الكريم.

الأولى: من الكفر التمادي في كفر ما أنعم الله عليه بالمال:

فقد جاءت الآية الأولى في سورة البقرة، وبعد أن بيّن الله عز وجل حال المرابي في الدنيا وعاقبة ما يعود إليه بأنه سيكون من أصحاب النار، وبعده قال عز وجل: ﴿يَمَحُوقُ اللَّهُ الرِّبَاَ وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿١٧٧﴾﴾^(٤). قال ابن عباس: ﴿يَمَحُوقُ اللَّهُ الرِّبَاَ﴾ قال: ينقص الربا،

(١) انظر تهذيب اللغة (٢٠٠/١٠)، والمصباح المنير (٧٣٥/٢).

(٢) الموسوعة الفقهية (١٤/٣٥).

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ١٦ - ١٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

﴿وَيُرِي الْأَصْدَقَاتِ﴾ قال: يزيد فيها^(١).

وقال الشوكاني: (أي يذهب بركته في الدنيا وإن كان كثيراً فلا يبقى بيد صاحبه، وقيل يمحق بركته في الآخرة، ويزيد في المال الذي أخرجت صدقته، وقيل يبارك في ثواب الصدقة ويضاعفه ويزيد في أجر المتصدق، ولا مانع من حمل ذلك على الأمرين جميعاً)^(٢).

فعن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «الربا وإن كثر فإن عاقبته نصير إلى قل»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله تعالى إلا طيباً - فإن الله تعالى يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل»^(٤).

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾. قال العلامة الألويسي: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ أي لا يرتضي ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ متمسك بالكفر مقيم عليه معتاد له ﴿أَثِيمٍ﴾ منهك في ارتكابه والآية هنا لعموم السلب لا لسلب العموم إذ لا فرق بين واحد وواحد، واختيار صيغة المبالغة للتنبيه على فظاعة آكل الربا ومستحلّه^(٥).

قال الشيخ ابن عاشور: وجملته ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ معترضة بين أحكام الربا ولما كان شأن الاعتراض ألا يخلو من مناسبة بينه وبين سياق الكلام، كان الإخبار بأن الله لا يحب الكافرين مؤذناً بأن الربا من سمات أهل الكفر اتخذه شعاراً، وأنهم الذين استباحوه فقالوا إنما البيع مثل

(١) الدر المنثور (٢/١٠٦).

(٢) فتح القدير (١/٢٩٦).

(٣) رواه أحمد في المسند: (١/٣٩٥)، قال الألباني: حديث صحيح.

(٤) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الزكاة - باب الصدقة من كسب طيب (٣/٣٥١) ح (١٤١٠).

(٥) روح المعاني (٢/٥٠).

الربا، فكان هذا تعريضاً بأن المرابي متسم بخلال أهل الشرك^(١).

وقال السيد محمد رشيد رضا: (إن حب الله للعبد شأن من شؤونه يعرف باستعمال العبد إتمام حكم الله في صلاح عباده، ونفى هذا الحب يعرف بضد ذلك، والكفّار هنا: هو المتماذي على كفر إنعام الله عليه بالمال إذ لا ينفق منه في سبيله ولا يواسي به المحتاجين من عباده، والأثيم: هو الذي جعل المال آلة لجذب ما في أيدي الناس إلى يده فافترض إعسارهم لاستغلال اضطرارهم)^(٢).

وقال الشيخ المراغي: (الكفّار هنا المماذي في كفر ما أنعم الله به عليه من المال، لأنه لا ينفق منه في سبيله، ولا يواسي به المحتاجين من عباده، والأثيم هو المنهمك في ارتكاب الآثام، فهو قد جعل المال آلة لجذب ما في أيدي الناس إلى يده فاستغل إعسارهم، وأخذ أقواتهم، وامتص دماءهم)^(٣).

والعلة في انتفاء محبة الله - عزّ وجلّ - لهذا الصنف من الناس - الكفار الأثيم - أنه تماذى في كفر ما أنعم الله عليه وخصوصاً نعمة المال، فلم يؤد حق الله فيه وإنما جعله آلة لاستغلال ما في أيدي الناس عن طريق القروض بشيكات مؤجلة، كما هو واقع في وقتنا الحالي.

والثانية: من الكفر عدم طاعة الله ورسوله:

وذكر سبحانه وتعالى صورة أخرى للكفر، وهي الإعراض عن طاعة الله والرسول، وإن هذا الإعراض كفيفل بعدم محبة الله لمن يكفر به، قال عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^(٤).

وجاءت هذه الآية الكريمة بعد آية المحنة التي تبين إن المحبة لله عزّ وجلّ

(١) التحرير والتنوير (٩١/٣) بتصرف.

(٢) تفسير المنار (٨٥/٣).

(٣) تفسير المراغي (٦٦/٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

تستلزم اتباع الرسول ﷺ، قال الإمام الرازي: (ألقى المناقق شبهة في الدين، وهي أن محمداً يدعي لنفسه مثل ما يقوله النصارى في عيسى، ذكر الله تعالى هذه الآية إزالة لتلك الشبهة)^(١).

وقال الإمام الطبري: (يعني بذلك جلّ ثناؤه: قل يا محمد، لهؤلاء الوفد من نصارى نجران: أطيعوا الله والرسول محمداً فإنكم قد علمتم أنه رسولي إلى خلقي، ابتعثته بالحق، تجدونه مكتوباً عندكم في الإنجيل؛ فإن تولوا فاستدبروا عما دعوتهم إليه من ذلك، وأعرضوا عنه، فأعلمهم أن الله لا يحب من كفر فجحد ما عرف من الحق، وأنكره بعد علمه، وأنهم منهم، بجحودهم نبوتك، وإنكارهم الحق الذي أنت عليه، بعد علمهم بصحة أمرك وحقيقة نبوك)^(٢).

وقال الإمام الرازي: (في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ يعني إنما أوجب الله عليكم متابعتي لا كما تقول النصارى في عيسى بل لكوني رسولاً من عند الله، ولما كان مبلغ التكليف عن الله هو الرسول لزم أن تكون طاعته واجبة فكان إيجاب المتابعة لهذا المعنى لا لأجل الشبهة التي ألقاها المناقق في الدين)^(٣).

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾. قال الألوسي: (أي لا يقربهم أو يرضى عنهم بل يبعدهم عن جوار قدسه وحظائر عزه ويسخط عليها يوم رضاه عن المؤمنين)^(٤).

وقال الفخر: (يعني إن أعرضوا فإنه لا يحصل لهم محبة الله، لأنه تعالى إنما أوجب الثناء والمدح لمن أطاعه، ومن كفر استوجب الذلة والإهانة، وذلك ضد المحبة)^(٥).

(١) التفسير الكبير (١٧/٨).

(٢) جامع البيان (٢٣٣/٣).

(٣) التفسير الكبير (١٧/٨).

(٤) روح المعاني (١٢٦/٢).

(٥) التفسير الكبير (١٧/٨).

قال السيد محمد رشيد رضا: (إن الله لا يحب الكافرين، الذين تصرفهم أهواؤهم عن النظر الصحيح في آيات الله وما أنزله على رسوله، وترك الشرك والضلال الذي نهيت عنه واتباع الحق في الاعتقاد الذي بيّنته، والعمل الصالح الذي أرشدت إليه هؤلاء هم الكافرون وإن ادعوا أنهم مؤمنون وأنهم يحبون الله والله يحبهم)^(١).

وقال الأستاذ سيد قطب: (دُلَّ على أن مخالفته في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله...)^(٢).

وجاءت الآية الثالثة في سورة الروم، بعد بيان قاعدة واضحة في الدين الإسلامي وهي أن من كفر فإن عاقبة كفره ستكون عليه، ومن عمل الأعمال الصالحة فإنه يمهد طريقه إلى الجنة، ثم قال سبحانه: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾^(٣).

قال المراغي: (أي أنهم يتفرون ليجازي المؤمنين بالحسنى من فضله، فيكافئ الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى ما شاء الله من المنح والعطايا)^(٤).

وقال الشيخ ابن عاشور: (وقد فهم من قوله ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ أن الله يجازيهم أضعافاً لرضاه عنهم ومحبته إياهم كما اقتضاه تعليل ذلك بجملة ﴿إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ المقتضى أنه يحب الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فحصل بقوله ﴿إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس فإن قوله ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ دل بصريحه على أنهم أهل الجزاء بالفضل، ودل بمفهومه على أنهم أهل الولاية.

(١) تفسير المنار (٣/٢٣٤).

(٢) في ظلال القرآن (١/٣٨٧).

(٣) سورة الروم، الآية: ٤٥.

(٤) تفسير المراغي (٥٨/٢١).

وقوله ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ يدل بتعليقه لما قبله على أن الكافرين محرمون من الفضل، وبمفهومه على أن الجزاء موفور للمؤمنين فضلاً وأن العقاب معين للكافرين عدلاً^(١).

وقال الزمخشري في قوله ﴿مَنْ فَضَّلَهُ﴾ مما يتفضل عليهم بعد توفيه الواجب من الثواب^(٢)، وهذا يخالف ما قاله الألويسي: (وذكر ﴿مَنْ فَضَّلَهُ﴾ للدلالة على أن الإثابة تفضل محض، وتأويله بالعطاء أو الزيادة على ما يستحق من الثواب عدول عن الظاهر.

ف نجد أن قول الزمخشري في ﴿مَنْ فَضَّلَهُ﴾ الزيادة على الثواب، بينما الألويسي اعتبر الإثابة فقط هي التفضل.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فإن عدم المحبة كناية عن البغض في العرف، وهو يقتضي الجزاء بموجبه فكأنه قيل: وليعاقب الكافرين^(٣).

قال الإمام الرازي: (أوعدهم بوعيد ولم يفصله لما بيّنا وإن كان عند المحقق هذا الإجمال فيه كالتفصيل، فإن عدم المحبة من الله غاية العذاب، وافهم ذلك ممن يكون له معشوق فإنه إذا أخبر العاشق بأنه وعدك الدراهم والدنانير كيف تكون مسرته، وإذا قيل له إنه قال إني أحب فلاناً كيف يكون سروره)^(٤).

أنواع الكفر:

بيّن الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز، خمسة أمور من يكفر بأي منها فقد ضلّ ضلالاً بعيداً، وحاد عن الطريق السوي الذي رسمه الله عزّ وجلّ لعباده من البشر.

(١) التحرير والتنوير (١١٧/٢١).

(٢) الكشاف (٤٦٨/٣).

(٣) روح المعاني (٥٠/١١).

(٤) التفسير الكبير (١١٤/٢٥).

فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(١). وهذه الأمور كما دلت عليها الآية
الكريمة، هي أنواع الكفر وهي كالتالي:

أولاً: الكفر بالله وهو من أعظم الكبائر وأقبحها أن يكفر العبد
بخالقه.

ثانياً: الكفر بالملائكة.

ثالثاً: الكفر بالكتب السماوية.

رابعاً: الكفر بالرسول.

خامساً: الكفر باليوم الآخر.

صور الكفر:

للكفر صور متنوعة، وقد تصدر من الإنسان وهو يعلم ذلك ويكون
بذلك كافراً في حكم الله، حسب ما ورد من الآيات الكريمة، أو قد تصدر
من الإنسان وهو يجهل ذلك فلا بدّ من بيان ذلك له، فمن هذه الصور:

أولاً: الشرك، وهو من أكبر الكبائر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ
لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
يَعْدِلُونَ﴾^(٣).

ثانياً: الافتراء على الله وهو التقول على الله بغير الحق ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَقْتِرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾^(٤).

ثالثاً: محاربة الله، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوتًا

(١) سورة النساء، بعض آية: ١٣٦.

(٢) سورة النساء، بعض آية: ٤٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٤) سورة المائدة، بعض آية: ١٠٣.

كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِنَا يَتَذَكَّرُ وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ (١).

رابعاً: الحكم بغير ما أنزل الله، بتطبيق القوانين الوضعية في الأرض على البشر دون القوانين الإلهية، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٢).

خامساً: الردة، وهو ارتداد المسلم عن الإسلام إلى الكفر، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْبَلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٍ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (٣).

سادساً: الصد عن سبيل الله، وذلك بمحاولة إبعاد كل من تتوق إليه نفسه اعتناق الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٤).

سابعاً: محاربة الرسل، وذلك ويجهل من الذين قالوا اقتدينا بأبائنا وأجدادنا وهم على باطل. شاكلتهم الآن من الشرك بالله ويحاربون الرسل، لأنهم أتوا بما يخالف ما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ (٥).

ثامناً: محاربة المؤمنين، وذلك بصددهم عن أداء الشعائر المفروضة والتضييق عليهم في أديانها أو بإيذائهم في أعراضهم، فقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (٦).



(١) سورة المجادلة، الآية: ٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٤) سورة الأنفال، بعض آية: ٣٦.

(٥) سورة محمد، الآية: ٣٢.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.

المبحث الرابع: المعتدون

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا إِنَّا اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُقْتَلِينَ﴾ (١٩٠) (١).

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا إِنَّا اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُقْتَلِينَ﴾ (٨٧) (٢).

وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥) (٣).

الاعتداء لغة:

قال ابن فارس: (العين والداد والحرف المعتل أصل واحد صحيح، وهو يدل على تجاوز في الشيء وتقدم لما ينبغي أن يقتصر عليه) (٤).

وقال الراغب: (العدو: التَّجَاوُزُ وَمُنَافَاةُ الْإِلْتِمَامِ، فتارة يُعتبر بالقلب، فيقال له: العداوة والمُعَادَاةُ، وتارة بالمشي، فيقال له: العدو، وتارة في

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

(٢) سورة المائدة، الآية ٨٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة (٢٤٩/٤) مادة عدو.

الإخلال بالعدالة في المعاملة، فيقال له: العُدْوَانُ والعَدْوُ. قال تعالى: ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١). فمن المُعَادَاة يُقال: رَجُلٌ عَدُوٌّ، وَقَوْمٌ عَدُوٌّ^(٢).

والعَدَاءُ، بالفتح والمد: الظلم وتجاوز الحد^(٣). وهو عاد والجمع عادون^(٤).

وعَدَا الأمر يَعُدُّه وتَعَدَّاهُ، كلاهما: تَجَاوَزَهُ. والتَّعَدَّى: مُجَاوِزَةُ الشَّيْءِ إلى غيره، يُقال: عَدَيْتُهُ فَتَعَدَّى أَي تَجَاوَزَ^(٥).

وفي الحديث: «سيكون قومٌ يعتدون في الدعاء»^(٦)؛ هو الخروج فيه عن الوضع الشرعي والسنة المأثورة^(٧). والعادي: الظالم، يُقال: لا أَسَمْتَ اللَّهَ بِكَ عَادِيكَ أَي عَدْوُكَ الظالم لك^(٨).

والعدوان: الظلم الصَّراح. والاعتداء مشتقٌّ من العدوان. فأما العُدْوَانُ. فأما العَدْوَى هو طلبك إلى والٍ أو قاضٍ أن يُعَدِّيكَ على مَنْ ظَلَمَكَ أَي يَنْتَقِمَ منه باعتدائه عليك^(٩).

واستعديت الأمير على الظالم طلبت منه النصرة. فأعداني عليه: أعانني ونصرني.

(١) سورة الأنعام، بعض آية: ١٠٨.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٥٣.

(٣) المصباح المنير (٥٤٣/٢)، ولسان العرب (٣٣/١٥).

(٤) المصباح المنير (٥٤٣/٢).

(٥) لسان العرب (٣٣/١٥).

(٦) رواه ابن ماجه في السنن: كتاب الدعاء - باب كراهية الاعتداء في الدعاء (١٢٧١/٢)

ح(٣٨٦٤)، وأبو داود في السنن: كتاب الطهارة - باب الإسراف في الماء (٣١/٢)،

وأحمد في المسند: (١٧٢/١، ١٨٣) قال الشيخ الألباني: حديث حسن صحيح.

(٧) لسان العرب (٣٣/١٥).

(٨) انظر تهذيب اللغة (١٠٩/٣)، ولسان العرب (٣٣/١٥).

(٩) معجم مقاييس اللغة (٢٤٩/٤).

فالاستعداد: طلب التقوية والنصرة^(١).

قال الكفوي: (والعدوان: تجاوز المقدار المأمور به بالانتهاز إليه والوقوف عنده، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾^(٢)^(٣).

ولا يخرج المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة عن المعنى اللغوي^(٤).

انتفاء محبة الله للمعتدين:

عرّف أهل اللغة الاعتداء: بتجاوز الحد، وهذا يعني أن للإنسان حدوداً محدودة أو خطوطاً حمراء - كما يسميها البعض في عالمنا المعاصر، فعليه أن لا يتجاوز هذه الحدود التي وضعت له، فقد تكون هذه الحدود دينية، وقد تكون حدوداً اجتماعية، أو حدوداً اقتصادية، أو حدوداً سياسية، أو حدوداً أسرية، رسمت له وحددت له لما ينبغي فعله وما لا ينبغي فعله، وهي حقوقه وواجباته، فعليه أن يضبط نفسه في حيزها ومعاملاته تكون داخل دائرة هذه الحدود، ولا يتجاوزها حتى لا يلقي عليه العقوبة أو اللائمة أو التعزير.

وما يهمننا - نحن - في هذا المبحث هو الحدود الدينية، التي حددت الشريعة الإسلامية إطارها. ورسمته للمؤمنين بها، وتتلخص هذه الحدود في ثلاثة مجالات ذكرها الله في كتابه المنير، دعنا نسلط الضوء على أولها:

أولاً: الاعتداء في القتال:

فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٥).

(١) المصباح المنير (٢/٥٤٣).

(٢) سورة البقرة، بعض آية: ١٩٤.

(٣) الكلبيات ص ٥٨٤.

(٤) الموسوعة الفقهية (١٥/٣١).

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

قال الزمخشري: (المقاتلة في سبيل الله: هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين)^(١).

وقال الشهيد سيد قطب: (فالمقاتل لا لأي هدف آخر من الأهداف التي عرفتها البشرية في حروبها الطويلة، القتال في سبيل الله لا في سبيل الأمجاد والاستعلاء في الأرض، ولا في سبيل المغانم والمكاسب؛ ولا في سبيل الأسواق والخامات؛ ولا في سبيل تسويد طبقة على طبقة أو جنس على جنس... إنما هو القتال لتلك الأهداف المحددة التي من أجلها شُرِعَ الجهاد في الإسلام، القتال في سبيل لإعلاء كلمة الله في الأرض، وإقرار منهجه في الحياة، وحماية المؤمنين به أن يفتنوا عن دينهم، أو أن يجرفهم الضلال والفساد، وما عدا هذه فهي حرب غير مشروعة في حكم الإسلام، وليس لمن يخوضها أجر عند الله ولا مقام)^(٢).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكَ﴾ الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين. وعن الربيع بن أنس رضي الله عنه: هي أول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله ﷺ يقاتل من يقاتل ويكف عن يكف، أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصب من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء، أو الكفرة كلهم لأنهم جميعاً مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم، فهم في حكم المقاتلة، قاتلوا أو لم يقاتلوا^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾ قال ابن عباس: ولا تقتلوا النساء والصبيان، ولا الشيخ الكبير، ولا من ألقى السلم وكف يده، فإن فعلتم فقد اعتديتم^(٤).

وقال الزمخشري: (ولا تعتدوا بابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عن

(١) الكشاف (١/٢٣٣).

(٢) في ظلال القرآن (١/١٨٧).

(٣) الكشاف (١/٢٣٣).

(٤) الدر المنثور (١/٤٩٣).

قتاله من النساء والشيوخ والصبيان، والذين بينكم وبينهم عهد أو بالمثلثة أو بالمفاجأة من غير دعوة^(١).

ثم ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ أي المتجاوزين ما حد لهم وهو كالتعليل لما قبله، ومحفته تعالى لعباده في المشهور عبارة عن إرادة الخير والثواب لهم ولا واسطة بين المحبة والبغض بالنسبة إليه عز شأنه وذلك بخلاف محبة الإنسان وبغضه فإن بينهما واسطة وهي عدمها^(٢).

وقال الشيخ ابن عاشور: في الآية تحذير من الاعتداء؛ وذلك مسالمة للعدو واستبقاء لهم وإمهال حتى يجيئوا مؤمنين، وقيل: أراد ولا تعتدوا في القتال إن قاتلتم ففسر الاعتداء بوجوه كثيرة ترجع إلى تجاوز أحكام الحرب والاعتداء الابتداء بالظلم^(٣).

وقال السيد محمد رشيد رضا: (وعلى النهي بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ أي أن الاعتداء من السيئات المكروهة عند الله تعالى لذاتها فكيف إذا كان في حال الإحرام، وفي أرض الحرم والأشهر الحرم)^(٤).

الاعتداء بتحريم الطيبات:

وبين الله سبحانه وتعالى صورة أخرى للمعتدين، توضح عدم رضى الله سبحانه وتعالى عنهم، وانتفاء محبته لهم، وهي صورة من يحرم الطيبات التي أحلت له، وقد جاءت هذه الآية الكريمة في سورة المائدة، حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٥).

وفي هذه الآية ينهى الله عباده المؤمنين عن تحريم الطيبات التي أحلها

(١) الكشاف (١/٢٣٣).

(٢) روح المعاني (٢/٧٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢/٢٠١) بتصرف.

(٤) تفسير المنار (٢/١٦٨) بتصرف.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٨٧.

لهم، وجعلها بين أيديهم يتلذذون بها ويستمتعون فيها، وذلك لتحقيق هدف في نفوسهم وهو زيادة التقرب إليه، والابتعاد عما يصرفهم عنه سبحانه وتعالى. وعن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء، وأخذتني شهوتي، فحرمت على اللحم. فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴿١﴾.

قال الزمخشري: (في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْرِمُوا﴾ لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم، أو لا تقولوا حرماناً على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها ترهداً منكم وتقشفاً) (٢).

وقال الإمام الرازي: (وقوله ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ فيه وجوه:

الأول: أنه تعالى جعل تحريم الطيبات اعتداءً وظلماً فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها.

والثاني: أنه لما أباح الطيبات حرم الإسراف فيها بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ ونظيره قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (٣).

والثالث: يعني لما أحل لكم الطيبات فاكتفوا بهذه المحللات ولا تعتدوها إلى ما حرم عليكم) (٤).

وقال الشيخ المراغي: في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، (أي لا يحب الله من يتجاوز حدود شرائعه ولو بقصد عبادته وتحريم طيباته التي أحلها، سواء أكان التحريم من غير التزام بيمين أو نذر أو بالتزام، وكل منهما غير جائز) (٥).

(١) رواه الترمذي في السنن: كتاب التفسير - باب سورة المائدة (٢٥٥/٥) ح (٣٠٥٤) بإسناد حسن غريب.

(٢) الكشاف (٦٥٧/١).

(٣) سورة الأعراف، بعض آية: ٣١.

(٤) التفسير الكبير (٦٠/١٢).

(٥) تفسير المراغي (١١٧).

والعلة في انتفاء محبة الله - عز وجل - للمعتدين، إن هذا الصنف من المؤمنين حاول أن يتقرب إلى الله عز وجل بتحريم الحلال الذي أحله لهم، فوقع في دائرة المعتدين، لأنه اعتدى على حكم الله فأخرجه من دائرة الحلال إلى دائرة الحرام.

ثالثاً: الاعتداء في الدعاء:

ويوضح العزيز الحكيم في كتابه الكريم صورة أخرى من صور الاعتداء التي تفضي إلى انتفاء محبة الله لهذا الصنف من الناس وهم المعتدون، وهذه الصورة تخص عبادة المؤمنين في حالة دعائهم لله عز وجل، فيقول سبحانه وتعالى في سورة الأعراف: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥) (١).

قال العلامة الألوسي: (فقوله ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ﴾ الذي عرفتم شئونه الجليلة والمراد بالدعاء (السؤال والطلب) وهو مخ العبادة لأن الداعي لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى غير ذلك المطلوب وأنه عاجز عن تحصيله وعرف أن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم الحاجة وهو قادر على إيصالها إليه. ولا شك إن معرفة العبد نفسه بالعجز والنقص ومعرفته ربه بالقدرة والكمال من أعظم العبادات. ﴿تَضَرُّعًا﴾ أي ذوي تضرع أو متضرعين وهو من الضراعة وهي الذل والاستكانة) (٢).

﴿وَحُفْيَةً﴾ يقول سعيد بن جبير يعني في خفض وسكون في حاجاتكم من أمر الدنيا والآخرة (٣).

وقال الإمام السيوطي في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ أي لا تدعوا على المؤمن والمؤمنة بالشر: اللهم اخزه والعنه ونحو ذلك، فإن ذلك عدوان (٤).

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

(٢) روح المعاني (٤/٣٧٨).

(٣) الدر المشور (٣/٤٧٥).

(٤) المرجع السابق.

وأخرج ابن جرير وابن حاتم عن أبي مجلز^(١) في قوله ﴿إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ﴾ أنه قال: (لا تسألوا منازل الأنبياء).

وعن سعد بن أبي وقاص، أنه سمع ابناً له يدعو ويقول: اللهم أني
أسألك الجنة ونعيمها واستبرقها ونحو هذا، أعوذ بك من النار وسلاسلها
وأغلالها، فقال: لقد سألت الله خيراً وتعوذت به من شر كثير، وأني سمعت
رسول الله يقول: «أنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء. وقرأ هذه الآية ﴿أَدْعُوا
رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾»، وأن بحسبك تقول:
اللهم أني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من
النار وما قرب إليها من قول أو عمل^(٢).

وقال ابن جريج^(٣): (إن من الدعاء اعتداء يكره فيه رفع الصوت
والنداء والصياح بالدعاء، ويؤمر بالتضرع والاستكانة)^(٤).

وقال الإمام الرازي في قوله ﴿إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، (والأظهر أن
المراد إنه لا يحب المعتدين في ترك هذين الأمرين المذكورين، وهما
التضرع والإخفاء، فإن الله لا يحبه ومحبة الله تعالى عبارة عن الثواب، فكأن
المعنى أن من ترك في الدعاء التضرع والإخفاء، فإن الله لا يشبه البتة، ولا
يحسن إليه، ومن كان كذلك كان من أجل العقاب لا محالة، فظهر أن قوله
تعالى ﴿إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ كالتهديد الشديد على ترك التضرع والإخفاء

(١) هو لاحق بن حميد بن سدوسي بن شيبان. وكان ينزل «خراسان»، وكان عاملاً على
بيت المال، توفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز، قبل وفاة الحسن البصري. المعارف
ص ٤٦٦.

(٢) رواه أحمد في المسند: (١٧٢/١)، رواه أبو داود في السنن: كتاب الوتر - باب
الدعاء (٣٧٣/١) وأحمد في المسند (١٧٢/١) بنحوه، قال الشيخ الألباني: حديث
حسن صحيح.

(٣) هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج، ويكنى أبو الوليد. الأموي مولاهم، المكي،
ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل ت ١٥٠هـ. تقريب التهذيب ص ٣٦٣، والمعارف
ص ٤٨٨.

(٤) الدر المنثور (٤٧٥/٣)، (٤٧٦).

في الدعاء^(١).

وهنا انتفت محبة الله - عز وجل - لمن أخل بما يجب أن يكون عليه الدعاء من التضرع والخفية، فلم يكن دعاؤه إلى الله في تذلل واستكانة ولا خفض وسكون وإنما تجاوز إلى صياح ورفع، وقد يكون تجاوز ذلك بأن دعى على المؤمن والمؤمنة بالشر، وهذا نوع من الاعتداء الذي لا يحبه الله عز وجل.

مظاهر الاعتداء في الدعاء:

ذكر الشيخ المراغي مظاهر الاعتداء في الدعاء:

- ١ - اعتداء خاص بالألفاظ كالمبالغة في رفع الصوت والتكلف في صيغ الدعاء.
 - ٢ - اعتداء خاص بالمعنى وهو طلب غير المشروع من وسائل المعاصي ومقاصدها كضرر العباد وطلب إبطال سنن الله في الخلق، أو تبديلها كطلب النصر على الأعداء مع ترك وسائله كأنواع السلاح والعتاد، وطلب الغنى بلا كسب، وطلب المغفرة مع الإصرار على الذنب مع أن الله يقول: ﴿فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(٢).
 - ٣ - اعتداء بالتوجه فيه إلى غير الله ليشفع له عنده، وهذا شر أنواع الاعتداء كما قال: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٣) ومن طلب ذلك من غير الله فقد اتخذها إلهاً لأن الإله هو المعبود^(٤).
- كما روى أحمد عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»^(٥).

(١) التفسير الكبير (١٠٦/١٤).

(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٣) سورة الجن، بعض آية: ١٨.

(٤) تفسير المراغي (١٧٧/٨).

(٥) رواه أحمد في المسند (٢٧٦/٤) قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

المبحث الخامس: الخائنون

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَالُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (١٧٧) (١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (٥٨) (٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُلْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ
خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٧٨) (٣).

الخون لغة:

قال ابن فارس: «الخاء والواو والنون أصل واحد، وهو التنقص. يُقال
خانهُ يَخُونُهُ خَوْنًا. وذلك نُقْصَانُ الوفاء» (٤). ويُقال: تخَوَّنِي فلانٌ حَقِّي، أي
تَنَقَّصَنِي (٥).

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٨.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٨.

(٤) معجم مقاييس اللغة (٢٣١/٢) مادة خون.

(٥) معجم مقاييس اللغة (٢٣١/٢)، ولسان العرب (١٤٥/١٣).

والمَخَانَةُ: خَوْنُ النَّصِيحِ وَخَوْنُ الْوَدِّ. وَالخَوْنُ: عَلَى مِخْنِ شَيْءٍ^(١).
وفي الحديث: «المؤمنُ يُطْبَعُ عَلَى كُلِّ خُلُقٍ... إِيَّا الخِيَانَةَ
وَالكَذِبَ»^(٢).

وتقول: خان الرجل الأمانة يخونها خونا وخيانة^(٣).
والتَّخَوْنُ: التَّعْهَدُ^(٤). وخان العهد فهو خائن^(٥). وخائنه إذا بولغ في
وضفه بالخيانة^(٦).

وخائنه الأعين: ما تُسَارِقُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَجِلُّ^(٧). وفي التنزيل:
﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٨).
والخائن: الذي خان ما جعل عليه أمينا^(٩).

قال الراغب: (والخيانة: مخالفة الحق بنقض العهد في السر. ونقيض
الخيانة: الأمانة، يقال: خنت فلانا، وخنت أمانة فلان).

والاختيان: مُرَاوَدَةُ الخِيَانَةِ، وَهُوَ تَحَرُّكُ شهوة الإنسان لتحري
الخيانة^(١٠).

انتفاء محبة الله للخائنين:

لفظ الخيانة لفظ أثيم يحمل في طياته سلوكيات غير سوية يتجه إليها

(١) تهذيب اللغة (٥٨١/٧)، ولسان العرب (١٤٤/١٣).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٥٢/٧).

(٣) المصباح المنير (٢٥١/١).

(٤) تهذيب اللغة (٥٨٢/٧)، ولسان العرب (١٤٥/١٣).

(٥) المصباح المنير (٢٥١/١).

(٦) تهذيب اللغة (٥٨٨/٧).

(٧) انظر تهذيب اللغة (٥٨١/٧)، ولسان العرب (١٤٥/١٣).

(٨) سورة غافر، بعض آية: ١٩.

(٩) المصباح المنير (٢٥٢/١).

(١٠) مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٠٥.

الإنسان عند ضعف إيمانه، سلوكه - الخيانة - لكي يحقق في نفسه غاية أو مصلحة يصبو إليها، ولكن قد يخفى عليه وسلوكه هذا الدرب بأنه يضر بنفسه، ويضر بأسرته ومجتمعه.

وقد بين النبي ﷺ أن صفة - الخيانة - من صفات المنافقين وحدهم، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتى من خان»^(١).

وقد جاء بغض الله عز وجل صفة - الخيانة في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم.

الأول: خيانة النفس:

ففي سورة النساء قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَيَّمَا﴾^(٢).

وقد ورد في سبب نزول الآية الكريمة: أخرج ابن جرير وابن حاتم من طريق فيما روى العوفي عن ابن عباس قال: إن نفرًا من الأنصار غزوا مع النبي ﷺ في بعض غزواته، فسروقت درع لأحدهم، فأظن بها رجلاً من الأنصار، فأتى صاحب الدرع رسول الله فقال: إن طعمة بن أبيرق سرق درعي، فلما رأى السارق ذلك عمد إليها فألقاها في بيت رجل بريء وقال لنفر من عشيرته: إني غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده، فانطلقوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا نبي الله إن صاحبنا بريء، وإن سارق الدرع فلان، وقد أحطنا علماً، فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس، فأنزل الله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾ يقول: بما أنزل إلى قوله تعالى ﴿خَوَّانًا أَيَّمَا﴾^(٣)... وقوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ أي لا تحاجج عن الذين يخونون أنفسهم.

(١) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الإيمان - باب علامة المنافقين (١٢١/١) ح (٣٣).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٧.

(٣) الدر المنثور (٢/٦٧٣).

قال الشيخ الشوكاني: (والمجادلة مأخوذة من الجدل وهو القتل، وقيل مأخوذة من الجدالة وهي وجه الأرض لأن كل واحد من الخصمين يريد أن يلقي صاحبه عليها)^(١).

قال الإمام الرازي: (وإنما قال تعالى - لطعمة - ولمن ذب عنهم: إنهم يختانون أنفسهم لأن من أقدم على المعصية فقد حرم نفسه الثواب وأوصلها إلى العقاب، فكان ذلك منه خيانة مع نفسه)^(٢).

قال الإمام الزمخشري في العلة من قول للخائنين (يختانون أنفسهم) مع أن السارق طعمة وحده - سببين:
(أحدهما: أن بني طفر شهدوا له بالبراءة ونصروه، فكانوا شركاءه في الإثم.

والثاني: أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانتته، فلا تخصم لخائن قط ولا تجادل عنه)^(٣).

قال العلامة الألوسي: (في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا﴾ كثير الخيانة مفراطاً فيها ﴿أَيْمَانًا﴾ منهمكاً في الإثم، وتعليق عدم المحبة المراد منه - البغض - والسخط بصيغة المبالغة ليس لتخصيصه بل لبيان إفراط بني أبيرق وقومهم في الخيانة والإثم)^(٤).

قال الإمام الرازي: (ومما يدل عليه أن - طعمة - بعد هذه الواقعة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطاً ليسرق فسقط عليه ومات، ومن كان خاتمته كذلك لم يشك في خيانتته.

وقال: إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات)^(٥).

(١) فتح القدير (٥١١/١).

(٢) التفسير الكبير (٢١٣/١١).

(٣) الكشف (٥٥١/١).

(٤) روح المعاني (١٣٥/٣).

(٥) التفسير الكبير (٢١٣/١١).

ثانياً: خيانة العهد:

وبين سبحانه وتعالى انتفاء محبته للخائنين، في موضع آخر في القرآن الكريم في سورة الأنفال فقال تعالى: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (٥٨) (١).

وهذه صورة من صور الخيانة، وهي خيانة العهود والمواثيق بين الدول والشعوب، فهنا يرشد الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ إلى كيفية المواجهة مع قوم نقضوا العهد الذي كان بينه وبينهم، بعد أن وثقوا ذلك في المواثيق بينهم.

قال الزمخشري: (في قوله تعالى ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ أي فإذا خفت من قوم معاهدين لك غشاً ونقضاً للعهد ﴿فَأَنِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ النبذ الرمي والرفض ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ على طريق مستو قصد، وذلك بأن تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم إخباراً مكشوفاً بيناً أنك قطعت ما بينك وبينهم، ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك) (٢).

ويقول الشيخ ابن عاشور: (عطف حكم عام لمعاملة جميع الأقوام الخائنين بعد الحكم الخاص بقوم معينين الذين تلوح منهم بوارق الغدر والخيانة، بحيث يبدو من أعمالهم ما فيه مخيلة بعدم وفائهم، فأمره الله أن يرد إليهم عهدهم، إذ لا فائدة فيه وإذ هم ينتفعون من مسالمة المؤمنين لهم، ولا ينتفع المؤمنون من مسالمتهم) (٣).

ويذكر الشهيد سيد قطب: (أن الإسلام يعاهد ليصون عهده، فإذا خاف الخيانة من غيره نبذ العهد القائم جهره وعلانية، ولم يخن ولم يغدر؛ وصارح الآخرين بأنه نفض يده من عهدهم. فليس بينه وبينهم أمان... وبذلك يرتفع الإسلام بالبشرية إلى آفاق من الشرف والاستقامة إلى آفاق من الأمن والطمأنينة) (٤).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٥٨.

(٢) الكشاف (٢/٢٢٣).

(٣) التحرير والتنوير (١٠/٥١، ٥٣).

(٤) في ظلال القرآن (٣/١٥٤٢).

وختم الله سبحانه وتعالى الآية بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفٰئِنِينَ﴾. قال القرطبي: (إن الله لا يحبهم لأنهم متصفون بالخيانة فلا تستمر على عهدهم فتكون معاهداً لمن لا يحبهم الله، ولأن الله لا يحب أن تكون أنت من الخائنين)^(١).

قال النحاس^(٢): (هذا من معجز ما جاء في القرآن مما لا يوجد في الكلام مثله على اختصاره وكثرة معانيه)^(٣).

ثالثاً: خيانة الله — بالكفر:

وبيّن الله سبحانه وتعالى انتفاء محبته للخائنين، في موضع ثالث في الكتاب العزيز في سورة الحج فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوٰنٍ كَفُورٍ﴾^(٤).

أخرج ابن أبي حاتم، عن قتادة رضي الله عنه في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. قال: (والله، ما يضع الله رجلاً قط حفظ له دينه)^(٥).

يقول العلامة الألوسي: (أي إن الله يبالح في دفع غائلة المشركين وضرهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله والمسجد الحرام مبالغة من يغالب فيه أو يدفعها عنهم مرة بعد أخرى حسبما يتجدد منهم القصد إلى الإضرار بهم كما في قوله ﴿كَلِمًا أَوْفَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَاهاَ اللَّهُ﴾^{(٦)(٧)}.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوٰنٍ كَفُورٍ﴾. قال الإمام الرازي: (فالمعنى أنه

(١) التحرير والتنوير (٥١/١٠، ٥٣).

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن إسماعيل بن يونس النحاس النحوي، من الفضلاء وله تصانيف مفيدة، منها: «التفاحة» و«الكافي في النحو» و«الناسخ والمنسوخ» توفي بمصر ٣٨٨هـ. أبجد العلوم (٥٥/٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٢/٨).

(٤) سورة الحج، الآية: ٣٨.

(٥) الدر المنثور (٥٧/٦).

(٦) سورة المائدة، بعض آية: ٦٤.

(٧) روح المعاني (١٦١/١٧).

سبحانه جعل العلة في أنه يدافع عن الذين آمنوا أن الله لا يحب ضدهم، وهو الخوان الكفور أي خوان في أمانة الله كفور لنعمته ونظيره قوله ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ﴾^(١). قال مقاتل: أقرؤا بالصانع وعبدوا غيره فأبي خيانة أعظم من هذه^(٢).

وأوثر (لا يحب) على يبغض تنبيهاً على مكان التعريض وإن المؤمنين هم أحباء الله تعالى، وصيغة المبالغة فيهما لبيان أن المشركين كذلك لا للتقييد المشعر بمحبة الخائن والكافر أو لأن خيانة أمانة الله تعالى وكفران نعمته لا يكونان حقيرين بل هما أمران عظيمان أو لكثرة ما خانوا فيه من الأمانات وما كفروا به من النعم أو للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي أولاً وإيراد معنى المبالغة ثانياً^(٣). كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٤).

ويتضح انتفاء محبة الله - عز وجل - عن الخوان الكفور لأنه خان أمانة الله تعالى وكفر بنعمته التي أنعم الله عليه بها، وهذه من أعظم صور الخيانة، أن يخون الأمانة بالكفر بالله.

صور الخيانة:

بين الله عز وجل صوراً للخيانة، وذلك في سورة الأنفال، فقال عز شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٥).

الصورة الأولى: خيانة الله عز وجل:

وتكمن خيانة الله عز وجل بتعطيل الفرائض التي فرضها على المسلمين، والاعتداء على حدوده التي حدها لهم وأمرهم بعدم تجاوزها،

(١) سورة الأنفال، بعض آية: ٢٧.

(٢) التفسير الكبير (٢٣/٢٢٨).

(٣) روح المعاني (١٧/١٦١).

(٤) سورة فصلت، بعض آية: ٤٦.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

وبانتهاك محارمه التي بينها لهم في كتابه العزيز.

الصورة الثانية: خيانة الرسول ﷺ:

وذلك بتعطيل العمل بسنة المصطفى ﷺ، والإعراض عن بيانه للقرآن إلى بيانه بأهوائهم أو آراء آبائهم أو أمرائهم، زعماً منهم أنهم أعلم بمراد الله ورسوله منكم، أو بإضمار خلاف ما يظهرون أو بالغلول في المغانم.

الصورة الثالثة: خيانة الأمانة:

وذلك فيما بين الناس سواء كان في المعاملات المالية، أو في الشؤون الاجتماعية كإفشاء الأسرار، أو شؤون سياسية أو جربية وذلك بإطلاع العدو على أسراركم، وخيانة العهود والمواثيق.



المبحث السادس:

المسرفون

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَكِّبًا وَغَيْرَ مُتَشَكِّبٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ يَبْنَیْ ءَادَمَ خُدُوًا زَیْنَتًا عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٢).

الإسراف لغة:

قال ابن فارس: (السين والراء والفاء أصل واحد يدل على تعدي الحد والإغفال أيضاً للشيء. تقول: في الأمر سرف، أي مجاوزة القدر) (٣).

السرف والإسراف: مجاوزة القصد (٤). وأسرف في ماله: عجل من

غير قصد.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٣) معجم مقاييس اللغة (١٥٣/٣) مادة سرف.

(٤) تهذيب اللغة (٣٩٨/١٢)، ولسان العرب (١٤٨/٩).

وَالسَّرْفُ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، فَهُوَ مَا أَنْفَقَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ، قَلِيلاً كَانَ أَوْ كَثِيراً.

وَالإِسْرَافُ فِي النِّفْقَةِ: التَّبْذِيرُ^(١). قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾^(٢).

وَسَرَفُ الْمَاءِ: مَا ذَهَبَ مِنْهُ فِي غَيْرِ سَفِيٍّ وَلَا نَفْعٍ^(٣).

وَأَسْرَفَ فِي الْكَلَامِ وَفِي الْقَتْلِ: أَفْرَطَ^(٤)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾^(٥).

قَالَ الرَّاعِبُ: (السَّرْفُ: تَجَاوَزُ الْحَدِّ فِي كُلِّ فِعْلٍ يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي الْإِنْفَاقِ أَشْهَرُ)^(٦).

وَالإِسْرَافُ اصْطِلَاحًا:

قَالَ الْكُفَوِيُّ: (الإِسْرَافُ: هُوَ صَرْفُ الشَّيْءِ فِيمَا لَا يَنْبَغِي زَائِدًا عَلَى مَا يَنْبَغِي، بِخِلَافِ التَّبْذِيرِ فَإِنَّهُ صَرْفُ الشَّيْءِ فِيمَا لَا يَنْبَغِي.

وَقَالَ: الإِسْرَافُ: تَجَاوُزُ فِي الْكَمِيَّةِ، فَهُوَ جَهْلٌ بِمَقَادِيرِ الْحَقُوقِ)^(٧).

وَقَالَ د. سَيْدُ نُوحٍ: (مَجَاوِزَةُ حَدِّ الْإِعْتِدَالِ فِي الطَّعَامِ، وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ وَالسُّكْنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْغَرَائِزِ الْكَامِنَةِ فِي النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ)^(٨).

(١) لسان العرب (١٤٨/٩).

(٢) سورة الفرقان، بعض آية: ٦٧.

(٣) تهذيب اللغة (٣٩٨/١٢)، ولسان العرب (١٤٨/٩).

(٤) لسان العرب (١٤٩/٩).

(٥) سورة الإسراء، بعض آية: ٣٣.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٠٧.

(٧) الكلبيات ص ١١٣.

(٨) آفاق على الطريق (٣٥/١).

انتفاء محبة الله للمسرفين:

ورد ذكر انتفاء محبة الله عز وجل للمسرفين، في آيتين إحداهما في سورة الأنعام والأخرى في سورة الأعراف، وتحمل كل آية معنى يختلف عن الأخرى في الإسراف.

أولاً: الإسراف في الصدقة والأكل:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١). فقد جاء النهي عن الإسراف بعد بيان قدرة الله عز وجل على إنشاء الجنات المختلفة سواء المعروش منها وغير المعروش، وإنشاء النخل والمزروعات المتنوعة المختلفة في الطعم واللون والرائحة والشكل، وزاد لهم من فضله في أن يأكلوا من هذا الخير الذي أكرمه به الله عز وجل في وقت نضجه وينعه، وأمرهم أن يؤتوا حقه وقت حصاده، لمستحقه من ذوي القربى واليتامى والمساكين، ولما أمرهم الله تعالى بذلك، نهى عن مجاوزة الحد، فقال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ قال أبو حيان: (وهذا النهي يتضمن أفراد الإسراف فيدخل فيه الإسراف في أكل الثمرة حتى لا يبقى منها شيء للزكاة، والإسراف في التصدق بها حتى لا يُبقي لنفسه ولا لعياله شيئاً) (٢). وقال العلامة الألوسي: (أي لا تتجاوزوا الحد فتبسطوا أيديكم كل البسط في الإعطاء).

قد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن جريج قال: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جذ نخلاً فقال: لا يأتين اليوم أحد إلا أطعمته فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة فأنزل الله تعالى ذلك. وعن أبي مسلم أن المراد ولا تسرفوا في الأكل قبل الحصاد كيلا يؤدي إلى بخرس حق الفقراء) (٣).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

(٢) البحر المحيط (٤/٢٤٠).

(٣) روح المعاني (٨/٢٨٢).

وقال الإمام القرطبي: (لا تأخذوا الشيء بغير حقه ثم تضعوه في غير حقه)^(١).

قال الشيخ ابن عاشور: (فوجه عدم محبة الله إياهم أن الإفراط في تناول اللذات والطيبات، والإكثار من بذل المال في تحصيلها، يفضي غالباً إلى استنزاف الأموال والشره إلى الاستكثار منها، فإذا ضاقت على المسرف أمواله تطلب تحصيل المال من وجوه فاسدة، ليحمد بذلك نهمته إلى اللذات، فيكون ذلك دأبه، فربما ضاق عليه ماله، فشق عليه الإقلاع عن معتاده، فعاش في كرب وضيق، وربما تطلب المال من وجوه غير مشروعة، فوقع فيما يؤاخذ عليه في الدنيا أو في الآخرة، ثم إن ذلك قد يعقب عياله خصاصة وذنك اختلال نظلم العائلة. فأما كثرة الإنفاق في وجوه البرِّ فإنها لا توقع في مثل هذا، لأن المنفق لا يبلغ فيها مبلغ المنفق لمحبة لذاته، لأن داعي الحكمة قابل للتأمل والتحديد بخلاف داعي الشهوة ولذلك قيل في الكلام الذي يصح طرداً وعكساً: «لا خير في السرف، ولا سرف في الخير»^(٢).

﴿إِنَّكَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ بل يبغضهم من حيث إسرافهم ويعذبهم عليه إن شاء جلَّ شأنه^(٣). ففيها تحذير للمؤمنين من الإسراف لأنه سبب يجلب بغض الله لهم وانتفاء محبته إياهم.

والعلة في انتفاء محبة الله - عزَّ وجلَّ - للمسرفين، في أن المسرف تجاوز الحد المشروع في كلا الأمرين، سواء بأكله الثمر حتى لا يبقى منها شيء للزكاة، أو أنه أسرف في الصدقة لله، فلم يبق لنفسه شيئاً.

فالاعتدال مطلوب في كلا الأمرين: في الأكل، حتى يشاركه الغير وذلك عن طريق الزكاة، وفي الصدقة حتى يبقى لنفسه وأهله ما يكفيهم للحياة.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧٢/٧).

(٢) التحرير والتنوير (١٢٤/٧).

(٣) روح المعاني (٢٨٢/٨).

ثانياً: الإسراف في الثياب والطعام والشراب:

قال تعالى: ﴿يَبْقَىٰ مَادَمٌ خُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١) (١). فقد جاء النهي عن الإسراف بعد أن أمرهم بأخذ الزينة عند الذهاب إلى المساجد، فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله ﴿خُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال: كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة، والزينة - اللباس، وهو ما يوارى السوء وما سوى ذلك من جيد البز (٢) والمتاع (٣).

ثم أمرهم الله سبحانه وتعالى بأن يأكلوا ويشربوا مما طاب لهم، قال الكلبي: كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام إلا قوتاً ولا يأكلون دسماً في أيام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون: يا رسول الله من أحق بذلك، فأنزل الله تعالى - الآية -، ومنه يظهر وجه ذكر الأكل والشرب هنا وبعد ذلك جاء النهي في قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ يقول الإمام الرازي فيه قولان:

(الأول: أن يأكل ويشرب بحيث لا يتعدى إلى الحرام، ولا يكثر الإنفاق المستقبح ولا يتناول مقداراً كثيراً يضره ولا يحتاج إليه.

والثاني: هو قول أبي بكر الأصم: أن المراد من الإسراف قولهم بتحريم البحيرة والسائبة (٤)، فإنهم أخرجوها من ملكهم، وتركوا الانتفاع بها، وأيضاً إنهم حرّموا على أنفسهم في الحج أيضاً أشياء قد أحلها الله تعالى لهم، وذلك إسراف (٥).

قال الشيخ ابن عاشور: (وقد قيل إن هذه الآية - جمعت أصول حفظ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٢) البز: البز من الثياب أمتعة. مختار الصحاح ص ٢١.

(٣) الدر المشور (٤٣٩/٣).

(٤) السائبة: الناقة التي كانت تسبب في الجاهلية لنذر أو نحوه. والبحيرة: هي ابنة السائبة وحكمها حكم أمها. انظر مختار الصحاح ص ١٣٦، ١٧.

(٥) التفسير الكبير (٥٢/١٤).

الصحة من جانب الغذاء فالنهي من السرف نهي إرشاد لا نهي تحريم بقريئة الإباحة اللاحقة في قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾، ولأن مقدار الإسراف لا ينضب فلا يتعلق به التكليف، ولكن يوكل إلى تدبير الناس مصالحهم، وهذا راجع إلى معنى القسط في قوله تعالى: ﴿أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ فإن ترك السرف من معنى العدل^(١).

وبعد النهي ذكر الله التعليل ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ لأن الله الخالق لهذه النعم لا يحب فيها، بل يعاقبهم على هذا الإسراف بمقدار ما ينشأ عنه من المضار والمفاسد، لأنهم خالفوا سنن الفطرة وجنوا على أنفسهم في أبدانهم، وأموالهم، وجنوا على أسرهم وأوطانهم.

ويقول الإمام الرازي: (وهذا نهاية التهديد، لأن كل من لا يحبه الله تعالى بقي محروماً عن الثواب، لأن معنى محبة الله تعالى العبد إيصاله الثواب إليه، فعدم هذه المحبة عبارة عن عدم حصول الثواب، ومتى لم يحصل الثواب، فقد حصل العقاب، لانعقاد الإجماع على أنه ليس في الوجود مكلف لا يثاب ولا يعاقب)^(٢).

عن عمرو بن شعب عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا، ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة»^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كُلُّ ما شئت، واشرب ما شئت، والبس ما شئت إذا أخطأتك اثنتان: أسراف أو مخيلة^(٤).

أقوال أهل العلم في الإسراف:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من

(١) التحرير والتنوير (٩٤/٨).

(٢) التفسير الكبير (٥٢/١٤).

(٣) رواه ابن ماجه في السنن: كتاب اللباس - باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة (١١٩٢/٢) ح (٣٦٠٥) قال الشيخ الألباني: حديث حسن.

(٤) فتح الباري (٣/١٠).

السرف أن تأكل كل ما اشتهيت»^(١).

وقال ابن زيد: الإسراف أكل الحرام^(٢).

عن سعيد بن جبير، إنه سئل ما الإسراف في المال، قال: أن يرزقك الله مالاً حلالاً فتتفعه في حرام حرمه عليك.

وقال إياس بن معاوية: السرف ما تجاوزت به أمر الله فهو سرف.

وقال سفیان بن حسين: وما قصرت به عن أمر الله فهو سرف^(٣).

وقال وهب بن منبه: من السرف أن يكتسي الإنسان ويأكل ويشرب ما ليس عنده^(٤).

والعلة في انتفاء محبة الله - عز وجل - للمسرفين، هو أن المسرف فرط فيما أنعم الله عليه من نعم، ولم يحسن من استغلالها، وإنما أهمل النعمة، وأتلف الأكل وضيع المال... فقابل النعيم بلا مبالاة بدلاً من الشناء والشكر.

حدود الإسراف:

عرّفنا الإسراف: تجاوز الحد في كل شيء، ويقسم الشيخ المراغي الحدود إلى الآتي:

أولاً: طبيعي: كالجوع والشبع والظمأ والري، فمن أكل إذا أحس بالجوع أو كف عن الأكل إذا شعر بالشبع وإن كان يستلذ الاستزادة، أو شرب إذا شعر بالظمأ واكتفى بما يزيله ولم يزد على ذلك لم يكن مسرفاً في أكله وشربه، وكان طعامه وشرابه نافعين له.

(١) رواه ابن ماجه في السنن: كتاب الأطعمة - باب من الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت

(٢) (١١١٢/٢) ح (٣٣٥٢).

(٣) البحر المحيط (٢٩٢/٤).

(٤) الدر المنثور (٣٦٩/٣، ٤٤٥).

(٤) تفسير المنار (٣٤٢/٨).

ثانياً: اقتصادي: وهو أن تكون النفقة على نسبة معينة من دخل الإنسان بحيث لا تستغرق كسبه.

ثالثاً: شرعي: فإن الشارع حرم من الطعام الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله، وحرم من الشراب الخمر، وحرم من اللباس الحرير الخالص أو الغلب على الرجال دون النساء، وحرم الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة وعدّه من السرف المنهى عنه^(١).



(١) تفسير المراغي (١٣٤/٨).

المبحث السابع: المتكبرون والمختال والفخور

قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٢٣) (١).

وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (٦٦) (٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) (٣).

وقال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢٣) (٤).

الكبر لغة:

الكبير في صفة الله تعالى: العظيم الجليل والمتكبر الذي تكبر عن

(١) سورة النحل، الآية: ٢٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٨.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

ظلم عباده، والكِبْرِيَاءَ عَظْمَةَ اللَّهِ، وقيل: المتعالى عن صفات الخلق، وقيل: المتكبر على عتاة خلقه، والتاء فيه للتفرد، والتخصيص لاء تاء التعاطي، والتكُّلف.

والكِبْرِيَاءُ: العظمة والملك، وقيل: هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها إلا الله تعالى^(١).

وقال ابن فارس: الكِبْرُ: العظمة، وكذلك الكِبْرِيَاءُ^(٢). وأكبرت الشيء أي استعظمت^(٣).

والاستكبارُ: الامتناع عن قبول الحقِّ معاندةً وتكبراً^(٤).

والكِبْرُ بالكسر اسم من التكبر^(٥).

قال الراغب: (الكِبْرُ: الحالة التي يتخصَّصُ بها الإنسان من إعجابِه بنفسِه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبرَ من غيره^(٦)).

وأعظم التكبر على الله بالامتناع عن قبول الحقِّ والاذعان له بالعبادة.

والاستكبارُ يُقال على وجهين: أحدهما: أن يتحرى الإنسان وَيَطْلُبَ أن يصير كَبِيراً وذلك متى كان على ما يَجِبُ، وفي المكان الذي يَجِبُ، وفي الوقت الذي يَجِبُ فمحمود.

والأول: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم، وعلى هذا ورد في القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿أَبْنِ وَأَسْتَكْبِرْ﴾^(٧).

والتكبرُ يُقال على وجهين:

-
- (١) لسان العرب (١٢٥/٥، ١٢٦) مادة كبر.
 - (٢) معجم مقاييس اللغة (١٥٤/٥)، والمصباح المنير (٧١٨/٢).
 - (٣) معجم مقاييس اللغة (١٥٤/٥)، ولسان العرب (١٢٦/٥)، والمصباح المنير (٧١٨/٢).
 - (٤) انظر تهذيب اللغة (٢١٣/١٠)، ولسان العرب (١٢٦/٥).
 - (٥) المصباح المنير (٧١٨/٢).
 - (٦) وبه قال الكفوي، انظر الكليات ص ٢٨.
 - (٧) سورة البقرة، بعض آية: ٣٤.

أحدهما: أن تكون الأفعال الحسنة كثيرةً في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره، وعلى هذا وصف الله تعالى بالتكبير، قال تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾^(١).

والثاني: أن يكون مُتَكَلِّفًا لذلك مُتَشَبِعًا، وذلك في وصف عامة الناس نحو قوله تعالى: ﴿فَيْتَسَ مَنَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(٢)(٣).

والكِبَرُ الصِّطْلَاحُ:

إعجاب المرء بصورة تجعله يحتقر الآخرين في أنفسهم، وينال من ذواتهم، ويترفع عن قبول الحق منهم^(٤).

المختال لغة:

من خَيْلٍ، قال ابن فارس: (الخاء والياء واللام أصل واحد يدل على حركة في تلوّن، وسُمي المختال كذلك لأنه في مشيته يتلوّن في حركته ألواناً)^(٥).

يقال: اختال الرجل وبه خِيلاء وهو الكبر والإعجاب^(٦).

والخالُ والخَيْلُ والخِيلاءُ والأخْيَلُ والخَيْلَةُ والمَخِيْلَةُ، كُله: الكِبَرُ^(٧).

فالمُخْتَالُ: المتكَبِّرُ^(٨).

(١) سورة الحشر، بعض آية: ٢٣.

(٢) سورة الزمر، بعض آية: ٧٢.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٧٩.

(٤) آفات على الطريق (١/١٥٩).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٢/٢٣٥).

(٦) المصباح المنير (١/٢٥٤).

(٧) لسان العرب (١١/٢٢٨).

(٨) تهذيب اللغة (٧/٥٦٠)، ولسان العرب (١١/٢٢٨).

قال أبو إسحاق: الْمُخْتَالُ الصِّلْفُ^(١) المتباهي الجهول الذي يأنف من ذوي قَرَابَتِهِ إِذَا كَانُوا فَقَرَاءً، وَمِنْ جِيرَانِهِ إِذَا كَانُوا كَذَلِكَ، وَلَا يُحْسِنُ عَشْرَتَهُمْ^(٢).

والمختال اصطلاحاً:

قال الراغب: (وَالْمُخْتَالُ: التَّكْبُرُ عَنْ تَخَيُّلِ فَضِيلَةِ تَرَاثٍ لِلْإِنْسَانِ مِنْ نَفْسِهِ)^(٣).

الفخر لغة:

قال ابن فارس: (الفاء والخاء والراء أصل صحيح، وهو يدل على عِظْمٍ وَقِدَمٍ)^(٤).

والتفاخُرُ: التعاضم. والتَفَخَّرُ: التعظم والتكبر^(٥).

قال الأزهري: (وَالْفَخْرُ مَعْرُوفٌ، وَقَدْ فَاحَزْتُهُ، وَهُوَ نَشْرُ الْمَنَاقِبِ، وَذِكْرُ الْكِرَامِ بِالْكَرَمِ)^(٦).

فَخَرَتِ الرَّجُلَ عَلَى صَاحِبِهِ أَفْخَرَهُ فَخْرًا، أَي فَضَّلْتَهُ عَلَيْهِ^(٧).

وَرَجُلٌ فِخْيرٌ: كَثِيرُ الْإِفْتِخَارِ^(٨). وَيُقَالُ: فَخَرَ الرَّجُلُ يَفْخَرُ - إِذَا عَدَّدَ حَسِبَهُ وَمَفَاخِرَهُ^(٩).

(١) الصلف: مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً. مختار الصحاح ص ١٥٤.

(٢) لسان العرب (٢٢٨/١١).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٠٦.

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤٨٠/٤) مادة فخر.

(٥) لسان العرب (٤٩/٤).

(٦) تهذيب اللغة (٣٥٧/٧).

(٧) معجم مقاييس اللغة (٤٨٠/٤)، ولسان العرب (٤٩/٤).

(٨) تهذيب اللغة (٣٥٧/٧)، ومعجم مقاييس اللغة (٤٨٠/٤).

(٩) تهذيب اللغة (٣٥٨/٧).

والاسم الفَخَّار بالفتح وهو المُباهاة بالمكارم والمناقب من حَسَب ونسب وغير ذلك إما في المتكلم أو في آياته^(١).

والفَخَّور: المتكَبِّر^(٢). وتفاخر القوم فيما بينهم إذا افتخر كل منهم بمَفَاخره^(٣).

والفخر الصطلاحاً:

قال الراغب: (الفَخْرُ: المُباهاة في الأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه)^(٤).

وقال الجرجاني: (هو التناول على الناس بتعدد المناقب)^(٥).

انتفاء محبة الله للمتكبر والمختال الفخور:

التكبر والخيلاء والفخر صفات غير محبوبة في النفس البشرية، تفضي في نفس صاحبها شعوراً بالعظمة والعلو على الآخرين، وتشعره بأنه الأفضل منهم والأحسن حسب مقاييس وضعها لنفسه دون اعتبار لمقاييس الدين والمجتمع.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: «من أكرم الناس؟» قال: «أكرمهم أنقاهم»^(٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه إلى النبي ﷺ قال: «إن الله لا

(١) المصباح المنير (٢/٦٣٤).

(٢) تهذيب اللغة (٧/٧٣٥٩)، ولسان العرب (٤/٤٩).

(٣) المصباح المنير (٢/٦٣٤).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٢٧.

(٥) التعريفات ص ١٦٥.

(٦) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الأنبياء - باب (أم كنتم شهداء إذا حضر يعقوب الموت) (٦/٥٠٢) ح (٣٣٧٤).

ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم»^(١).

والمتمفحص لهذه الصفات - الكبير والخيلاء - الفخر - يجد هناك رابطاً يربط فيما بينها جميعاً، وهو اعتزاز بالنفس بما ليس فيها، وهنا يكمن الخلل فبهذا الشعور الدخلي في نفس الإنسان يترفع عن الخلق ويتجاوز الحق الذي رسم له، وحددته الشريعة.

وقد جاء انتفاء محبة الله - للمختال الفخور والمتكبر - في أربعة مواضع في القرآن العظيم.

ثلاثة منها عن المختال الفخور، وواحد عن المتكبر والسبب في الجمع بين الصفتين معاً - المختال والفخور - لأنها تحمل نفس المعاني والآثار على صاحبها وعلى المجتمع.

ونبدأ أولاً في استعراض الآيات الواردة في انتفاء محبة الله للمختال الفخور.

أولاً: المختال على أقربيه وجيرانه ومجتمعه:

جاءت الآية في سورة النساء بعد أن أمر الله الناس بعبادته وحده لا شريك له وبالإحسان إلى الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين والجيران وابن السبيل وما ملكت أيماهم.

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾^(٢).

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ يريد بالمختال العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق أحد - والفخور: هو الذي يفخر على عباد الله بما أعطاه الله من أنواع نعمه^(٣).

(١) رواه ابن ماجه في السنن: كتاب الزهد - باب القناعة (١٣٨٨/٢) ح (٤١٤٣)، وأحمد في المسند (٢٨٥/٢) قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) التفسير الكبير (٧٨/١٠).

وقال الزجاج: وإنما ذكر الاختيال ههنا، لأن المختال يأنف من أقاربه إذا كانوا فقراء، ومن جيرانه إذا كانوا ضعفاء، فلا يحسن عشرتهم^(١).

وقال الإمام الرازي: (وإنما خصّ الله تعالى هذين الوصفين بالذم في هذا الموضع، لأن المختال هو المتكبر وكل من كان متكبراً فإنه قلما يقوم برعاية الحقوق، ثم أضاف إليه ذم الفخور لئلا يقدم على رعاية هذه الحقوق لأجل الرياء والسمعة، بل لمحض أمر الله تعالى).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: (قال الإمام: المختال هو المتكبر الذي يظهر على من دونه أثر من كبره في الحركات والأعمال، فيرى نفسه أعلى من نفوس الناس، وأنه يجب على غيره أن يتحمل من يتهمه ما لا يتحملة هو منه، والفخور هو المتكبر الذي يظهر أثر الكبر في قوله كما يظهر في فعل المختال فهو يذكر ما يرى أنه ممتاز به على الناس تبجحاً بنفسه وتعريضاً باحتقار غيره).

فالمختال الفخور مبغوض عند الله تعالى لأنه احتقر جميع الحقوق التي وضعها الله عزّ وجلّ وأوجبها للناس وعمى عن نعمة الله تعالى عليهم وعنايته بهم، بل لا يجد هذا المتكبر في نفسه معنى عظمة الله وكبريائه، لأنه لو وجدها لتأدب وشعر بضعفه وعجزه وصغاره)^(٢).

وقال الشهيد سيد قطب: والتعبير القرآني يقول: إن الله ﴿لَا يُحِبُّ﴾ هؤلاء... والله سبحانه - لا ينفعل انفعال الكره والحب، إنما المقصود ما يصاحب هذا الانفعال في مألوف البشر من الطرد والأذى وسوء الجزاء وما يثيره في النفوس من الكره لهذه الصفات ولهذه التصرفات، كما تشير الاحتقار والاشمئزاز حينما تعلم أن المُحرّض لها الشيطان^(٣).

لأن هذا المختال الفخور رأى في نفسه شيئاً لم يره في الآخرين،

(١) المرجع السابق.

(٢) تفسير المنار (٨٠/٥).

(٣) في ظلال القرآن (٦٦١/٢) بتصرف.

فاختال على أهله وأقاربه وجيرانه وجميع أفراد المجتمع.

ثانياً: المختال بنفسه:

وورد انتفاء محبة الله للمختال الفخور، في سورة لقمان. في معرض وصايا لقمان لابنه، فقال عز وجل: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١).

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي لا تتكبر فتحقر عباد الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك... وقال مجاهد: أي الصدود والإعراض بالوجه عن الناس (٢).

وقال العلامة الألوسي في الآية: (أي لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون) (٣).

وقال الشيخ المراغي: (ولا تعرض بوجهك عنم تكلمه تكبراً واحتقاراً له، بل أقبل عليه بوجهك كله مهتلاً مستبشراً من غير كبر ولا عتو) (٤).

وقال الشهيد سيد قطب: (في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا﴾ والمشي في الأرض مرحاً هو المشي في تخايل ونفخة وقلة مبالاة بالناس. وهي حركة كريمة يمتقتها الله ويمقتها الخلق، وهي تعبير عن شعور مريض بالذات يتنفس في مشية الخيلاء) (٥).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ تعليل للنهي أو موجهه، أي أن الله لا يحب المختال المعجب بنفسه، الفخور على غيره.

(١) سورة لقمان، الآية: ١٨.

(٢) الدر المنثور (٥٢٤/٦).

(٣) روح المعاني (٩١/٢١).

(٤) تفسير المراغي (٨٥/٢١).

(٥) في ظلال القرآن (٢٧٩٠/٥).

ثالثاً: الاختيال بحفظ الدنيا:

وجاء أيضاً انتفاء محبة الله للمختال الفخور، في سورة الحديد بعد بيان أن جميع المصائب التي تحل في الأرض أو تصيب النفس البشرية مُسَجَّلَةٌ في اللوح المحفوظ، وذلك يسير على الله عزّ وجلّ، ثم بعدها قال سبحانه: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢٣) (١).

وقال الزمخشري: (يعني أنكم إذا علمتم أن كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل أساكم على الفائق وفرحكم على الآتي؛ لأن من علم أن ما عنده معقود لا محالة: لم يتفارق جزعه عند فقده، لأنه وطن نفسه على ذلك، وكذلك من علم أن بعض الخير واصل إليه، وأن وصوله لا يفوته بحال: لم يعظم فرحه عند نيّله.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه: اختال وافتخر به وتكبر على الناس (٢).

وقال ابن مسعود: (فإن من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذليل بالنهي عن الفرح المذكور إيذان بأنه أقبح من الأسي) (٣).

قال الشيخ ابن عاشور: (فيه تحذير من الفرح الواقع في سياق تعليل الأخبار بأن كل ما يناله المرء ثابت في كتاب، وفيه بيان للمراد من الفرح المفرط البالغ بصاحبه إلى الاختيال والفخر) (٤).

وأورد الزمخشري سؤالاً فقال: فإن قيل: لا أحد يملك نفسه - عند مضرة تنزل به، ولا عند منفعة ينالها - أن لا يفرح ولا يحزن.

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

(٢) الكشف (٤/٤٦٧).

(٣) إرشاد العقل السليم (٨/٢١١).

(٤) التحرير والتنوير (٢٧/٤١٢).

وأجاب: المراد الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين، والفرح المطغى الملهي عن الشكر: فأما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام، والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما^(١).

وهذا كله معنى ما روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا للمصيبة صبراً وللخير شكراً.

رابعاً: التكبر على طاعة الله — عز وجل —:

وكذلك أيضاً فقد ذم الله عز وجل صفة الكبر لما فيها من آثار سيئة على صاحبها وعلى من يتعامل معهم، وبين الله انتفاء محبته للمتكبرين في آية واحدة فقط في سورة النحل، فقال عز شأنه: ﴿لَا جَرَمَ أَنْتَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾^(٢).

وجاءت هذه الآية الكريمة بعد أن بين استحالة الإشراف بالله تعالى وأن المعبود واحد لا رب غيره ولا معبود سواه، فالذين لا يؤمنون باليوم الآخر متكبرون متعظمون عن قبول الحق.

وقال الإمام الطبري: (لا جرم أن الله يعلم ما يسر هؤلاء المشركون من إنكارهم ما ذكرنا من الأنبياء في هذه السورة واعتقادهم نكير قولنا لهم: إلهكم واحد، واستكبارهم على الله، وما يعلنون من كفرهم بالله وفريتهم عليه).

إن الله لا يحب المستكبرين عليه أن يوحده ويخلعوا ما دونه من الآلهة والأنداد^(٣).

وقال الشيخ المراغي: (في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنْتَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي حقاً إن الله يعلم ما يسر هؤلاء المشركون من

(١) الكشاف (٤/٤٦٧).

(٢) سورة النحل، الآية: ٢٣.

(٣) جامع البيان (٧/٥٧٤).

إنكارهم لما قصصته عليك واستكبارهم على الله، ويعلم ما يعلنون من كفرهم به، وافترائهم عليه^(١).

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ أي لا يبيهم ولا يثي عليهم.

وقال الشهيد سيد قطب: (لأن القلب المستكبر لا يرى له أن يقتنع أو يسلم. ومن ثم فهم مكروهون من الله لاستكبارهم الذي يعلمه من يعلم حقيقة أمرهم ويعلم ما يسرون وما يعلنون)^(٢).

حقيقة الكبر:

وعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ولا يدخل الجنة من كان في قلبه حبة من كبر» فقال رجل: «يا رسول الله إني ليعجبني أن يكون ثوبي غسلاً ورأسي دهنياً وشراكي نعلي جديداً» وذكر أشياء حتى ذكر علاقة سوطه «أفمن الكبر ذاك يا رسول الله؟» قال: «لا ذاك الجمال إن الله جميل يحب الجمال ولكن الكبر من سفه الحق وازدرى الناس»^(٣).

إذن الكبر ليس له علاقة بحسن اهتمام الإنسان بمظهره الخارجي، وإنما هو تسفيه الحق وتجاوزه، والتعالي على الناس واحتقارهم.

وهو شعور داخلي يشعر به صاحبه، دون أن يحس به الآخرون، ويوضح ذلك الحديث الذي أخرجه البيهقي عن جابر قال: كنا مع النبي ﷺ فأقبل رجل، فلما رآه القوم أثنوا عليه، فقال النبي ﷺ: «إني لأرى على وجهه سفعة من النار» فلما جاء وجلس قال: «أنشدك بالله، أجتت وأنت ترى أنك أفضل القوم؟» قال: «نعم»^(٤).

(١) تفسير المراغي (٦٧/١٤).

(٢) في ظلال القرآن (٢١٦٧/٤)، والأساس في التفسير (٢٩٢٥/٦).

(٣) رواه أحمد في المسند (٣٩٩/١) قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان: باب في حسن الخلق - فصل في التواضع (٣٠٢/٦)

ح (٨٢٥٤).

وقال الإمام الغزالي: (ولا يتصور أن يكون الإنسان متكبراً إلا إذا كان مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال، فهذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه، فيحصل في قلبه اعتداء وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعزة في نفسه بسبب ذلك، فتلك العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبير)^(١).

أقسام التكبر:

يقسم الإمام الغزالي التكبر باعتبار المتكبر عليه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: التكبر على الله؛ وذلك هو أفحش أنواع التكبر، ولا مثار له إلا الجهل المحض والطغيان كما حدث لمن ادعى الربوبية مثل فرعون، فإنه لتكبره قال أنا ربكم الأعلى، إذ استنكف أن يكون عبداً لله، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٢).

الثاني: التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس؛ وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان أنه محق فيه، وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل، كما حكى الله قولهم ﴿أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾^(٣) وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٤).

الثالث: التكبر على العباد، وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره، فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف عن مساواتهم.

وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضاً عظيم من وجهين؛

(١) إحياء علوم الدين (٣/٣٤٤).

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٣) سورة المؤمنون، بعض آية: ٤٧.

(٤) سورة الزخرف، بعض آية: ٣١.

أحدهما: إن الكبر والعزّ والعظمة والعلاء لا يليق إلا بالملك القادر، فأما العبد المملوك الضعيف الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق بحاله الكبر؟ والوجه الثاني: الذي تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره، لأن المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ (١)(٢).

علامات المتكبر:

وذكر ذلك العلامة محمود المرعشي قائلاً: (هي حب قيام الناس له تعظيماً، وإذا مشى مع أحد يحب أن يتقدم عليه، ويتوقى مجالس المرضى والمعلولين، ولا يتعاطى شغلاً بيديه في بيته، ولا يحمل متاعه إلى بيته، ويستنكف عن إجابة دعوة الفقير والخسيف^(٣) لا الغني ولا الشريف، ولا يتنازل لقضاء حوائج الأقرباء والرفاق، ويتشامخ عن شراء حوائجه البسيطة، ويستنكف عن قول الحق وعن الاعتراف بخطئه، فمن كان أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قدرة، فيما بينهما يحمل العذرة فلا يسوغ له التكبر)^(٤).

مظاهر التكبر:

١ - الاختيال في المشية، مع لي صفحة العنق، وتصغير الخد، قال تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٥). وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٦).

٢ - الإفساد في الأرض عندما تتاح الفرصة له مع الإعراض عن النصيحة،

(١) سورة البقرة، بعض آية: ٢٠٦.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٣٤٥).

(٣) الخسيف: الإنسان البسيط التافه الذي ليس لذكوره صدى بين الناس.

(٤) أدب الخلق في الإسلام ص ١٥٥.

(٥) سورة الحج، بعض آية: ٩.

(٦) سورة لقمان، الآية: ١٨.

والتعالي عن الحق، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَكَتَ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴿٢٠٦﴾﴾ (١).

٣ - الفرح بحظوظ الدنيا عند مجيئها للإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢).

٤ - إسبال الإزار بنية الاختيال والتكبر، فعن سالم بن عبدالله عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» فقال أبو بكر: «إن أحد جانبي إزاري يسترخي، إني لأتعاهد ذلك منه»، قال: «لست ممن يفعله خيلاء» (٣).

٥ - محبة أن يسعى الناس إليه، ولا يسعى إليهم، وأن يمثلوا له قياماً إذا قدم أو مرّ بهم، عن أبي مجلز: خرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر، فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير، فقال معاوية لابن عامر: اجلس فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار» (٤).

آفات الكبر:

أ - حرمان الحق، وعمى القلب عن معرفة آيات الله تعالى وفهم أحكامه، قال تعالى: ﴿سَاءَ صِرْفًا عَنَّا إِلَٰهِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (٥). وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطَّعُّ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٦).

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤-٢٠٦.

(٢) سورة الحديد، بعض آية: ٢٣.

(٣) رواه أبو داود في السنن: كتاب اللباس - باب ما جاء في إسبال الإزار (٤١١/٢) قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

(٤) رواه أبو داود في السنن: كتاب الأدب - باب في قيام الرجل للرجل (٧٠٢/٢).

(٥) سورة الأعراف، بعض آية: ١٤٦.

(٦) سورة غافر، بعض آية: ٣٥.

ب - المقت والبغض من الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾^(١). روى عن سيدنا موسى عليه السلام، قال: يا رب من أبغض خلقك إليك؟ قال: من تكبر قلبه، وغلظ لسانه، وصفق عينه، وبخلت يده، وساء خلقه.

ج - الخزي والنكال في الدنيا والآخرة، فقد قيل: من تكبر بغير حق أورثه الله ذلاً بحق. وقال حاتم الأصم رحمه الله تعالى: اجتنب أن يدركك الموت على ثلاثة: على الكبر والحرص والخيلاء، فإن المتكبر لا يخرججه الله تعالى من الدنيا حتى يرى الهوان من أرذل أهله وخدامه، والحريص لا يخرججه الله من الدنيا حتى يحوجه إلى كسرة، وشربة ولا يجد مساعاً، والمختال لا يخرججه الله تعالى من الدنيا حتى يمرغه ببوله وقذره^(٢).



(١) سورة النحل، بعض آية: ٢٣.

(٢) أدب الخلق في الإسلام ص ١٥٥، ١٥٦.

المبحث الثامن:

الفرحون

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَدْرُونَ كَانُوا مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَأَوَيْنَهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنَّ مَفَاحِهِمْ لَسُنُوءًا بِالْمُصْبَاةِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾^(١).

الفرح لغة:

الْفَرَحُ نقيض الحُزْن^(٢). قال ثعلب: هو أن يجد في قلبه خِفَةً.

فَرِحَ فَرِحًا، ورجل فَرِحَ وفَرِحَ ومفروح^(٣). ويستعمل في معان:

أحدهما: الأشر والبطر وعليه قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(٤).

والثاني: الرضا وعليه قوله تعالى ﴿كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٥).

(١) سورة القصص، الآية: ٧٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤/٤٩٩) مادة فرح.

(٣) لسان العرب (٢/٥٤١).

(٤) سورة القصص، الآية: ٧٦.

(٥) سورة الروم، بعض آية: ٣٢.

والثالث: السرور وعليه قوله تعالى ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١)(٢).

والمُفْرَحُ: الذي يُفْرَحُ كلما سرَّه الدهرُ، وهو الكثير الفرح (٣).

قال الأزهري: (فالمفروح: الشيء الذي أنا أفرح به، والمفرح: الشيء الذي يُفرحني) (٤).

قال صاحب المصباح المنير: (الفرح لذة القلب بنيل ما يُشتهى وَيُتَعَدَى) (٥).

قال الراغب: (الفرح: انشراح الصدر بلذة عاجلة، وأكثر ما يكون ذلك في اللذات البدئية الدنيوية) (٦). لذا قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (٧).

وقال الجرجاني: (الفرح لذة في القلب لنيل المشتهى) (٨).

انتفاء محبة الله للفرحين:

ورد ذكر انتفاء محبة الله عز وجل لهذه الصفة - الفرح - في سورة القصص، في معرض ذكر الحالة التي وصل إليها قارون، إذ جاء أنه كان من قوم موسى. وعن ابن عباس أنه كان ابن خالته. وقيل إنه كان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة، إلا إنه نافق كما نافق

(١) سورة آل عمران، بعض آية: ١٧.

(٢) المصباح المنير (٢/٦٣٨).

(٣) لسان العرب (٢/٥٤١).

(٤) تهذيب اللغة (٥/٢١).

(٥) المصباح المنير (٢/٦٣٨).

(٦) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٢٨.

(٧) سورة الحديد، بعض آية: ٢٣.

(٨) التعريفات ص ١٦٦.

السامري^(١)، فقد أنعم الله عليه بالمال الوفير والخير الكثير، وقد أعطاه الله عز وجل المال المذخور الذي يثقل حمل مفاتيح خزائنه على العدد الكثير من الأقوياء من الناس، فلم يؤد حق الله في هذا المال الكبير الذي من عليه وإنما أدى إلى البغي، فاستخف الفقراء ولم يرع لهم حق الإيمان، فتجبر وتكبر عليهم وسخط عليهم، ولسوء تصرفه هذا يصدق فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ (٧) ﴿٢﴾. وهذه الحالة يصل إليها كثير من الأغنياء، إذا كثر ماله.

فلم يترك القوم قارون على ما هو عليه من الكبر والبطر، وإنما قاموا بنصحه وأداء الواجب عليهم، فنهوه عن الفرح الذي وصل به إلى هذه الحالة، وقالوا له ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ يقول العلامة الألوسي: (أي لا تبطر والفرح بالدنيا لذاتها مذموم لأنه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترحح حتماً كما قال أبو الطيب^(٣):

أشد الغمّ عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا
ولذلك قال عز وجل: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ والعرب تمدح
بترك الفرح عند إقبال الخير: قال الشاعر^(٤):

ولست بمفراح إذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب
وقال ابن عباس: (كان فرحه ذلك شركاً، لأنه ما كان يخاف معه

(١) التفسير الكبير (١٣/٢٥).

(٢) سورة العلق، الآية: ٧.

(٣) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي، الشاعر الحكيم، ولد بالكوفة، ونشأ بالشام ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس، ت ٣٥٤هـ. الأعلام (١/١١٥)، وأبجد العلوم (٣/٧٣).

(٤) هو هذبة بن خشرم بن كرز، من بني عامر بن ثعلبة، من قضاة: شاعر، فصيح، مرتجل، راوية من أهل بادية الحجاز، ت ٥٥٠هـ. الأعلام (٨/٧٨).

عقوبة الله تعالى^(١).

وعلل سبحانه النهي ههنا بكون الفرح مانعاً من محبته عزّ وجلّ، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾. قال مجاهد رضي الله عنه: (أي: المرحين، الأشرين، البطرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم)^(٢). فهو دليل على كون الفرح بالدنيا مذموماً شرعاً، وإنما قلنا إن الفرح بلذاتها مذموم لأن الفرح بها لكونها وسيلة إلى أمر من أمور الآخرة فغير مذموم، ومحبة الله تعالى عند كثير صفة فعل أي أنه تعالى لا يكرم الفرحين بزخارف الدنيا ولا ينعم جلّ شأنه عليهم ولا يقربهم عزّ وجلّ، والمراد أنه تعالى يبغضهم ويهينهم ويبعدهم عن حضرته سبحانه.

وقال الشيخ بعضهم: إن في نفي محبته تعالى إياهم تنبيهاً على أن عدم محبته تعالى كاف في الزجر عما نهى عنه فما بالك بالبغض والعقاب وهو حسن^(٣).

وقال الشيخ ابن عاشور: (والفرح المنهي عنه هو المفرط منه أي الذي تمحّض للتعلق بمتاع الدنيا ولذات النفس لأن الانكباب على ذلك يميّت من النفس الاهتمام بالأعمال الصالحة والمنافسة لاكتسابها فينحدر به التوغل في الإقبال على اللذات إلى حضيض الإعراض عن الكمال النفساني والاهتمام بالآداب الدينية، فحذف المتعلق بالفعل لدلالة المقام على أن المعنى لا تفرح بلذات الدنيا معرضاً عن الدين والعمل للآخرة كما أفصح عنه قوله: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾^(٤).

وقال الشهيد سيد قطب: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾... فرح الزهو المنبعث عن الاعتزاز بالمال، والاحتفال بالثراء، والتعلق بالكنوز، والابتهاج بالملك والاستحواذ... لا تفرح فرح البطر الذي ينسى المنعم بالمال؛ وينسى نعمته

(١) التفسير الكبير (١٥/٢٥).

(٢) الدر المنثور (٤٣٨/٦).

(٣) روح المعاني (٣١٨/١٠).

(٤) التحرير والتنوير (١٧٨/٢٠).

وما يجب لها من الحمد والشكران، لا تفرح فرح الذي يستخفه المال، فيشغل به قلبه ويطيّر له لبه، ويتناول به على العباد... .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾... فهم يردونه بذلك إلى الله الذي لا يحب الفرحين المأخوذين بالمال، المتباهين، المتناولين بسلطانه على الناس^(١).

قال الإمام ابن الجوزي: (إذا اشتد الفرح التهاب الدم، وذلك يضر، وربما قتل إن لم يعدل، وينبغي للإنسان إذا رأى أسباب الفرح أن يدرج نفسه إليه، فإن يوسف عليه السلام لما التقى بأخيه سأله: هل لك من أب؟ ولم يزل يلاطفه لثلا يفجأه بالسبب المفرح، والفرح ينبغي أن يكون بمقدار ليعدل الحزن، فأما إذا أفرط فإنه دليل على الغفلة القوية، إذ لا وجه للفرح عند العاقل، وإنما يفرح بالطبع لما يفرح، ثم يذكر مصيره وخوف مآله، فينمحي ذلك الفرح، ومتى قويت غفلة الفرح حملت إلى الأشر والبطر، ومن هذا قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ يعني الأشرين الذين خرجوا بالفرح إلى البطر.

وعلاج شدة الفرح بالفكر فيما قد سلف من الذنوب، وفيما بين يدي العبد من الشدائد^(٢).

والعلة في انتفاء محبة الله - عزّ وجلّ - لهذا الصنف من الفرحين، لأن فرحه جرّه إلى البطر فنسى المنعم عليه بالفضل. وهو الله تبارك وتعالى - فلم يقيم بالواجب زهاء الحمد والشكر له، وإنما تباهى بما ملك من أموال مستشعراً بأنها منه ومن عمله وجهده.

الفرح في القرآن:

وردت كلمة الفرح في القرآن الكريم في آيات عديدة، ويمكن إدراجها تحت قسمين:

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٧١٠).

(٢) الطب الروحاني ص ٥٠.

الأول: الفرح المحمود، الذي يحمد عليه صاحبه، وهو: الفرح برحمة الله، والفرح بفضل الله والفرح بنصر الله.

الثاني: الفرح المذموم، وهو الذي يذم عليه صاحبه، وهو محور بحثنا الذي نشير إليه.

صور من الفرح المذموم:

أ - الفرح بتعرض المسلمين إلى السيئة، والمراد بها: (المرض والفقر والهزيمة والانزهاج من العدو وحصول التفرق بين الأقارب، والقتل والنهب والغارة، فبين الله تعالى أنهم يحزنون ويغتمون بحصول نوع من أنواع الحسنه للمسلمين ويفرحون بحصول نوع من أنواع السيئة لهم)^(١). قال تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهَتْ سَوْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾^(٢)...

ب - فرح المخلفون عن انضمامهم إلى جيش المسلمين وتقاعسهم عن الجهاد في سبيل الله. قال سبحانه: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾^(٣) ﴿٨١﴾.

ج - الفرح بالحياة الدنيا وزينتها وما فيها من زُخرف، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾^(٤) ﴿٦٦﴾.

د - الفرح والمرح بغير حق، الذي أتى من عند غير الله وهو الشرك وعبادة الأصنام، قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾^(٥) ﴿٧٥﴾.

(١) التفسير الكبير (٣٤٣/٨).

(٢) سورة آل عمران، بعض آية: ١٢٠.

(٣) سورة التوبة، بعض آية: ٨١.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٢٦.

(٥) سورة غافر، الآية: ٧٥.

هـ - الفرح بالعلم الذي يفضي إلى صاحبه الاستهزاء بعلوم الديانات، قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٨٣) (١).

و - فرح الأحزاب بما لديها والتباهي به، قال سبحانه وتعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَزَعُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٣٢) (٢).

مظاهر الفرح المذموم:

١ - البغي والظلم لمن تحت سلطته وسطوته، وإيخاس الناس حقوقهم، ويتضح ذلك في معاملته لقومه، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَدْرُونَ كَانُوا مِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (٣).

٢ - التكبر والبطر، ونكران نعمة الله عليه وفضله، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغْنَا لَنَا مِنْ مَّا آتَيْنَاكَ قَدْرُونَ إِنَّهُمْ لَدُونَ حَقٍّ عَظِيمٍ﴾ (٧٩) (٤).

٣ - عدم الانتفاع بالموعظة والنصيحة التي تسدى إليه، قال سبحانه على لسان قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (٥).

٤ - نسيان عقاب الله للفرحين وعدم استشعاره، قال تعالى: ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٦).



(١) سورة غافر، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٢.

(٣) سورة القصص، بعض آية: ٧٦.

(٤) سورة القصص، بعض آية: ٧٩.

(٥) سورة القصص، بعض آية: ٧٨.

(٦) سورة القصص، بعض آية: ٨١.

المبحث التاسع: الجهر بالسوء

قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (١).

الجهر لغة:

قال ابن فارس: (الجيم والهاء والراء أصل واحد، وهو إعلان الشيء وكشفه وعلوه) (٢).

يُقال: جَهَرْتُ بالكلام أعلنتُ به. ورجلٌ جَهِير الصوت: أي عاليه (٣).

ورجلٌ جَهْورِي الصوت: رفيعه، ويُقال: جاهرني فلانٌ جِهارةً، أي عالني مُغالبَةً؛ والجَهْر: العلانية.

والجَهْورُ: هو الصوت العالي (٤).

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤٨٧/١) مادة جهر.

(٣) انظر تهذيب اللغة (٥٠/٦)، ولسان العرب (١٥٠/٤)، ومعجم مقاييس اللغة (٤٨٧/١).

(٤) تهذيب اللغة (٥٠/٦)، ولسان العرب (١٤٠/٤).

يُقال: جَهَرَ بالقول إذا رفع به صوته، فهو جَهيرٌ، وأجهرَ، فهو مُجهرٌ إذا عرف بشدة الصوت، وجَهَرَ الشيء: علَنَ وبدا.

وجَهَرَ بكلامه ودعائه وصوت وصلاته وقراءته يَجْهَرُ جَهراً وجهاراً^(١).

والجهر اصطلاحاً:

قال الراغب: (الجهر: يُقال لظهور الشيء بإفراط حاسة البصر أو حاسة السمع)^(٢).

أما البصر فنحو: رأيتَه جهاراً، وقال تعالى: ﴿كُنْ تُؤْمِنُ لَكَ حَتَّىٰ رَأَىٰ اللَّهُ جَهْرَةً﴾^(٣).

وأما السمع، فمنه قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾^(٤).

والسوء لغة:

سأئه يسؤه سؤءاً وسؤاءة وسواية وسوائية ومساءة ومساية ومساء ومساية: فعل به ما يكره، نقيض سره.

والاسم: السؤء بالضم^(٥).

والسوء اصطلاحاً:

قال الراغب: (السؤء: كل ما يُغمُّ الإنسان من الأمور الدنيوية، والأخروية، ومن الأحوال النفسية والبدنية، والخارجية، من فوات مالٍ،

(١) لسان العرب (٤/١٥٠).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٠٨.

(٣) سورة البقرة، بعض آية: ٥٥.

(٤) سورة الرعد، بعض آية: ١٠.

(٥) لسان العرب (١/٩٥).

وجاه، وقد حميم^(١).

انتفاء محبة الله للمجاهرين بالسوء:

جاء ذكر عدم محبة الله عز وجل لهذه الصفة - الجهر بالسوء من القول - في آية واحدة وفي سورة النساء فقط، بعد أن بين الله عز وجل مصير المنافقين وهو النار إلا من تاب منهم ولحق بسبيل المؤمنين فإن له أجراً عظيماً من الله عز وجل.

والمأمل لهذه الآية الكريمة يجد فيها اختلافاً عن بقية الآيات التي ذكر الله فيها الصفات التي لا يحبها في عبادة المؤمنين، ولعل الفرق يتضح بأن الآية التي بين أيدينا تصدرت بكلمة: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ﴾ بخلاف بقية الآيات التي نجد فيها كلمة - لا يحب الله - في ختام الآية.

ولعل في ذلك علة أو سبباً من أجله تقدمت كلمة - لا يحب الله وكانت في صدر الآية - وأرى أنه:

أولاً: إن الصفة التي لا يحبها الله عز وجل وجاء ذكرها في هذه الآية الكريمة تحتاج إلى توضيح وفيها استثناء، فلذا بدأ بها وجاءت في صدر الآية كذلك.

ثانياً: احتواء الصفة على عدة كلمات - الجهر بالسوء من القول، جعل موقعها في صدر الآية أفضل من أن تكون في ختام الآية، وهذا ما لا يناسب الصيغ القرآنية.

ثالثاً: جاء ختام الآية بذكر صفتين من صفات الله تبارك وتعالى، وهي السميع العليم، وهي مناسبة للصفة التي لا يحبها الله عز وجل - الجهر بالسوء من القول.

يبين الله عز وجل في هذه الآية الكريمة انتفاء محبته لمن يجهر بالسوء من القول، فيقول العلامة الألوسي: (في قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٤١.

بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ ﴿﴾ عدم محبته سبحانه لشيء كناية عن غضبه، والباء متعلقة بالجهر، - والجهر بالشيء - الإعلان به، والإظهار، ولعل المراد هنا الإظهار وإن لم يكن برفع صوت أي لا يحب الله سبحانه أن يعلن أحد بالسوء كائناً من القول^(١).

وقال الشيخ المراغي: (المعنى - أنه تعالى لا يحب من عباده أن يجهروا فيما بينهم بذكر العيوب والسيئات لما في ذلك المفاصد الكثيرة التي أهمها:

١ - إنه مجلبة للعداوة والبغضاء بين من يجهر بالسوء ومن ينسب إليه هذا السوء، وقد يصل الأمر إلى هضم الحقوق وسفك الدماء.

٢ - إنه يؤثر في نفوس السامعين تأثيراً ضاراً بهم، فقد جرت العادة بأن الناس يقتدي بعضهم ببعض، فمن رأى إنساناً يسب آخر لضغائن بينه وبين الآخر أو لكرهته إياه قلده في ذلك، ولا سيما إذا كان من الأحداث الذين يغلب عليهم التقليد أو من طبقة دون طبقة، إذ عامة الناس يقلدون خواصهم، فإذا ظهرت المنكرات في الخاصة لا تلبث أن تصل إلى العامة وتفشو بينهم.

وكثير من الناس يجهل مبلغ تأثير الكلام في القلوب فلا ينزهون ألسنتهم عن السوء من القول ولا أسماعهم عن الإصغاء إليه^(٢).

وقال الشهيد سيد قطب: (في قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ ففي هذه الحالة يكون الوصف بالسوء - ويشمل ما تعبر عنه المصطلحات القانونية بالسب والقذف - انتصاراً من ظلم، ودفعاً لعدوان، ورداً لسوء بذاته قد وقع بالفعل على إنسان بذاته، وتشهيراً بالظلم والظالم في المجتمع؛ لينتصف المجتمع للمظلوم، وليضرب على يد الظالم، وليخشى الظالم عاقبة فعله، فيتردد في تكراره... والجهر بالسوء عندئذ

(١) روح المعاني (٣/١٧٧).

(٢) تفسير المراغي (٤/٦).

يكون محدود المصدر - من الشخص الذي وقع الظلم - مُحدداً السبب - فهي الظلم المعين الذي يصفه المظلوم - موجهاً إلى شخص بذاته هو الذي وقع منه الظلم... عندئذ يكون الخير الذي يتحقق بهذا الجهر مبرراً له؛ ويكون تحقيق العدل والنصفة هو الهدف لا مطلق التشهير.

وقال إن الإسلام يحمي سمعة الناس - ما لم يظلموا - فإذا ظلموا لم يستحقوا هذه الحماية، وأذن للمظلوم أن يجهر بكلمة السوء في ظالمه، وكان هذا هو الاستثناء الوحيد عن كف الألسنة عن كلمة السوء^(١).

وبيان الله عزّ وجلّ عدم محبته لمن يجهر بالسوء من القول لا يعني أن الأسرار به جائز وذلك لقوله سبحانه وتعالى في نهيه عن النجوى ﴿فَلَا تَنَجَّوْا بِالْأَيْمِ وَالَّذِينَ وَالْمُدُونِ وَمَقْصِبَاتِ الرَّسُولِ﴾^(٢)، وإنما خصّ سبحانه وتعالى الجهر دون الأسرار، لأن الجهر بالسوء أشدّ ضرراً من الأسرار به، لأن ضرره وفساده يفشو في جمهرة الناس ويعم سائر الطبقات.

حكم الجهر بالسوء من القول:

يباح للإنسان أن يجهر بالسوء من القول إذا كان مظلوماً لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾.

إلا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم، فقال عنه الحسن: هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه، ولكن ليقول: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج حقي، اللهم حل بينه وبين ما يريد من ظلمي. فهذا دعاء في المدافعة وهي أقل منازل السوء^(٣).

(١) في ظلال القرآن (٧٩٦/٢).

(٢) سورة المجادلة، بعض آية: ٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣/٦).

رأي المفسرين في المباح منه:

قال ابن عباس: المباح لمن ظلم أن يدعو على من ظلمه، وإن صبر فهو خير له، فهذا إطلاق على نوع الدعاء على الظالم.

وقال السدي: لا بأس لمن ظلم أن ينتصر ممن ظلمه بمثل ظلمه ويجهر له بالسوء من القول. وقال ابن المستنير: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ معناه: إلا من أكره على أن يجهر بسوء من القول كفر أو نحوه فذلك مباح^(١).

ويجمع ذلك العلامة الألوسي فيقول: في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ (أي) إلا جهر من ظلم فإنه غير مسخوط عنده تعالى، وذلك بأن يدعو على ظالمه أو يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء^(٢).

وختم الله سبحانه وتعالى الآية بما يناسب أولها فقال جل شأنه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾.

قال الرازي: (فيه تحذير للظالم حتى لا يظلم، وللمظلوم من التعدي في الجهر المأذون فيه، يعني فليتك الله ولا يقل إلا الحق ولا يقذف مستوراً بسوء فإنه يصير عاصياً لله بذلك، وهو تعالى سميع لما يقوله عليم بما يضمرة)^(٣).

الجهر بالقرآن:

ورد في القرآن الكريم مواضع محمودة ويُجبد للإنسان أن يجهر في هذا الأمر، ووردت أيضاً مواضع مذمومة لا يجبد للإنسان أن يجهر بها.

فمن الجهر المحمود:

١ - الجهر بالدعوة، بعد أن كانت دعوة الرسول ﷺ قومه إلى توحيد الله

(١) المرجع السابق.

(٢) روح المعاني (٢/٦).

(٣) التفسير الكبير (١١/٢٥٤).

- الإسلام - سرّاً لمدة ثلاث سنوات، أمره الله سبحانه وتعالى بالجهر بالدعوة إلى الله، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١)، وقال تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام بعد أن أسر لهم القول، ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾^(٢).

٢ - الجهر بالإنفاق: فيمدح الله عزّ وجلّ عباده المؤمنين الذين ينفقون في سبيل الله بالسرّ رغبة في الإخلاص وخوفاً من الرياء، وكذلك ينفقون في سبيل الله بالعلانية حتى يقتدى بهم في فعل الخير، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾^(٣).

٣ - الجهر بالقول: وذلك بذكر الله عزّ وجلّ سواء بتلاوة القرآن في الصلاة - إن كان إماماً -، أو بذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾.

ومن الجهر المذموم:

- الجهر بالسوء من القول: وذلك بذكر عيوب وسيئات الآخرين، قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾^(٤).

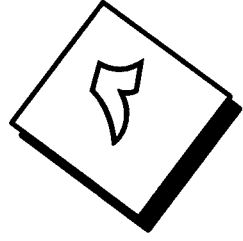


(١) سورة المائدة، بعض آية: ٦٧.

(٢) سورة نوح، الآية: ٨.

(٣) سورة البقرة، بعض آية: ٢٧٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٤٨.



الباب الثاني الحب البشري حقيقته، والمحمود منه والمذموم والمنفي

ويتضمن تمهيداً وأربعة فصول:

الفصل الأول: الحب البشري بين الفطرة والاكْتساب.

الفصل الثاني: الحب البشري المحمود.

الفصل الثالث: الحب البشري المذموم.

الفصل الرابع: الحب البشري المنفي.

تمهيد

الحمد لله نحمده ونستعين به ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.
أما بعد...

الإنسان أكرم مخلوقات الله على وجه الأرض، وهو محور هذا الكون وأساس وجوده، وله سخرت المخلوقات، فبيده عمّر ما في الأرض من عمران، وعليه ألقيت الأمانة، فتحمل أعباءها بعد أن اعتذرت أكبر المخلوقات عن حملها، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٦) (١)، فهذا الجسد الإنساني الصغير بحجمه الكبير بعقله وقلبه تحكمه مجموعة من الانفعالات والعواطف والقيم والمبادئ فلا يستطيع إن ينفك عنها في حياته.

ومن أعظم العواطف التي تختلج نفس الإنسان هي عاطفة الحب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكثر وأكبر أصوله وأجلّ قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان، والدين، فإن كل حركة في الوجود وإنما تصدر عن محبة، إما عن محبة محمودة، أو

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٦.

عن محبة مذمومة^(١).

فتمّ تسليط الضوء في هذا الباب على الحب البشري الذي ورد في كتاب الله عزّ وجلّ.



(١) التحفة العراقية، ص ٦٤.

حقيقة الحب

ولكي تتحقق المعرفة لهذا البحث لا بدّ من معرفة حقيقة المحبة في نفسها، وقد بيّن الإمام الغزالي حقيقتها بتلك الأصول^(١):

الأصل الأول: أنه لا يتصور إلا بعد معرفة وإدراك، إذ لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه، ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك.

ثم المدركات في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذّه، وإلى ما ينافيه وينافره ويؤلمه، وإلى ما لا يؤثر فيه إيلاّم وإلذاذ.

فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك، وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة لا يوصف بكونه محبوباً ولا مكروهاً.

فإذن كل لذيد محبوب عند الملتذ به، ومعنى كونه محبوباً أن في الطبع ميلاً إليه، ومعنى كونه مبغوضاً أن في الطبع نفرة عنه.

الأصل الثاني: أن الحب لما كان تابعاً للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب المدركات والحواس فلكل حاسة إدراك لنوع من المدركات، ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات، وللطبع بسبب تلك اللذة ميل

(١) إحياء علوم الدين (٤/٢٩٦-٢٩٩).

إليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم.

فلذة العين في الإبصار، وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة، ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة، ولذة الشم في الروائح الطيبة، ولذة الذوق في الطعوم، ولذة اللمس في اللين والنعومة. عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»^(١). فسمى الطيب محبوباً ومعلوم أنه لا حظ للعين والسمع فيه، بل للشم فقط، وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهن إلا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع، وسمى الصلاة قرة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم أنه ليس تحظى بها الحواس الخمس، بل حس سادس مظهره القلب لا يدركه إلا من كان له قلب.

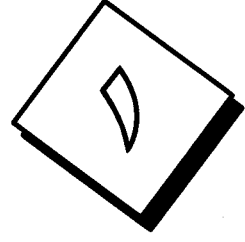
الأصل الثالث: أن الإنسان لا يخفي أنه يحب نفسه ولا يخفي أنه قد يحب غيره لأجل نفسه، ولتوضيح ذلك: أن المحبوب الأول عند كل حي: نفسه وذاته، ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلاً إلى دوام وجوده، ونفرة عن عدمه وهلاكه، لأن المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب، وأي شيء أتم ملاءمة من نفسه ودوام وجوده؟ وأي شيء أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه؟ فالمحبوب الأول للإنسان ذاته، ثم سلامة أعضائه، ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقائه. فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها، فالإنسان يحب هذه الأشياء لا لأعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها.

الأصل الرابع: معنى الحسن والجمال، ربما يظن المرء أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون، وكون البياض مشرباً بالحمرة وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان، فإن الحسن الأغلب على الخلق حسن الإبصار، وأكثر التفاتهم إلى صور الأشخاص، فيظن أن ما ليس مبصراً ولا متخيلاً ولا متشكلاً ولا ملوناً

(١) رواه أحمد في المسند (١٢٨/٣) حديث صحيح.

مقدر فلا يتصور حسنه، وإذا لم يتصور حسنه لم يكن في إدراكه لذة فلم يكن محبوباً. وهذا خطأ ظاهر فإن الحسن ليس مقصوراً على مدركات البصر ولا كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال، وإن كان الحاضر بعضها فإن له من الحسن والجمال بقدر ما حضر. ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغير ضده، فلا يحسن الإنسان بما يحسن به الفرس، ولا يحسن الحظ بما يحسن به الصوت، وكذلك سائر الأشياء.





الفصل الأول

الحب البشري بين الفطرة والاكتساب

ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: حب الإيمان.

المبحث الثاني: حب النفس والأهل والولد.

المبحث الثالث: حب المال.

المبحث الرابع: حب العاجلة.



المبحث الأول: حب الإيمان

الإيمان هو التصديق بما جاء به المصطفى ﷺ، من القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة، وهو الأساس المتين الذي يعين النفس البشرية على الصمود والثبات إزاء الفتن والبلايا التي تتعرض لها في هذه الحياة الدنيا.

فالنفس المؤمنة تعيش في معية الله عز وجل، راضية بقضاء الله وقدره، ثابتة في الشدائد. ذات بذلٍ وتضحية، وحلم وصفاء، وصبر وإخاء، وقوة وحياء، ترتقي وتعلو بإيمانها ويجملها العلم والمعاملة الحسنة في تعاملها.

قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (٧) (١).

فما الإيمان والأثر العظيم والكبير على هذه النفس البشرية.

الإيمان لغة:

الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سُكون القلب؛ والآخر التصديق (٢).

(١) سورة الحجرات، الآية: ٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة (١/١٣٣) مادة أمن.

والإيمانُ ضد الكفر. والإيمان: بمعنى التصديق، ضده التكذيب^(١).
يقال: آمَنَ به قومٌ وكذب به قومٌ.

وأمنةٌ: بالفتح يصدّق ما سَمِعَ ولا يكذّبُ بشيءٍ يثق بالناس^(٢).

قال الزجاج: الإيمانُ إظهارُ الخضوعِ والقبولِ للشريعةِ ولما أتى به النبي ﷺ، واعتقاده وتصديقه بالقلب، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمِنٌ مُسلمٍ غير مُرتابٍ ولا شاكٍ، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجبٌ عليه لا يدخله في ذلك ريبٌ^(٣).

وقال الأزهري: (وأما «الإيمان» فهو مصدر آمَنَ يُؤمِنُ إيماناً، فهو مؤمِنٌ)^(٤).

واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمانَ معناه التصديق^(٥).

والأصلُ في الإيمان الدخولُ في صدقِ الأمانة التي ائتمنه الله عليها، فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه فقد أدى الأمانة وهو مؤمِنٌ، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤدٍ للأمانة التي ائتمنه الله عليها وهو مُناقضٌ^(٦).

الإيمان شرعاً:

قال مالك والشافعي وأحمد: هو تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان.

وقال أبو حنيفة: إنه إقرار باللسان وتصديق بالجنان.

(١) لسان العرب (٢١/١٣).

(٢) تهذيب اللغة (٥١٠/١٥)، ومعجم مقاييس اللغة (١٣٤/١).

(٣) تهذيب اللغة (٥١٣/١٥)، ولسان العرب (٢٣/١).

(٤) تهذيب اللغة (٥١٣/١٥).

(٥) لسان العرب (٢٣/١).

(٦) تهذيب اللغة (٥١٤/١٥)، ولسان العرب (٢٣/١).

وقال الكرامية^(١): الإيمان هو الإقرار باللسان^(٢).

قيل: من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق، ومن أخل بالشهادة فهو كافر.

والإيمان على خمسة أوجه: إيمان مطبوع، وإيمان مقبول، وإيمان معصوم، وإيمان موقوف، وإيمان مردود.

فالإيمان المطبوع هو إيمان الملائكة.

والإيمان المعصوم هو إيمان الأنبياء.

والإيمان المقبول هو إيمان المؤمنين.

والإيمان الموقوف هو إيمان المبتدعين.

والإيمان المردود هو إيمان المنافقين^(٣).

مناسبة الآية:

وعن أبي نضرة قال: قرأ أبو سعيد الخدري: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ قال: هذا نبيكم ﷺ يوحى إليه، وخيار أئمتكم لو أطاعهم في كثير من الأمر لعتتوا فكيف بكم اليوم؟^(٤).

قال الإمام الرازي في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ (يعني لا يخفى عليكم وجوب مراجعته، فإن خفي عليكم كونه فيكم، فاعلموا أنه فيكم فيجعل حسن المراجعة أظهر من كونه فيهم حيث ترك بيانه وأخذ في بيان كونه فيهم، وهذا من المعاني العزيزة التي توجد في المجازات ولا توجد في الصريح.

(١) أصحاب أبي عبدالله محمد بن كرام، كان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والنشيه. موسوعة الملل والنحل ص ٤٦.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٤٥٩/٢).

(٣) التعريفات ص ٥٠.

(٤) رواه الترمذي في السنن: كتاب تفسير القرآن - باب ومن سورة الحجرات (٣٨٨/٥) ح (٣٢٦٩) بإسناد حسن صحيح غريب.

وإذا كان المراد من قوله ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ بيان كونه غير مطيع لأحد بل هو متبع للوحي قال ﴿فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ ليعلم أنه قد يوافقهم ويفعل بمقتضى مصلحتهم تحقيقاً لفائدة قوله تعالى: ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١) ﴿لَعَنْتُمْ﴾ لوقعتهم في شدة أو لمتهم به^(٢).

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ أَلَيْمَنَّ﴾ فعن رفاة بن رافع الزرقي قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال النبي ﷺ: «استوا حتى أثنى على ربي»، فصاروا خلفه صفوفاً فقال: «اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لما هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما بعدت، ولا مُباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان. واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أتوا الكتاب يا إله الحق^(٣).

قال العلامة أبو السعود: (ولكنه تعالى جعل الإيمان محبوباً لديكم حتى رسخ حبه فيها ولذلك أتيتم بما يليق به من الأقوال والأفعال، ﴿وَكَّرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه من آثارهما وأحكامهما ولما كان في التحبب والتكريه معنى إنهاء المحبة والكراهة وإيصالهما إليهم استعمالاً بكلمة إلى ﴿أَوْلَيْتَكَ هُمْ الرَّشِدُونَ﴾ أي

(١) سورة آل عمران، بعض آية: ١٥٩.

(٢) التفسير الكبير (١٠٢/٢٨).

(٣) رواه أحمد في المسند (٤٢٤/٣) بإسناد صحيح.

السالكون إلى الطريق السوي الموصل إلى الحق^(١).

ويقول الإمام الرازي في قوله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ﴾ (أي قربه وأدخله في قلوبكم ثم زينه فيها بحيث لا تفارقونه ولا يخرج من قلوبكم، وهذا لأن من يحب أشياء فقد يمل شيئاً منها إذا حصل عنده وطال لبثه والإيمان كل يوم يزداد حسناً، ولكن من كانت عبادته أكثر وتحمله لمشاق التكليف أتم، تكون العبادة والتكاليف عنده ألد وأكمل، ولهذا قال في الأول ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ﴾ وقال ثانياً ﴿وَزَيَّنَّا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ كأنه قربه إليهم ثم أقامه في قلوبهم^(٢).

وقال الشيخ ابن عاشور: (أي حبب إليكم الإيمان الذي هو الدين الذي جاء به الرسول ﷺ وهذا تحريض على التسليم لما يأمر به الرسول ﷺ وهو في معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٣)، لذا فكونه حبب إليهم الإيمان إدماج وإيجاز. والتقدير: ولكن الله شرع لكم الإسلام وحببه إليكم أي دعاكم إلى حبه والرضى به فامتثلتم^(٤).

ويقول الشيخ المراغي: (جعل الله الإيمان أحب الأشياء إليهم، فلا يقع منهم إلا ما يوافقه ويقتضيه في الأمور الصالحة وترك التسرع في الأخبار، وكره إليهم هذه الأمور الثلاثة: الكفر والفسوق والعصيان، وأن الإيمان الكامل إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، فكراهة الكفر في مقابلة محبة الإيمان، وتزيينه في القلوب هو التصديق بالجنان، والفسوق هو الكذب في مقابلة الإقرار باللسان، والعصيان في مقابلة العمل بالأركان)^(٥).

(١) إرشاد العقل السليم (١٢٠/٨).

(٢) التفسير الكبير (١٠٢/٢٨).

(٣) سورة النساء، بعض آية: ٦٥.

(٤) التحرير والتنوير (٢٦٣/٢٨).

(٥) تفسير المراغي (١٢٨/٢٦).

وقال الشهيد سيد قطب: (واختيار الله لفريق من عباده، ليشرح صدورهم للإيمان، ويحرك قلوبهم إليه، ويزينه لهم فتنهفو إليه أرواحهم، وتدرك ما فيه من جمال وخير... هذا الاختيار فضل من الله ونعمة، دونها كل فضل وكل نعمة، حتى نعمة الوجود أصلاً، تبدو في حقيقتها أقل من نعمة الإيمان وأدنى)^(١).

أركان الإيمان:

بيّنت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنّة، أركان الإيمان وهي ستة أمور لا خلاف بين العلماء فيها وهي كالتالي:

- ١ - الإيمان بالله عزّ وجلّ.
- ٢ - الإيمان بالملائكة.
- ٣ - الإيمان بالأنبياء والرسول.
- ٤ - الإيمان بالكتب.
- ٥ - الإيمان باليوم الآخر.
- ٦ - الإيمان بالقضاء والقدر.

فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ لَآ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَعْرَفْنَاكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾^(٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَأَلِكْتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلٰى رَسُوْلِهِ وَالْكِتٰبِ الَّذِيْ اُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيْدًا ﴿١٣١﴾^(٣).

وفي حديث جبريل المشهور، حين جاء إلى النبي ﷺ في صورة أعرابي يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، قال ﷺ عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»

(١) في ظلال القرآن (٦/٣٣٤٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

ضمن حديث طويل^(١).

زيادة الإيمان ونقصانه:

بيّنت النصوص الشرعية أن الإيمان يزيد وينقص:

فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَد جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخَشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾^(٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»^(٥).

وعن أبي سعيد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منك منكرأ فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»^(٦).

ومن أقوال الصحابة الدالة على ذلك، ما ورد عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن

(١) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الإيمان - باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان (١٥٢/١) ح (٥٠).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٤) سورة الفتح، بعض آية: ٤.

(٥) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الإيمان - باب الحياء شعبة من الإيمان (٦/٢).

(٦) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الإيمان - باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢٢/٢).

فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص^(١).

أسباب زيادة الإيمان:

- ١ - العلم: فإن الاستزادة منه سبب في زيادة اليقين والمعرفة، قال جندب بن عبدالله وابن عمر وغيرهما: (تعلمنا القرآن فزدنا إيماناً).
والمقصود في هذا المقام العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم برسول الله ﷺ وما جاء به من الأخلاق والمناهج والتشريعات، وسيرته في عبادته وجهاده ومعاملته، والعلم بكتاب الله وما فيه من الأخبار والأمثال والحكم والعبر والفرقان.
- ٢ - العمل: فإن الإكثار من الأعمال الصالحة والمبادرة إلى النوافل، عامل مهم لزيادة اليقين، وقوة الإيمان بالله عزّ وجلّ، وبالإقلال من العمل والغرق في بحر المعاصي والشهوات مؤشر خطير إلى ضعف الإيمان.
- ٣ - الذكر والتفكير: والمراد بالأول ذكر الله عزّ وجلّ بصفاته وما يليق بجلاله وعظمته، وتلاوة آياته، فإن ذلك يديم إيصال القلب بالخالق، فيزيد إيمانه بربه. وقلته تورث النسيان والغفلة عن الله عزّ وجلّ.
والمراد بالفكر التأمل بمخلوقات الله عزّ وجلّ، والتفكير بقدرته الهائلة على خلق هذا الكون العجيب المنسجم البديع، وهذا يدفع العبد إلى استشعار عظمة الله وقدرته، وهذا الشعور يزيد من إيمان العبد بخالقه^(٢).



(١) شرح العقيدة الطحاوية (٤٥٩/٢).

(٢) الإيمان ص ١٢٠، ١٢١ بتصرف.

المبحث الثاني: حب النفس والأهل والولد

جبلت النفس البشرية على نوع من الغرائز الفطرية الطبيعية التي لا تستطيع الفكاك عنها، ولا ينازعها أحد في ذلك وهي حب الإنسان لنفسه والديه وولده وزوجه وعشيرته. وهذه أمور تُتَّبَعُ من الإنسان دون حاجة إلى دوافع لإخراجها، ويلحظها الآخرون دون حاجة إلى شواهد لإثباتها.

وقد بين الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز أن الإنسان يحب والديه وأبناءه وإخوانه وزوجته وعشيرته وأمواله وتجارته ومسكنه، ولكن يجب أن لا يعلو هذا الحب على محبة الله تعالى ورسوله ﷺ والجهاد في سبيله، وإنما تكون محبة الله ورسوله والجهاد في المرتبة الأولى ومن ثم حب هذه الأصناف في المرتبة الثانية.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ رَضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِمَّنْ أَلَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (١).

وقد قسّم الله عزّ وجلّ هذه الأصناف التي يحبها الإنسان إلى قسمين:

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

الأول: الذي يألف المرء البقاء معهم، ولا يستطيع الفكاك منهم وهم من بني جنسه.

والثاني: ما يمتلكه المرء في هذه الحياة، وهو أحد مصادر الراحة والسعادة له في هذه الدنيا.

فالآية الكريمة تقرر حب المرء لوالديه وأبنائه وإخوانه وأزواجه وعشيرته وهو محور موضوعنا في هذا المبحث، وهو حب الإنسان الفطري لهذه الأصناف المذكورة.

أولاً: حب الذات:

يرتبط حب الذات ارتباطاً وثيقاً بدوافع حفظ الذات، فالإنسان يحب أن يحيى وينمي إمكانياته ويعزز قدراته ويحقق ذاته، ويحب كل سبيل يوصله إلى الخير والأمن والسعادة، ويكره كل ما يعكر صفو حياته ويجلب له الأذى والضرر^(١).

فكل ما يعمله الإنسان في هذه الدنيا من خير أو شر نتيجة لحيته لذاته، فإذا أراد أن يعلو بذاته ويرتقي بها فعل الخير بكل ما تحمل هذه الكلمة من معاني وعلى اختلاف صورته، وإذا أراد أن يشبع رغباته وشهواته بغير طريق الحق اتجه إلى الشر حتى يلبي حاجة هذه الرغبات والشهوات فنجد: يسرق أو يكذب أو يزني أو يشرب الخمر وغيره، وقد يكون ذلك عن جهل منه في كيفية إشباع هذه الحاجات.

وقد بين الخليفة عمر بن الخطاب، مدى حبه لنفسه وذلك في الحديث الذي يرويه الإمام أحمد، عن زهرة بن معبد عن جده^(٢) قال: كنا مع رسول الله ﷺ، وهو أخذ بيده عمر بن الخطاب فقال: «والله يا

(١) القرآن وعلم النفس ص ٨٣ بتصرف.

(٢) عبدالله بن هشام بن زهر بن عثمان بن عمرو بن كعب التميمي، روى عن النبي ﷺ، ودعا له النبي ﷺ بالبركة وعاش إلى خلافة معاوية. تهذيب التهذيب (٦/٥٨).

رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي»، فقال رسول الله: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه»، فقال عمر: «فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي»، فقال رسول الله: «الآن يا عمر...»^(١).

ثانياً: حب الوالدين:

يأتي حب الإنسان لوالديه في المرتبة الثانية بعد حبه لنفسه، وللوالدين شأن كبير في حياة الإنسان، فبهما خرج إلى الحياة، وبأيديهما تربى ونشأ، منذ طفولته اليانعة، وبعلو أخلاقهما تحلى بالمكارم، وباستنارة أفكارهما نشأ على التوازن، فهما مصدر أمنه واستقراره، وثباته ورفقه وعطائه.

فلا ينفك عنهما في الرعاية وهو صغير، ولا عن إرشادهما وهو كبير، ففي جميع المراحل التي يمر بها من عمره هو في حاجة إلى والديه.

والأم تفوق الأب في الحب والصحبة، وقد بين ذلك المصطفى ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله، من أحق بحسن صحابتي؟» قال: «أمك». قال: «ثم من؟» قال: «أمك». قال: «ثم من؟» قال: «أمك». قال: «ثم من؟» قال: «أمك». وذلك لتحمل الأم كثيراً من المصاعب والمشاق منذ تكوينه وهو جنين في رحمها، من حمل وولادة، وسهر ورضاعة، وتربية ورعاية، قد فاقت في عطائها الأب فارتقت عنه، وللأب منزلة عظيمة أيضاً، فهو الذي حُص بالذكر في الآية، وهو مصدر الحماية والصيانة، فإذا أخفق أعانه، وإذا نجح شد من أزره، وإذا ظلم أخذ بحقه، وفوق ذلك شعور الشرف، فهو يشرف بشرفه، ويحقر بخسته.

ولكن هذا الحب للوالدين يجب أن لا يعلو حب الله ورسوله.

(١) رواه أحمد في المسند (٤/٣٣٦).

(٢) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الأدب - باب من أحق الناس بحسن الصحبة (٤٩٢/١٠) ح (٥٩٧١).

ثالثاً: حب الأبناء:

هو حب فطري وغريزي، ينشأ من عاطفة الأمومة وعاطفة الأبوة، فهو امتداد لهما في هذه الحياة، فلا بد أن يحرصا عليه ويقوما برعايته منذ نعومة أظفاره.

قال السيد محمد رشيد رضا: (حب الوالد للولد أحر وأقوى وأنمى وأبقى من عكسه، وهو أشد شعوراً بمعنى كون ولده بضعة منه، وكون وجوده مستمداً من وجوده، ويشعر ما لا يشعر من معنى كونه نسخة ثانية منه يرجى لها من البقاء ما لا يرجى للنسخة الأولى، فهو يحرص على بقائه كما يحرص على نفسه أو أشد، ويحرم نفسه من كثير من الطيبات إيثاراً له بها في حاضر أمره ومستقبله، ويكابد الأهوال ويركب الصعاب في سبيل السعي والادخار له، فعاطفة البنوة ونعرتها من أقوى غرائز الفطرة، ناهيك بما ينميها في النفس من قيام الوالد بشؤون الولد في التربية والتعليم وما يحدثه ذلك من عواطف في الحال، والذكريات والاستقبال، وكونه مناط الآمال^(١))، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الدُّنْيَا﴾^(٢).

رابعاً: حب الإخوان:

الأخوة عضد للإنسان وساعده الأيمن في مجريات هذه الحياة، يوجهون الصغير ويوقرون الكبير، ويعينون الضعيف منهم حتى يقوى ويعززون الكبير حتى يثبت.

ويذكر السيد محمد رشيد رضا في تفسيره قائلاً: (والأخ صنو أخيه منبتهما واحد ودمهما واحد، وورائتهما النفسية والجسدية تتسلسل من أرومة واحدة، وإن تفاوتتا فيها، وكل منهما يشعر بالاعتزاز بعزة الآخر إلا أن يفسد الحسد ويحفظ من ذكريات الطفولة والصبا ما له سلطان عظيم على النفس، وتأثير كبير على أصرة الرحمة والحب، وما زال بيوت ذوي الفطرة السليمة

(١) تفسير المنار (٢٠٤/١٠).

(٢) سورة الكهف، بعض آية: ٤٦.

والأخلاق العالية يحبون إخوتهم كحبهم أنفسهم وأولادهم، ويوقرون كبيرهم توقيرهم لأبيهم، ويرحمون صغيرهم رحمتهم لأبنائهم).

وقد تسامى هذا الحب الأخوي واعتلى شأنه في موسى عليه السلام وأخيه هارون حين طلب موسى عليه السلام من ربه أن يسند الرسالة إلى أخيه هارون معه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (٢٤) (١).

خامساً: حب الزوجة:

حب الزوجة ضرب خاص يختلف عن الضروب السابقة، لأنه حب إشباع غريزة وإطفاء شهوة، وتحقيق رغبة في النسل، قال صاحب تفسير المنار: (فهو الذي يسكن به اضطراب النفس من ثورة الطبيعة التي تهيجها داعية النسل، وغريزة بقاء النوع، وهو الذي يتحد به بشران فيكون كل منهما متمماً لوجود الآخر ينتجان باتحادهما بشراً مثلهما) (٢). قال تعالى: ﴿وَمَنْ ءَابَيْتِيهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ (٤).

وهذا هو الحب بالدافع الجنسي الذي يجب أن يشبع بالطريق المشروع وهو الزواج، وأن لا يعتلي هذا الحب على حب الله عز وجل ورسوله ﷺ، وألا يكون سبباً في صرف الإنسان عن الجهاد، كما حصل لبعض الصحابة حين تخلف عن غزوة تبوك، وألا يكون سبباً في هجران الوالدين

(١) سورة القصص، الآية: ٣٤.

(٢) تفسير المنار (٢٠٦/١٠).

(٣) سورة الروم، بعض آية: ٢١.

(٤) سورة آل عمران، بعض آية: ١٤.

وقطيعتهما، وتعكير العلاقة بين الإخوان.

وإنما يكون حباً متوازياً معتدلاً يعمل على استمرار التعاون والتآلف والانسجام ليس بين الزوجين فقط وإنما بين الأسرتين معاً.

سادساً: حب العشيرة:

كان في الجاهلية يعتز الإنسان بعشيرته، ويقوم بنصرتها سواء أكانت على حق أم على باطل، وهي ما زالت موجودة في وقتنا الحالي في بعض القبائل البدوية، ولكن نسبتها قلت عن السابق، وذلك بسبب الفهم الصحيح للدين.

قال السيد محمد رشيد رضا: (حب العشيرة حب عصبية وتعاون واعتزاز، وولاية ونصر في القتال، ويكون على أشده في أهل البداوة، ومن على مقربة منهم من أهل الحضارة، وقد أضعف الإسلام هذا النوع من الحب والولاية بالمساواة بين المسلمين في أخوة الإسلام. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١).

ويجب أن يكون حب الإنسان لهذه الأصناف المذكورة باعتدال وتوازن دون إفراط ولا تفريط، وأن يكون بعد حب الله ورسوله، وأن لا يقدم على الجهاد في سبيل الله.



(١) سورة الحجرات، بعض آية: ١٠.

المبحث الثالث:

حب المال

المال هو عصب الحياة، وهو صمام الأمان للإنسان في الدنيا المتقلبة الحال، بظروفها وأمورها، وأحوالها وحوادثها.

وقد جبلت النفس البشرية على حب المال لكي تنعم بحياة هانئة مريحة، مطمئنة ومستقرة، متمتعة بالخيرات التي سخرها الله لبني الإنسان.

وهذا الحب للمال فيه حث للنفس البشرية إلى أن تكدح وتعمل بجهد واجتهاد، حتى تصل إلى ما تصبو إليه، وأن تخطط وتنظم عملية الصرف حتى تحافظ على المستوى الذي تريد أن تعيش فيه وأن توازن وتفاضل بين متطلبات الدنيا وخير الآخرة دون إفراط ولا تفريط.

وإذا سار المرء وفق هذا النهج استطاع أن ينعم بالدنيا ويفوز بالآخرة بإذن الله. ويبين سبحانه وتعالى حب النفس البشرية للمال، فقال عز شأنه:

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾^(١)

المال لغة:

قال ابن فارس: (الميم والواو واللام كلمة واحدة، هي تَمَوَّلَ الرَّجُلُ:

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٠.

اتخذ مالا، وقال يَمَالُ: كَثُرَ مَالُهُ^(١).

قال ابن منظور: (المال: معروف ما مَلَكَتَهُ من جميع الأشياء)^(٢).

والجمع أموال^(٣). والمال يذكر ويؤنث وهو المال وهي المال^(٤).

قال ابن الأثير: (المال في الأصل ما يُمَلِكُ من الذهب والفضة ثم أطلق على كل ما يُقْتَنَى ويملك من الأعيان، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل لأنها كانت أكثر أموالهم)^(٥).

ويقال: تَمَوَّلَ فلان مالا إذا اتَّخَذَ قينة.

ومال الرجل يَمُولُ وَيَمَالُ مَوْلًا وَمُؤَوَّلًا إذا صار ذا مالٍ^(٦).

وَتَمَوَّلَتْ واستمَلَتْ: كَثُرَ مَالُكَ^(٧). ومُلَّتَهُ: أعطيته المال^(٨).

والمال اصطلاحاً:

ما يُباح الانتفاع به ولو مالا، مما له قيمة بين الناس^(٩).

معنى الآية:

وذكر الإمام السيوطي أقوال المفسرين في معنى جمًا، في قوله تعالى:

﴿وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾^(١٠):

- (١) معجم مقاييس اللغة (٢٨٥/٥) مادة مول.
- (٢) لسان العرب (٦٣٥/١١).
- (٣) لسان العرب (٦٣٥/١١)، وتاج العروس (٧٣/١٥).
- (٤) المصباح المنير (٨٠٦/٢).
- (٥) النهاية (٣١٧/٤).
- (٦) لسان العرب (٦٣٦/١١)، والمصباح المنير (٨٠٦/٢).
- (٧) تاج العروس (٧٠٣/١٥).
- (٨) لسان العرب (٦٣٦/١١).
- (٩) المال في الشريعة الإسلامية ص ١٧.
- (١٠) سورة الفجر، الآية: ٢٠.

(قال قتادة: أي شديداً، وقال مجاهد: الجم الكثير، وقال الحسن: أي فاحشاً)^(١).

وقال الإمام الرازي: (إن الجم هو الكثرة يُقال: جم الشيء يجم جموماً يُقال ذلك في المال وغيره فهو شيء جم وجام وقال أبو عمرو: جم يجم أي يكثر، والمعنى: يحبون المال حباً كثيراً شديداً، فبين أن حرصهم على الدنيا فقط وأنهم عادلون عن أمر الآخرة)^(٢).

وقال البقاعي في قوله تعالى ﴿وَيُحِبُّونَ﴾: أي على سبيل الاستمرار (المال) أي هذا النوع من أي شيء كان، وأكده بالمصدر والوصف فقال: ﴿حَبًّا جَمًّا﴾ أي كثيراً مع حرص وشره، قصارى أمرهم النظر الدنيوي، ولم يصرفوا أنفسهم عن حبه إلى ما دعا إليه العقل الذي يعقل النفس عن الهوى، والحجر الذي يحجرها عن الحظوظ، والنهية التي تنهاها عن الشهوات إلى الإقبال على الله)^(٣).

وقال العلامة الألوسي: (والمراد أنكم تحبونه مع حرص وشره)^(٤).

وذكر الشيخ المراغي: (أي تميلون إلى جمع المال ميلاً شديداً، ميراثاً كان أو غيره)^(٥).

وقال الشيخ ابن عاشور: (والجم: الكثير، أي حباً كثيراً، ووصف الحب بالكثرة مراد به الشدة لأن الحب معنى من المعاني النفسية لا يوصف بالكثرة التي هي وفرة عدد أفراد الجنس).

فالجم مستعار لمعنى القوي الشديد، أي حباً مفرطاً، وذلك - محل - ذم حب المال، لأن أفراد حبه يوقع في الحرص على اكتسابه بالوسائل غير

(١) الدر المنثور (٨/٥١٠).

(٢) التفسير الكبير (٣١/١٥٨).

(٣) نظم الدرر (٢٢/٣٦).

(٤) روح المعاني (٣٠/٣٤٢).

(٥) تفسير المراغي (٣٠/١٥٠).

الحق كالغصب والاختلاس والسرقه وأكل الأمانات)^(١).

ويتضح من خلال الآية الكريمة أن حب المال غريزة في النفس البشرية، تحرص النفس على جمعه وطلبه والسعي وراءه، كي يكون لها مورداً ثابتاً منه، تستطيع أن تعيش به في هذه الحياة، كما أنها - كذلك أي النفس البشرية - لا تقتنع بما عندها وإنما تحرص أن تستزيد من ذلك وأن تصل إلى ما وصل إليه الآخرون، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى أن يكون له ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب»^(٢).

وهذا الحب الطبيعي للمال، أما إذا تعدى ذلك وكان خلافاً لما يجب أن يكون عليه، بأن يكون هم الإنسان في طول يومه وجميع لحظات حياته (يجمع ويعد ويخطط للجمع) فهذا هو الحب - غير سوي للمال - لأنه يصرف صاحبه عن الغاية التي من أجلها خلق الله البشر، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣).

كما أنه يحيد بصاحبه عن الخلق الذي يجب أن يكون عليه من تواضع وكرم وعطاء إلى كبر وفخر وطغيان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾^(٤).

وعادة عندما يكثر المال في يد صاحبه يكون شديد الحرص عليه، ويخشى على نقصانه، فيمتنع عن الزكاة والصدقة وغيرهما من أعمال الخير.

موقف الشريعة الإسلامية من المال:

كلف الإسلام العبد المسلم بعدة تكاليف لا يمكن أن يقوم بها إلا بعد

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٣٣٤).

(٢) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الرقائق - باب ما يتبقى من فتنه المال (١١/٣٠٥) ح (٦٤٣٦).

(٣) سورة الذاريات، بعض آية: ٥٦.

(٤) سورة العلق، الآية: ٧.

اكتسابه للمال. فمن هذه التكاليف بعض فرائض الإسلام كالزكاة والحج وكذلك الجهاد في سبيل الله.

وبناءً على ذلك، نجد كثيراً من الآيات والأحاديث الشريفة التي تحث المسلم على اكتساب المال الحلال، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَنْشُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ الشُّورُ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢)، وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ: «لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق ويستغني عن الناس خير له أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى وابدأ بمن تعول» (٣).

وأن هذا المال الذي اكتسبه المرء المسلم عليه أن يوازن في مسألة الصرف فيه، فينعم بما آتاه الله من الطيبات في حدود الاعتدال، له ولأسرته ولمن يعول، ولا ينسى حق الله عز وجل فيها، من زكاة وصدقات وأعمال بر... فيعمل بقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (٤).

وإن هذا المال سوف يحاسب عليه المرء المسلم يوم القيامة من أين اكتسبه؟ أي ما مصدره هل هو من حلال أم من حرام، وفيما أنفقه؟ هل في الوجوه التي بينها الله عز وجل في كتابه الكريم وسنة نبيه الكريم أم ضيعها وفرط فيها.

عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة

(١) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٢) سورة الجمعة، بعض آية: ١٠.

(٣) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الزكاة - باب النهي عن المسألة (١٣١/٧).

(٤) سورة القصص، بعض آية: ٧٧.

من عند ربه، حتى يستل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم»^(١).



(١) رواه الترمذي: كتاب القيامة - باب في القيامة (٦١١/٤) ح (٢٤١٥) بإسناد غريب.

المبحث الرابع: حب العاجلة

قال ابن منظور: (العاجِلُ والعاجِلَةُ، نقيض الأجل والآجلة عامٌّ في كل شيء)^(١). وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾^(٢)؛ العاجلة: الدنيا، والآجلة الآخرة^(٣).

وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بأن النفس تحب العاجلة،

فقال عزّ شأنه: ﴿لَا بَلَّ لِحُبِّهِ الْغَاجِلَةَ ۖ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾^(٥).

وقد أورد معظم المفسرين أن هاتين الآيتين تتحدثان عن كفار أهل مكة، بسبب جهم للحياة الدنيا وما بها من ملهيات، وتركهم الإيمان باليوم الآخر.

أخرج عبد بن حميد عن قتادة في قوله: ﴿لَا بَلَّ لِحُبِّهِ الْغَاجِلَةَ﴾^(٦)

(١) لسان العرب (٤٤٦/١١) مادة عجل.

(٢) سورة الإسراء، بعض آية: ١٨.

(٣) لسان العرب (٤٢٦/١١)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/٢٣٨).

(٤) سورة القيامة، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٥) سورة الإنسان، الآية: ٢٧.

وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ قال: اختار أكثر الناس العاجلة إلا من رحم الله وعصم.

وأخرج عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد عن ابن مسعود في قوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ﴿٢٠﴾ قال: عجلت لهم الدنيا سناها وخيرها وغيبت عنهم الآخرة^(١).

معنى الآية:

قال الزمخشري: ﴿كَلَّا﴾ ردع لرسول الله ﷺ عن عادة العجلة وإنكار لها عليه، وحث على الأناة والتؤدة^(٢)، وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ كأنه قال: بل أنتم يا بني آدم لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه في كل شيء، ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة^(٣).

وهذا لا ينبغي في حق النبي ﷺ، ويُرد عليه ما ذكره الفخر الرازي وأبو السعود:

قال الرازي: (قال سائر المفسرين: ﴿كَلَّا﴾ معناه حقاً، أي حقاً تحبون العاجلة وتذرون الآخرة، والمعنى أنهم يحبون الدنيا ويعملون لها ويتركون الآخرة ويعرضون عنها)^(٤).

وقال العلامة أبو السعود في قوله تعالى: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ ﴿٢١﴾ تعميم الخطاب للكل أي بل أنتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وجبليتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة، وقيل ﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان عن الاعتزاز بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة^(٥).

(١) الدر المنثور (٣٤٩/٨).

(٢) وبه قال أبو السعود انظر إرشاد العقل السليم (٦٧/٩).

(٣) الكشاف (٦٤٩/٤).

(٤) التفسير الكبير (٧٢٩/٣٠).

(٥) إرشاد العقل السليم (٦٧/٩).

وقال الإمام البقاعي: (أي هم في محبة متجددة مستمرة على تجدد الزمان بدليل أنهم يقبلون غاية الإقبال عليها فيأخذونها وحبها أوجب لهم ارتكاب ما يعلمون قبحه فإن الآخرة والأولى ضرطان من أحب إحداهما فعل ولا بد ما يباعه عن الأخرى.

﴿وَنَذِرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٢١) أي يتركون على أي وجه كان ولو أنه غير مستحسن فهم يبغضونها لارتكابهم ما يضر بهم فيها.

والآية من الإحتباك: ذكر الحب أولاً دليلاً على البغض ثانياً، والترك ثانياً دليلاً على الإقبال والأخذ أولاً^(١).

ويقول الشيخ المراغي: (أي ليس في الأمر كما تقولون أيها المشركون، من أنكم لا تبعثون بعد مماتكم، ولا تجاوزون بأعمالكم، ولكن الذي دعاكم إلى قول ذلك هو محبتكم للدنيا العاجلة، وإيثاركم شهواتها على أجل الآخرة ونعيمها، فأنتم تؤمنون بالعاجلة وتكذبون الآجلة)^(٢).

ويذكر الشهيد سيد قطب كلاماً في هذه الآية الكريمة فيقول: (وأول ما يلحظ من ناحية التناسق هو تسمية الدنيا بالعاجلة في هذا الموضع. ففضلاً عن إيماء اللفظ بقصر هذه الحياة وسرعة انقضائها - وهو الإيماء المقصود - فإن هناك تناسقاً بين ظل اللفظ وظل الموقف السابق المعترض في السياق، وقول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١١) فهذا التحريك وهذه العجلة هي أحد ظلال السمة البشرية في هذه الحياة الدنيا وهو تناسق في الحس لطيف دقيق يلحظه التعبير القرآني في الطريق)^(٤).

وجاء حب العاجلة في آية أخرى في سورة الإنسان، يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (٢٧)^(٥).

(١) نظم الدرر (١٠٤/٢١) بتصرف.

(٢) تفسير المراغي (١٠٢/٢٩).

(٣) سورة القيامة، بعض آية: ١٦.

(٤) في ظلال القرآن (٦/٣٧٧٠).

(٥) سورة الإنسان، الآية: ٢٧.

والمراد أن الذي حمل هؤلاء الكفار على الكفر، وترك الالتفاف والإعراض عما ينفعهم في الآخرة ليس هو الشبهة حتى ينتفعوا بالدلائل المذكورة في أول هذه السورة، بل الشهوة والمحبة لهذه اللذات العاجلة والراحات الدينية^(١).

قال الإمام القرطبي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ توبيخاً وتقريراً، والمراد أهل مكة، والعجلة الدنيا ويدعون بين أيديهم يوماً عسيراً شديداً كما قال: ﴿تَنقَلَّتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) أي يتركون الإيمان بيوم القيامة.

وقيل: نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة الرسول ﷺ وصحة نبوته، وحبهم العاجلة هو: أخذهم الرشا على ما كتموه.

وقيل أراد المنافقين، لاستبطانهم الكفر وطلب الدنيا، والآية تعم^(٣).

وقال الشيخ ابن عاشور: (وفي إثارة ذكر الدنيا بوصف العاجلة توطئة للمقصود من الذم لأن وصف العاجلة يؤذن بأنهم آثروها لأنها عاجلة، وفي ذلك تعريض بتحقيقهم إذ رضوا بالدون لأنه عاجلة وليس ذلك من شيم أهل التبصر، فقوله ﴿وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا﴾ واقع موقع التكميل لمناط ذمهم وتحقيقهم لأنهم لو أحبوا الدنيا مع الاستعداد للآخرة لما كانوا مذمومين قال تعالى حكاية لقول الناصحين لقارون ﴿وَأَتَّبِعْ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٤) إذا كان مناط الذم فيه هو أن قصرُوا أنفسهم على علم أمور الدنيا مع الإعراض عن العلم بالآخرة.

ومثلوا بحال من يترك شيئاً وراءه فهو لا يسعى إليه وإنما يسعى إلى

(١) التفسير الكبير (٧٦٠/٣٠).

(٢) سورة الأعراف، بعض آية: ١٨٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٩٨/١٩).

(٤) سورة القصص، بعض آية: ٧٧.

ما بين يديه وإنما عرضوا عنه لأنهم لا يؤمنون بحلولة فكيف يسعون إليه^(١).

قال الشهيد سيد قطب: (إن هؤلاء القريبي المطامح والاهتمامات، الصغار المطالب والتصورات... هؤلاء الصغار الزهيدون الذين يستغرقون في العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً. ثقيلاً بتبعاته. ثقيلاً بنتائجه. ثقيلاً بوزنه في ميزان الحقيقة... إن هؤلاء لا يطاعون في شيء ولا يتبعون في طريق؛ ولا يلتقون مع المؤمنين في هدف ولا غاية، ولا يؤبه لما هم فيه من هذه العاجلة، من ثراء وسلطان ومتاع، فإنما هي العاجلة، وإنما هو المتاع القليل، وإنما هم الصغار الزهيدون)^(٢).

وهنا يرد تساؤل لم قال الحق ﴿وَرَاءَهُمْ﴾ ولم يقل قدامهم؟

يجيب الإمام الرازي على ذلك في عدة وجوه:

أحدهما: لما لم يلتفتوا إليه، وأعرضوا عنه فكأنهم جعلوه وراء ظهورهم.

وثانيهما: المراد ويذرون وراءهم مصالح يوم ثقل فأسقط المضاف.

ثالثهما: أن تستعمل بمعنى قدام كقوله ﴿مِنْ وَّرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾^(٣) وقوله ﴿وَكَانَ وَّرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾^(٤)/^(٥).

ويذكر الشوكاني: (أنهم لا يستعدون له ولا يعبثون به، فهم كمن ينبذ الشيء وراء ظهره تهاوناً به واستخفافاً بشأنه، وإن كانوا في الحقيقة مستقبلين له وهو أمامهم)^(٦).

(١) التحرير والتنوير (٤٩/٤٠٨).

(٢) في ظلال القرآن (٦/٣٧٨٦).

(٣) سورة إبراهيم، بعض آية: ١٦.

(٤) سورة الكهف، بعض آية: ٧٩.

(٥) التفسير الكبير (٣٠/٧٦٠).

(٦) فتح القدير (٥/٣٥٤).

التوازن بين متطلبات الحياة الدنيا والحياة الآخرة:

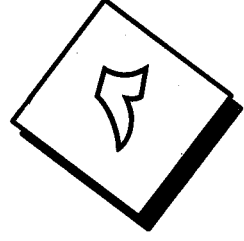
قال تعالى: ﴿وَأَتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(١).

كون المرء يعيش في الحياة الدنيا - فلا بد له من ميل إلى بعض من متاع الدنيا، وهذا الميل قد يكون طبعياً، إذا كان في حدود تحقيق حاجات ورغبات المرء باعتدال دون إفراط فيها، ولا تفريط في العبادات والتكاليف التي أمر الله بها عباده المسلمين، فيكون بهذا الحال وازن بين متطلبات الحياة الدنيا ومتطلبات الحياة الآخرة.

وهذه الموازنة مطلوبة من المرء في حياته اليومية فلا يطغى السعي وراء متاع الدنيا على أداء الفرائض التي كلفنا الله بها عزّ وجلّ، وكذا لا ينصب الجهد بأداء النوافل من الطاعات على تحقيق حاجات المرء الضرورية في الدنيا، وإنما عليه أن يعمل بالحكمة المشهورة التي قالها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»، فيكون بهذه الحالة وازن بين متطلبات الدنيا ومتطلبات الآخرة.



(١) سورة القصص، بعض آية: ٧٧.



الفصل الثاني الحب البشري المحمود

ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حب الله.

المبحث الثاني: حب الأنصار للمهاجرين.

المبحث الثالث: إيثار الآخرين للمال والطعام على أنفسهم.



المبحث الأول: حب الله

حُب المخلوق لخالقه هو قمة الوفاء، وهو روح هذا الوجود، وهو الرابط الذي يربط العبد بهذا الكون الرحب، فما ظنك إذا كان العبد مؤمناً! فما مقدار حبه لربه هل سيكون مقدار حبه لنفسه أم لزوجه أم لأبنائه أم لوالديه.

نعم... إنه... سيفوق ذلك كله، بل ويزيد عليه، فقد قال سبحانه وتعالى:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(١).

وقال الراغب: الحب أصله من المحبة، حبيته أصبت حبة قلبه وأصبت بحبة القلب، وهي في اللفظ فعل وفي الحقيقة انفعال، وإذا استعمل في الله فالمعنى أصاب حبه عبده، فجعلها مصونة عن الهوى والشيطان وسائر أعداء الله.

وقال عبدالجبار: حب العبد لله تعظيمه والتمسك بطاعته.

ولذا قيل: معنى أشد حباً لله أي منهم لله لأن حبههم لله بواسطة قاله الحسن، وقال مجاهد وعكرمة في قوله ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ من

(١) سورة البقرة، بعض آية: ١٦٥.

الكفار لآلهتهم أي أوثانهم^(١).

ويقول أبو حيان: (ومقتضى التمييز بالأشدية إفراد المؤمنين له بالمحبة، أو لمعرفتهم بموجب الحب، أو لمحبتهم إياه بالغيب، أو لشهادته تعالى بهم بالمحبة إذ قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ أو لإقبال المؤمن على ربه في السراء والضراء والشدة والرخاء، أو لعدم انتقاله عن مولاه ولا يختار عليه سواه، أو لعلمه بأن الله خالق الصنم وهو الضار النافع، أو لكون حبه بالعقل والدليل، أو لامتناله أمره حتى في القيامة حين يأمر الله تعالى من عبده لا يشرك به شيئاً أن يقتحم النار، فيبادرون إليها فتبرد عليهم النار، فينادي مناد تحت العرش ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(٢).

وقال الشيخ المراغي في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ من كل ما سواه، إذ حبه لهم له خاص به لا يشركون فيه غيره، إذ هم يعتقدون أن ملكوت السموات والأرض بيده، وهو الذي له القدرة والسلطان على جميع الأكوان، فما ينالهم من خير كسبي فهو بهدايته وتوفيقه، وما يجيئهم بغير حساب فهو بعنايته وفضله، وما تعذر عليهم من الأمور يفوضونه إليه ولا يعولون إلا عليه^(٣).

ويفسر الشيخ ابن عاشور قوله ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾: (أي أشد حباً لله من محبة أصحاب الأنداد أندادهم، على ما بلغوا من التصلب فيها، ومن حب بعضهم لله ممن يعترف بالله مع الأنداد، لأن محبة جميع هؤلاء المحبين وإن بلغوا ما بلغوا من التصلب في محبوبيهم لما كانت محبة مجردة عن الحجة لا تبلغ مبلغ أصحاب الاعتقاد الصميم المعضود بالبرهان، ولأن إيمانهم بهم لأغراض عاجلة كقضاء الحاجات ودفع الملمات بخلاف حب المؤمنين لله فإنه حب لذاته وكونه أهلاً للحب ثم يتبع ذلك أغراض أعظمها الأغراض الآجلة لرفع الدرجات وتزكية النفس.

(١) الدر المنثور (٤٠١/١).

(٢) البحر المحيط (٦٤٤/١).

(٣) تفسير المراغي (٣٩/٢).

وإنما جيء - بأفعل التفضيل - بواسطة كلمة أشد قال التفتزاني، أثر أشد حباً على أحب لأن أحب شاع في تفضيل المحبوب على محبوب آخر تقول: هو أحب إلي، وفي القرآن ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١).

يعني أن فعل أحب هو الشائع وفعل حب قليل فلذلك خصوا في الاستعمال كلا بمواقع نفياً للبس فقالوا: أحب وهو محب وأشد حباً وقالوا حبيب من حب وأحب إلى من حب أيضاً^(٢).

وقال السيد محمد رشيد رضا في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾: (أي من كل ما سواه لأن حبه لهم خاص به سبحانه لا يشركون فيه غيره، فحبه ثابت كامل لأن متعلقه هو الكمال المطلق الذي يستمد منه كل كمال، وأما متخذوا الأنداد فإن حبه متوزع مترزح لا ثبات له ولا استقرار)^(٣).

أصل التوحيد:

قال السعدي: (أصل التوحيد وروحه: إخلاص المحبة لله وحده وهي أصل التآله والتعبد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكتمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحاب وتغلبها ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تبعاً لهذه المحبة التي بها تكون سعادة العبد وفلاحه.

ومن تفرعها وتكميلها الحب في الله، فيحب العبد ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص، ويغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال ويوالي أوليائه ويعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده^(٤).

(١) سورة التوبة، بعض آية: ٢٤.

(٢) التحرير والتنوير (٢/٩٢-٩٣).

(٣) تفسير المنار (٢/٥٦).

(٤) القول السديد في مقاصد التوحيد ص ٩٥.

وعن أبي أمامة^(١)، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان»^(٢).

الباعث على محبة الله:

سئل شيخ الإسلام: عن العبد الذي لا يكون عنده محبة تبعثه على طلب محبوبه، فأى شيء يحرك القلوب؟

قال يحركها شيان: أحدهما: كثرة الذكر للمحبوب، لأن كثرة ذكره تعلق القلوب به، ولهذا أمر الله عز وجل بالذكر الكثير، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾^(٣).

والثاني: مطالعة آياته ونعمائه، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا ءَالَءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾^(٥) فإذا ذكر العبد ما أنعم الله به عليه، من تسخير السماء والأرض، وما فيها من الأشجار والحيوان، وما أسبغ عليه من النعم الباطنة، من الإيمان وغيره، فلا بد أن يثير ذلك عنده باعثاً^(٦).

أقسام الناس في المحبة:

تنقسم الناس في المحبة إلى أقسام عدة، وهي:

القسم الأول: قوم لهم قدرة، ولهم إرادة ومحبة غير مأمور بها.

(١) صدى بن عجلان بن وهب ويُقال ابن عمرو أبو أسامة الباهلي الصحابي، سكن الشام وهو آخر من مات من الصحابة بالشام، ت ٨٦هـ. تهذيب التهذيب (٤/٣٦٨).

(٢) رواه أبو داود في السنن: كتاب السنة - باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٢/٥٧١)، ورواه الترمذي في السنن: كتاب القيامة - باب ٦٠ (٤/٦٧٠) ح (٢٥٢١)،

وأحمد في المسند (٣/٤٣٨) بنحوه، قال الترمذي: حديث حسن.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ - ٤٢.

(٤) سورة الأعراف، بعض آية: ٦٩.

(٥) سورة لقمان، بعض آية: ٢٠.

(٦) مجموع الفتاوى (١/٩٥).

فهم يجاهدون، ويستعملون جهدهم وطاقاتهم، لكن لا في سبيل الله، بل في سبيل آخر إما محرمة، كالفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والغني بغير الحق، والإشراك بالله بما لم ينزل به سلطاناً، والقول على الله بغير علم الحق.

وإما في سبيل لا ينفع عند الله، مما جنسه مباح، لا ثواب فيه، لكن الغالب إن مثل هذا كثير ما يقترن به من الشبه ما يجعله في سبيل الله أو في سبيل الشيطان.

القسم الثاني: قوم لهم إرادة سالحة، ومحبة كاملة لله، ولهم أيضاً قدرة كاملة، فهؤلاء سادة المحبين المحبوبين، المجاهدين في سبيل الله، لا يخافون لومة لائم، كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين.

القسم الثالث: قوم فيهم إرادة سالحة، ومحبة لله سوية تامة، لكن قدرتهم ناقصة، فهم يأتون بمنحأب الحق من مقدورهم ولا يتركون مما يقوون عليه شيئاً، لكن قدرتهم قاصرة، ومحبتهم كاملة، فهو مع القسم الذي قبله.

وما زال في المؤمنين على عهد النبي ﷺ وبعده من هؤلاء خلق كثير.

وفي مثل هؤلاء قال النبي ﷺ - عن أنس رضي الله كان في غزاة فقال: «إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكننا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه، حبسه العذر»^(١).

- وروي - أن النبي ﷺ كان يستفتح - بشعث المهاجرين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»^(٢).

(١) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الجهاد والسير - باب من حبسه العذر عن الغزو (٥٨/٦) ح (٢٨٣٩).

(٢) رواه مسلم في الصحيح: كتاب البر والصلة - باب فضل الضعفاء والخاملين (١٧٤/٦).

القسم الرابع: من قدرته قاصرة وإرادته للحق قاصرة، وفيه من إرادة الباطل والله به عليم، فهؤلاء صنعا المجرمين، ولكن قد يكون لهم من التأثير بقلوبهم نصيب وحظ مع أهل باطلهم، وكما يوجد في العلماء والعباد والزاهدين من المشركين وأهل الكتاب ومنافقي هذه الأمة ما فيه مضاهاة لعلماء المؤمنين وعبادهم، وذلك أن الشيطان جعل لكل شيء من الخلق نظيراً في الباطل، فإن أصل الشر هو الإشراك بالله، كما أن أصل الخير هو الإخلاص لله^(١).

أساس المحبة:

قال تولستوي: أساس المحبة الحقيقية الزهد في النفع الشخصي، فإذا زهد الإنسان في الأشياء المادية، ارتقى إلى مرتبة من المحبة الروحانية مبنية على تصور الكمال المطلق، وهي محبة الله لذاته لا لثوابه وإحسانه، وكلما كان اطلاع الإنسان على دقائق حكمة الله أكمل، كان حبه له أتم^(٢).

الحب الخالص:

يطلق اصطلاح الحب الخالص (Pur amour) على حب الله لذاته لا لمنفعة، أو خوف، أو أمل، بل لمجرد ما يتصور في الحضرة الربانية من الجمال والكمال. وكمال حب الله أن تحبه بكل قلبك، وأن تطهر نفسك من كل ما يشغلك عنه، وعلى قدر ما يكون حبك لله أقوى، تكون سعادتك أعظم.

ولما كانت لذة الحب لا تتصور إلا بعد معرفة وإدراك أطلق إسبينوزا على حب الله اسم الحب العقلي (L'amour intellectuel de Dieu)، وهو الحب الناشئ عن المعرفة المطابقة لحقائق الأشياء، فإن هذه المعرفة تولد في نفوسنا فرحاً مصحوباً بتصورنا أن الله تعالى هو قمة سرورنا^(٣).

(١) قاعدة في المحبة ص ٩٥-٩٨ بتصرف.

(٢) المعجم الفلسفي (٤٤١/١) بتصرف.

(٣) المرجع السابق.

المبحث الثاني: حب الأنصار للمهاجرين

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

الهجرة لغة:

قال ابن فارس: (الهاء والجيم والراء أصلان يدلُّ أحدهما على قطيعة وقطع والآخر على شد شيء وربطه.

فالأول الهجرة: ضد الوصل، وكذلك الهجرة. وهاجر القوم من دارٍ إلى دارٍ: تركوا الأولى للثانية، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة) (٢).

قال ابن منظور: (والهجرة والهجرة: الخروج من أرض إلى أرض. والمهاجرون: الذين ذهبوا مع النبي ﷺ، مشتق منه) (٣). وتهجر الرجل، وتمهجر: تشبه بالمهاجرين) (٤).

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٣٤/٦) مادة هجر.

(٣) لسان العرب (٢٥١/٥).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣٤/٦)، ولسان العرب (٢٥١/٥).

وروي عن عمر أنه قال: «هاجروا ولا تَهَجِّرُوا أي كونوا منهم»^(١). قال أبو عبيد: يقول أخلصوا الهجرة ولا تشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم، فهذا هو التهجُّر^(٢).

قال الأزهري: (وأصل المهاجرة عند العرب: خروج البدوي من باديته إلى المُدُن. يقال: هاجر الرجل، إذا فعل ذلك، وكذلك كل مُخْلِ بمسكنه منتقل إلى دار قوم آخرين، لأنهم تركوا ديارهم ومسكنهم التي بها نشؤوا بها لله، ولحقوا بدار قوم ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة، وكذلك الذين هاجروا إلى أرض الحبشة.

فكل من فارق رِباعة من بدوي أو حَضْرِي وسكن بلداً آخر فهو مُهاجر، والاسم منه: الهجرة)^(٣).

قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾^(٤).

وقال الراغب: (والمهاجرة في الأصل: مُصارمةُ الغير ومُتاركتُه، من قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾^(٥) وقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾^(٦)، فالظاهر منه: الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان كمن هاجر من مكة إلى المدينة، وقيل مُقتضى ذلك هجرانُ الشهواتِ والأخلاقِ الذميمةِ والخطايا وتركها ورفضها)^(٧).

قال الكفوي: (والهجرتان: أولاهما هجرة رسول الله والمسلمين قبله

(١) تهذيب اللغة (٤٢/٦)، ومعجم مقاييس اللغة (٣٤/٦)، ولسان العرب (٢٥١/٥).

(٢) تهذيب اللغة (٤٢/٦).

(٣) تهذيب اللغة (٤٢/٦).

(٤) سورة النساء، بعض آية: ١٠٠.

(٥) سورة الأنفال، بعض آية: ٧٤.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٣٣.

(٧) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الجهاد - باب فضل الجهاد والسير (٦/٦) ح (٢٧٨٣).

وبعده ومعه إلى المدينة فقد كانت الهجرة من فرائض الإسلام بعد هجرة النبي ﷺ ثم نسخت بعد فتح مكة قوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح». فلا دليل في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾^(١) على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه^(٢).

والهجرة اصطلاحاً:

قال الجرجاني: هي ترك الوطن الذي بين الكفار، والانتقال إلى دار الإسلام^(٣).

معنى الآية:

في هذه الآية الكريمة يمدح الله عز وجل الأنصار في حبهم لإخوانهم المهاجرين، وتفضيلهم على أنفسهم في كثير من المواضع، لا لمصلحة وإنما حباً لله، ورغبة في الأجر والمثوبة، برهان صدق على إيمانهم العميق بربهم عز وجل، وإخلاصهم لدينهم.

وهذا الحب الذي يجب أن يكون بين البشر، حب المسلم لأخيه المسلم لما يحمله من عقيدة سليمة، وإيمان راسخ، وعزيمة صادقة على العمل بشرع الله، ونشر دينه بين البشر.

هذا الحب هو الذي يرقى بالمجتمع، ويعمل على تطوير العلاقة بين أفرادها، وتحسين آلية التعامل فيما بينهم، بقلوب صافية، سليمة، يغمرها الود والعطف والحنان والإخلاص فيما بين أفرادها فلنتأمل ما قاله العزيز الحكيم في هذه النخبة المباركة من أفراد المجتمع المسلم في عصر الرسالة.

(١) سورة النساء، بعض آية: ٩٧.

(٢) الكلبيات ص ٩٦٢.

(٣) التعريفات ص ٢٨٥.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ (١) والتبوء: التمكّن والاستقرار، وليس يريد أن الأنصار آمنوا قبل المهاجرين، بل أراد آمنوا قبل هجرة النبي ﷺ إليهم (٢).

قال الإمام البقاعي في قوله تعالى ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾: (أي على سبيل التحديد والاستمرار، ﴿مَنْ هَاجَرَ﴾ وزادهم محبة فيهم وعطفاً عليهم بقوله ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لأن القصد إلى الإنسان يوجب حقه عليه لأنه لولا كمال محبته له ما خصه بالقصد إليه، والدليل الشهودي على ما أخبر الله عنهم به من المحبة أنهم شاطروا المهاجرين في أموالهم وعرضوا عليهم أن يشاطروا نساءهم على شدة غيرتهم، فأبى المهاجرون المشاطرة في النساء وقبلوا منهم الأموال (٣).

وقال الشيخ ابن عاشور: (وهذا ثناء عليهم بما تقرر في نفوسهم من أخوة الإسلام إذ أحبوا المهاجرين وشأن القبائل أن يتخرجوا من الذين يهاجرون إلى ديارهم لمضايقتهم) (٤).

والذين سكنوا المدينة، وأشربت قلوبهم حب الإيمان من قبل هجرة أولئك المهاجرين، لهم صفات كريمة، وشيم جليلة تدل على كرم النفوس، ونبيل الطباع، فهم:

١ - ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ يحبون المهاجرين ويتمنون لهم من الخير ما يتمنونه لأنفسهم، وقد آخى رسول الله ﷺ بينهم، وأسكن المهاجرين في دور الأنصار معهم، ونزل بعض الأنصار عن بعض نساءهم للمهاجرين، طيبة بذلك نفوسهم، قريرة به أعينهم.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال المهاجرون: «يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم حسن مواساة في قليل، ولا حسن بذل في كثير، لقد كفونا المئونة، وأشركونا في المهيا، حتى لقد خشينا أن

(١) سورة الحشر، بعض آية: ٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/١٨).

(٣) نظم الدرر (٤٣٩/١٩).

(٤) التحرير والتنوير (٩١/٢٨).

يذهبوا بالأجر كله»، قال: «لا، ما أنثيتم عليهم ودعوتم الله لهم»^(١).

٢ - ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ قال الحسن: أي حسداً وحرارة وغيظاً مما أوتي المهاجرون من دونهم، وأطلق لفظ الحاجة على الحسد والغيظ والحرارة، لأن هذه الأشياء لا تنفك عن الحاجة، فهم لا يطمعون إلى شيء مما أعطيه أولئك المهاجرون من الفيء وغيره.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قالت الأنصار يوم فتح مكة - وأعطى قريشاً -: «والله إن هذا لهو العجب، إن سيوفنا تقطر من دماء قريش، وغنائمنا ترد عليهم»، فبلغ ذلك النبي ﷺ فدعا الأنصار، قال فقال: «ما الذي بلغني عنكم؟» - وكانوا لا يكذبون - فقالوا: «هو الذي بلغك». قال: «أولا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم؟ لو سلكت الأنصار وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم»^(٢).

٣ - ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يقدمون ذوي الحاجة على أنفسهم، ويبعدون بسواهم قبلهم، حتى إن من كان عنده امرأتان ينزل عن إحداها ويزوجها واحداً من المهاجرين.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فبعث إلى نسائه، فقلن: «ما معنا إلا الماء»، فقال رسول الله ﷺ: «من يضم أو يضيف هذا؟» فقال رجل من الأنصار: «أنا». فانطلق به إلى امرأته فقال: «أكرمي ضيف رسول الله ﷺ». فقالت: «ما عندنا إلا قوت صبياني». فقال: «هيئي طعامك، وأصباحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاءاً». فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت

(١) رواه أحمد في السند (٢٠٠/٣، ٢٠٤)، والترمذي في السنن: كتاب القيامة - باب ٤٤ (٦٥٣/٤) بنحوه بإسناد صحيح حسن.

(٢) رواه البخاري في الصحيح: كتاب مناقب الأنصار - باب مناقب الأنصار (١٣٩/٧) ح (٣٧٧٨).

صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين. فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: «ضحك الله الليلة - أو عجب - من فعالكما». فأنزل الله ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

ثم بين سوء عاقبة الشح فقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي من يحفظوا أنفسهم من الحرص على المال والبخل به فأولئك هم الفائزون بكل مطلوب، الناجون من كل مكروه (٢).

وقد فرّق الإمام الرازي بين الشح والبخل، فقال البخل نفس الشح، والشح هو الحالة النفسية التي تقتضي ذلك المنع (٣).



(١) رواه البخاري في الصحيح: كتاب مناقب الأنصار - باب قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (١٥١/٧) ح (٣٧٩٨).

(٢) تفسير المراغي (٤٣/٢٨، ٤٤).

(٣) التفسير الكبير (٥٠٨/٢٩).

المبحث الثالث:

إيثار الآخرين للمال والطعام على أنفسهم

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِمَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ (١).

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية صوراً للبرّ قد تغفل عنها النفس الإنسانية أو قد تكون قصرت مجالها في أمر دون آخر - كشأن الاتجاه إلى القبلة في الصلاة - هل هي إلى بيت المقدس أو إلى الكعبة الشريفة.

وهذه الصور التي بينها الله سبحانه وتعالى للبرّ قد اشتملت على ثلاثة جوانب في حياة الإنسان:

الأول: الجانب الاعتقادي وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والأنبياء - وهذه أركان الإيمان.

الثاني: الجانب العملي وهو أداء الفرائض والنوافل كإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصدقات.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

الثالث: الجانب الأخلاقي وهو الوفاء بالعهد، والصبر باختلاف صورته.

ومبحثنا يدور حول جزء من الجانب العملي وهو قوله سبحانه تعالى: ﴿وَمَا آتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْأَسْوَءِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾.

قال سعيد بن جبير في قوله ﴿وَمَا آتَى الْمَالَ﴾: يعني أعطى المال ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ يعني على حب المال.

وقال ابن مسعود: يعطي وهو صحيح شحيح يأمل العيش ويخاف الفقر^(١).

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن المطلب: أنه قيل: «يا رسول الله ما آتى المال على حبه فكلنا نحبه؟» قال رسول الله: «تؤتيه حين تؤتيه ونفسك حين تحدثك بطول العمر والفقير»^(٢).

قال الإمام البقاعي في قوله تعالى ﴿وَمَا آتَى الْمَالَ﴾: (أي الذي أباحه بعد جعله دليلاً عليه كرم نفس وتصديق إيمان بالاعتماد في الخلف على من ضمن الرزق وهو على كل شيء قدير، وأشار إلى أن شرط الإيمان به إثاره سبحانه وتعالى على كل شيء بقوله ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ أي إيتاء عالياً فيه حب الله على حبه المال إشارة إلى التصديق في حال الصحة والشح بتأميل الغنى وخشية الفقر وأشار إلى أنه لوجه لا لما كانوا يفعلونه في الجاهلية من التفاخر)^(٣).

قال السيد محمد رشيد رضا: ﴿وَمَا آتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ أي وأعطى المال لأجل حبه تعالى أو على حبه إياه أي المال. ونقل عن الأستاذ محمد عبده قوله: وهذا الإيتاء غير إيتاء الزكاة الآتي، وهو ركن من أركان البرّ وواجب كالزكاة، وذلك حيث تعرض الحاجة إلى البذل في غير وقت أداء الزكاة بأن يرى الواجد مضطراً بعد أداء الزكاة أو قبل تمام الحول، وهو لا

(١) الدر المنثور (٤١٤/١).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان: باب في الزكاة - فصل في الاختيار في صدقة التطوع

(٢٥٦/٣) ح (٣٤٧١).

(٣) نظم الدرر (٥/٣).

يشترط فيه نصاب معين بل حسب الاستطاعة^(١).

﴿وَأَقِ أَمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ إيتاء المال هنا قيل: كان واجباً ثم نسخ بالزكاة، وضعف بأنه جمع هنا بينه وبين الزكاة.

- وقيل هي الزكاة وبين بذلك مصارفها، وضعف بعطف الزكاة عليه فدل على أنه غيرها.

- وقيل هي نوافل الصدقات والمبار، وضعف بقوله آخر الآية ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

قال الشعبي^(٢): إن في المال حقاً سوى الزكاة وتلا هذه الآية. وقيل: رفع الحاجات الضرورية مثل إطعام الطعام للمضطر.

والمعنى أنه يعطي المال محباً له أي في حال حبه للمال، واختياره وإيثاره، وهذا وصف عظيم أن تكون نفس الإنسان متعلقة بشيء تعلق المحب بمحبوبه ثم يؤثر به غير ابتغاء وجه الله كما جاء في قوله عز وجل عن أبي هريرة قال: قال رجل: «يا رسول الله أي الصدقة أفضل»، قال: «أن تصدق وأنت صحيح تأمل البقاء وتخشى الفقر ولا تمهل، حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا لفلان كذا وقد كان لفلان»^(٣).

والظاهر أن الضمير في ﴿حُبِّهِ﴾ عائد على المال لأنه أقرب مذكور.

ثم بين سبحانه المصارف التي تستحق هذا المال وهم:

أ - ذوي القربى: وهو من تقرب إليك بولادة. والقرباة لفظ لغوي موضوع للقرباة في النسب، وإن تفاوت في القرب والبعد.

(١) تفسير المنار (٢/٩٤).

(٢) عامر بن شريحيل بن عبد الشعبي، أبو عمرو، ثقة مشهور فقيه فاضل، من الثالثة، ت ١٠٥هـ. تقريب التهذيب ص ٢٨٧، المعارف ص ٤٥١.

(٣) رواه أبو داود في السنن: كتاب النفقات - باب ما جاء في كراهية الأضرار في الوصية (٢/١١٢)، وأحمد في المسند: (٢/٤٤٧) قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

- ب - واليتامى: جمع يتيم وهو الصبي الذي فقد أحد أبويه دون البلوغ.
- ج - والمساكين: جمع مسكين وهو الذي لا يملك قوت يومه، وقيل: هو الطواف المنكسر في السؤال.
- د - وابن السبيل: الضيف، وسمي بابن السبيل وهو الطريق أو المنقطع في بلد دون بلده.
- هـ - والسائلين: هم المستطعمون وهو الذي تدعوه الضرورة إلى السؤال في سد خلته إذ لا تباح له المسألة إلا عند ذلك.
- و - وفي الرقاب: والرقاب هم المكاتبون يعانون في فك رقابهم.

قال أبو حيان: (جاء هذا الترتيب فيمن يؤتي المال تقديماً الأولى، فالأولى لأن الفقير القريب أولى بالصدقة من غيره للجمع فيها بين الصلة والصدقة، ولأن القرابة من أوكد الوجوه في صرف المال إليها، ولذلك يستحق بها الإرث فلذلك قدم هم اتبع اليتامى لأنه منقطع الحيلة من كل الوجوه لصغره، ثم بالمساكين لأن الحاجة قد تشتد بهم، ثم بابن السبيل لأنه قد تشتد حاجته في الرجوع إلى أهله، ثم بالسائلين وفي الرقاب لأن حاجتهما دون حاجة من تقدم ذكره)^(١).

وجاءت آية أخرى في كتاب الله العزيز، تصف الأبرار بأنهم يواسون أهل الضعف والحاجة فقال سبحانه:

﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٢).

سبب النزول:

أورد الواحدي عن سبب نزول الآية؛ قال عطاء عن ابن عباس: وذلك أن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه نوبه أجر نفسه يسقي نخلاً بشيء من

(١) البحر المحيط (٢/٧، ٨) بتصرف.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٨.

شعير، ليلة حتى أصبح وقبض الشعير وطحن ثلثه، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوا يقال له الخزيرة، فلما تم إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثاني، فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه، وطووا يومهم ذلك، فأنزلت فيه هذه الآية^(١).

قال مجاهد في قوله ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْدٍ﴾ قال: وهم يشتهونه.

قال الشيخ ابن عاشور: (وخصص الإطعام بالذكر لما في إطعام المحتاج من إيثاره على النفس كما أفاد قوله ﴿عَلَىٰ حَيْدٍ﴾، وكما أن ذكر الطعام بعد ﴿وَيُطْعَمُونَ﴾ يفيد تأكيداً مع استحضار هيئة الإطعام حتى كأن السامع يشاهد الهيئة)^(٢).

﴿عَلَىٰ حَيْدٍ﴾ أي على حب الطعام إذ هو محبوب للفاقة والحاجة، قاله ابن عباس ومجاهد.

أو على حب الله، أي لوجهه وابتغاء مرضاته، قاله الفضيل بن عياض وأبو سليمان الداراني.

والأول أمدح، لأن فيه الإيثار على النفس، وأما الثاني فقد يفعله الأغنياء أكثر.

وقال الحسن بن الفضل: على حب الطعام، أي محبين في فعلهم ذلك لا رياء فيه ولا تكلف^(٣).

قال الإمام البقاعي: (قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ﴾ أي على حسب ما تيسر لهم من مال على الدوام. ولما كان الإنسان قد يسمح بما لا يلذ له قال ﴿عَلَىٰ حَيْدٍ﴾ أي حبه إياه حباً هو في غاية المكنة منهم والاستعلاء على

(١) أسباب النزول ص ٣٨٤.

(٢) التحرير والتنوير (٣٨٤/٢٩).

(٣) البحر المحيط (٣٨٨/٨).

قلوبهم لقلته وشهوتهم له وحاجتهم إليه، كما قال تعالى: ﴿لَنْ نَسْأَلَهُ أَبَرَ حَقٍّ تُنْفِقُوا وَمَا يُحِبُّونَ﴾^(١) ليفهم أنهم للفضل أشد بديلاً^(٢).

وقال الشيخ ابن عاشور: (و«على» بمعنى «مع»، وضمير «حبه» راجع للطعام، أي يطعمون الطعام مصحوباً بحبه، أي مصاحباً لحبهم إياه وحب الطعام هو اشتهاؤه. فالمعنى: أنهم يطعمون طعاماً هم محتاجون إليه)^(٣).
وأما المسكين واليتيم فقد سبق التعريف بهما^(*).

والأسير: من هو في أيدي الكفار، وقيل أعم من ذلك، فيدخل فيه المملوك والمسجون والكافر الذي في أيدي المسلمين، وقد نقل في غزوة بدر أن بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يؤثر أسيره على نفسه بالخبز، وكان الخبز إذ ذاك عزيزاً حتى كان ذلك الأسير يعجب من مكارمهم حتى كان ذلك مما دعاه إلى الإسلام، وذلك لأن النبي ﷺ لما دفعهم إليهم قال: «استوصوا بهم خيراً»^(٤).

دلالة الآية الكريمة:

- إثارة المؤمن للغير - المسكين واليتيم والأسير - الطعام على الرغم من حاجته.
- الرغبة في نيل الثواب والأجر الكبير من عند الله عز وجل.
- الإقدام على هذا الفعل عن محبة له من غير تكلف ولا رياء فيه.



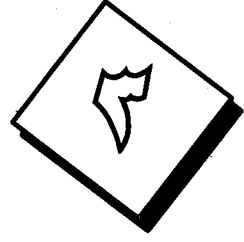
(١) سورة آل عمران، بعض آية: ٩٢.

(٢) نظم الدرر (١٣٨/٢١).

(٣) التحرير والتنوير (٣٨٤/٢٩).

(*) راجع ص ٣١٤.

(٤) نظم الدرر (١٣٩/٢١) بتصرف.



الفصل الثالث الحب المذموم

ويتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول: حب الأنداد.

المبحث الثاني: حب الثناء والمدح.

المبحث الثالث: حب إشاعة الفاحشة.

المبحث الرابع: حب الدنيا.

المبحث الخامس: حب الشهوات.



المبحث الأول: حب الأنداد

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾^(١).

الند لغة:

قال ابن منظور: (النِّدُّ بالكسر: المثل والنظير)^(٢). والجمع أنداد^(٣).

قال ابن فارس: (النِّدُّ والتَّئِيدُ: الذي ينادُ في الأمر أي يأتي برأي غير صاحبه)^(٤).

ولا يكون الند إلا مخالفاً^(٥).

قال الأخفش في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾^(٦) قال: (النَّدُّ الضَّدُّ والشَّبَّةُ).

(١) سورة البقرة، بعض آية: ١٦٥.

(٢) لسان العرب (٤٢٠/٣).

(٣) لسان العرب (٤٢٠/٣)، والمصباح المنير (٨٢٠/٢) مادة ندد.

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣٥٥/٥).

(٥) المصباح المنير (٨٢٠/٢).

(٦) سورة البقرة، بعض آية: ١٦٥.

قال: وقوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾^(١) أي أصداداً وأشباهاً، وفلانٌ نِدٌ فلان ونديده أي مثله وشبهه.

ويقال للرجل إذا خالفك فأردت وجهاً تذهبُ فيه، ونازعتك في ضده، فلانٌ نِدِيٌّ ونِدِيدِيٌّ للذي يريد خلاف الوجه الذي تُريد وهو يستقل من ذلك بمثل ما تستقلُّ به، وقال حسان^(٢):

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِنِدٍ فَشَرُّكُمْ لَخَيْرٍ كَمَا الْفِدَاءُ
ويقال: ناددتُ فلاناً أي خالفته^(٣).

قال الراغب: (نِدٌ الشيء: مُشاركه في جوهره، وذلك ضرب من المماثلة، فإن المثل يُقال في أي مشاركة كانت، فكلُّ نِدٍ مثل، وليس كلِّ مثل نِدًا)^(٤).

والند اصطلاحاً:

وقال الشيخ ابن عاشور: (والنِد بكسر النون المساوي والمماثل في أمر من مجدٍ أو حرب)^(٥).

وعند المفسرين: من يطلب منه ما لا يطلب إلا من الله عز وجل، أو يؤخذ عنه ما لا يؤخذ إلا عن الله تعالى^(٦).

النِد: هو المثل المنازع وناددت الرجل نافرته من نَدٍّ ندوداً إذ نفر كأن

(١) سورة الزمر، بعض آية: ٨.

(٢) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري، الخزرجي، أبو عبد الرحمن أو أبو الوليد، شاعر رسول الله ﷺ، مشهور ت ٥٤هـ وله ١٢٠ سنة. تقريب التهذيب ص ١٥٧.

(٣) تهذيب اللغة (٧١/٤)، ولسان العرب (٤٢٠/٣).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٩٦.

(٥) التحرير والتنوير (٣٣٤/١).

(٦) تفسير المنار (٥٤/٢).

كل واحد من الندين يناد صاحبه أي ينافره ويعانده، فإن قيل: إنهم لم يقولوا إن الأصنام تنازع الله. قلنا: لما عبدوها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة قادرة على منازعته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بلفظ الند شنع عليهم بأنهم جعلوا أنداداً كثيرة لمن لا يصلح أن يكون له ند قط.

المراد بالأنداد:

اختلفوا في المراد بالأنداد على أقوال^(١):

أحدهما: أنها - الأوثان - التي اتخذوها آلهة لتقربهم إلى الله زلفى، ورجوا من عندها النفع والضرر، وقصدوها بالمسائل، ونذروا لها النذور، وقربوا لها القرابين، وهو قول أكثر المفسرين، وعلى هذا فالأصنام أنداد بعضها لبعض، أي أمثال ليس أنها أنداداً لله، أو المعنى أنها أنداداً لله تعالى بحسب ظنونهم الفاسدة.

وثانيها: أنهم السادة الذين كانوا يطيعونهم فيحلون لمكان طاعتهم ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله.

قال السدي: الأنداد من الرجال يطيعونهم كما يطيعون الله إذا أمر، وهم أطاعوهم وعصوا الله^(٢).

وثالثها: في تفسير الأنداد قول الصوفية والعارفين، وهو أن كل شيء شغلت قلبك به سوى الله تعالى، فقد جعلته في قلبك نداً لله تعالى وهو المراد من قوله ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ﴾^(٣).

(١) التفسير الكبير (٢/١٧٤).

(٢) الدر المنثور (١/٤٠١).

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٤٣.

أقسام الأنداد:

قال السيد محمد رشيد رضا: (قسم المفسرون الأنداد إلى قسمين:

القسم الأول: يعمل بالاستقلال أي يقضي حاجة من يلجأ إليه بنفسه.

والقسم الثاني: يشفع عند الله تعالى ويتوسط لصاحب الحاجة فتقضى، وإنما كان الشفيع نداءً لأنه يستنزل من يشفع عنده عن رأيه ويحول من إرادته، وتحويل الإرادة لا بد أن يكون مسبقاً بتغيير العلم بالمصلحة والحكمة إذ الإرادة تابعة للعلم دائماً، وهذا هو المعروف من معنى الشفاعة عند السلاطين والحكام وهو محال على الله تعالى.

وأما القسم الثالث الآخر هو: من يتبع في الدين من غير أن يكون مبيّناً للناس ما جاء عن الله تعالى ورسوله، فيعمل بقوله وإن لم يعرف دليله، ويتخذ رأيه ديناً واجب الاتباع، وإن ظهر أنه مخالف لما جاء عن الله ورسوله؛ اعتماد على أنه أعلم بالوحي ممن قلده دينهم، وأوسع منهم فهماً فيما نزل الله. وفي هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿أَتَّخِذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾^(١) (٢).

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ ليس المراد محبة ذاتهم فلا بد من محذوف، والمراد يحبون عادتهم أو التقرب إليهم والانقياد لهم، أو جميع ذلك^(٣).

قال العلامة الألوسي: (والمراد بالمحبة هنا التعظيم والطاعة أي أنهم يسوون بين الله تعالى وبين الأنداد المتخذة فيعظمونهم ويطيعونهم كما يعظمون الله تعالى ويميلون إلى طاعته)^(٤).

وقال الإمام الرازي: وقوله ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

- قيل فيه كحبهم لله.

(١) سورة التوبة، بعض آية: ٣٧.

(٢) تفسير المنار (١٧٤/٢).

(٣) التفسير الكبير (١٧٤/٢).

(٤) روح المعاني (٤٣٢/١).

- وقيل فيه كالحب اللازم عليهم الله .

- وقيل فيه كحب المؤمنين لله .

ولعل السبب في اختلافهم إلى هذه الأقوال، هو اختلافهم في هل كانوا يعرفون الله أم لا؟

فمن قال: كانوا يعرفون مع اتخاذهم الأنداد تأول على أن المراد كحبهم لله .

ومن قال: إنهم كانوا عارفين بربهم حمل الآية على أحد الوجهين الباقيين إما كالحب اللازم لهم أو كحب المؤمنين لله والقول الأول أقرب لأن قوله ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ راجع إلي الناس الذين تقدم ذكرهم، وظاهر قوله ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ يقتضي حباً لله ثابتاً فيهم، فكأنه تعالى بيّن في الآية السالفة أن الآلهة واحد، ونبه على دلالة، ثم حكى قول من يشرك معه، وذلك يقتضي كونهم مقرّين بالله تعالى^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فمن أحب شيئاً، أو عظمة كما يعظم الله فقد جعله لله نداً، وإن كان يقول: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، وأنهم شفاعواً عند الله .

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(٢) أي يحبونهم كما يحبون الله، والذين آمنوا أشد حباً لله منهم، لأنهم أخلصوا لله، فلم يجعلوا المحبة مشتركة بينه وبين غيره، فإن الاشتراك فيها توجب نقصها، والله لا يتقبل ذلك^(٣).

وكما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغني الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك

(١) التفسير الكبير (١٧٥/٢).

(٢) سورة البقرة، بعض آية: ١٦٥.

(٣) قاعدة في المحبة ص ١٠٢.

فيه غيري فأنا منه بريء، وهو كله للذي أشرك»^(١).

وقال ابن القيم: (أن من أحب من دون الله شيئاً، كما يحب الله تعالى، فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً، فهذا ند في المحبة، لا في الخلق والربوبية، فإن أحداً من أهل الأرض لم يثبت هذا الند في الربوبية، بخلاف ند المحبة، فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم)^(٢).

من أعظم الذنوب اتخاذ الأنداد:

فمن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله قال: سألت النبي ﷺ: «أي الذنب أعظم عند الله؟» قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قلت: «إن ذلك لعظيم»، قلت: «ثم أي؟» قال: «وأن تقتل ولدك وتخاف أن يطعم معك»، قلت: «ثم أي؟» قال: «أن تزاني حليلة جارك»^(٣).

وأنزل الله تصديق ذلك: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾^(٤) فدعاء إله آخر مع الله هو اتخاذ ند من دون الله، يحبه كحب الله، إذ أصل العبادة المحبة.

أكبر الفتن وأعظمها:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وفتنة الذين يتخذون من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله من أعظم الفتن، ومنه فتنة أصحاب العجل، كما قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾^(٥) وقال

(١) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الزهد - باب تحريم الرياء (١١٥/٨) بنحوه، وابن

ماجه في السنن: كتاب الزهد - باب الرياء والسمعة (١٤٠٥/٢).

(٢) مدارج السالكين (٢٠/٣، ٢١).

(٣) رواه البخاري في الصحيح: كتاب التفسير - باب فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون (٢٠٥/٨) ح (٤٤٧٧).

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٨.

(٥) سورة طه، الآية: ٨٥.

تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ إِلَّا فِتْنَتَكَ تُوَلِّتُنَّ مِنْهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَأَشْرِكُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾^(٢).

قيل لسفيان بن عيينة: «إن أهل الأهواء يحبون ما ابتدعوه من أهوائهم حباً شديداً»، فقال: أنسيت قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾^(٣) وكل ما أحب لغير الله به فقد يحصل به من الفتنة ما يمنع أن يكون الدين لله^(٤).



(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة البقرة، بعض آية: ٩٣.

(٣) سورة البقرة، بعض آية: ١٦٥.

(٤) قاعدة في المحبة ص ٨٨.

المبحث الثاني: حب الثناء والمدح

تميل النفس البشرية إلى حب المدح والثناء عليها، وهذا أمر طبيعي منها، لأن المدح له دور إيجابي في النفس نحو التقدم والتطور للأفضل. وكذا في رقي المجتمع وازدهاره فبغض النظر عن المرحلة العمرية التي تمرّ فيها النفس البشرية نجدتها تأنس وتسعد لكلمات الثناء والإطراء سواء كان لجملة سليمة تلفظ بها الطفل، أو واجب مدرسي أنجزه الطالب، أو عادة سيئة تركها الصبي، أو خلق حميد تحلت به البنت، أو عمل بناء قام به الرجل، أو رقي للتعليم أدته امرأة، أو حسن تربية للأبناء قام به الإثنان معاً الأب والأم.

فبغض النظر عن العمل، ونوعه، ومدى أهميته، نجد السعادة والفرجة تغمر صاحبها لإنجازه هذا العمل البسيط أو العظيم.

ولكن الذي يخشى منه هو أن يحب الإنسان المدح فيما لم يفعل، أو يقول أنه فعل كذا وكذا وهو لم يقم بأي شيء من ذلك حتى ينال المدح والثناء من الناس، وقد ذم الله عز وجل هذا الصنف من الناس،

قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

المدح لغةً:

قال ابن فارس: (الميم والداد والحاء أصلٌ صحيح يدلُّ على وصفٍ محاسنٍ بكلامٍ جميل)^(١).

والمَدْحُ: نَقِيضُ الهِجَاءِ، وهو حُسْنُ الشَّاءِ^(٢).

وَمَدَحَتُهُ مَدْحًا أَثْنَيْتَ عَلَيْهِ بما فيه من الصفات الجميلة خلقية كانت أو اختيارية ولهذا كان المدح أعم من الحمد^(٣).

يُقال: مَدَحْتُهُ مَدْحَةً وَاِحِدَةً، وَالْمَدْحَةُ: اسم المَدِيحِ، والجمع مِدْحٌ، والمصدر المدح^(٤).

وَمَدَحَهُ يَمْدَحُهُ مَدْحًا: أَحْسَنَ عَلَيْهِ الشَّاءَ^(٥)، يُقال: فلان يَتَمَدَّحُ إذا كان يُقَرِّطُ نفسه ويشني عليها^(٦).

والمَدَائِحُ: جمع المديح من الشعر الذي مُدِّحَ به كالمَدْحَةِ والأُمْدَحَةِ، ورجل مَادِحٌ من قوم مُدِّحٍ ومَدِيحٌ مَمْدُوحٌ. وَتَمَدَّحَ الرَّجُلُ: تَكَلَّفَ أَنْ يَمْدَحَ^(٧).

والمَمْدَاحُ ضِدُّ المَقَابِحِ. وَرَجُلٌ مَدَّاحٌ: كَثِيرُ المَدْحِ لِلْمُلُوكِ^(٨).

المدح اصطلاحاً:

المدح هو الثناء باللسان على الجميل مطلقاً سواء كان من الفواضل أو من الفضائل، وسواء كان اختيارياً أو غير اختياري، ولا يكون إلا قبل النعمة

(١) معجم مقاييس اللغة (٣٠٨/٥) مادة مدح.

(٢) تهذيب اللغة (٤٣٤/٤)، ولسان العرب (٥٨٩/٢).

(٣) المصباح المنير (٧٧٧/٢).

(٤) تهذيب اللغة (٤٣٤/٤)، ولسان العرب (٥٨٩/٢).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٣٠٨/٥).

(٦) تهذيب اللغة (٤٣٤/٤).

(٧) لسان العرب (٥٩٠/٢).

(٨) تهذيب اللغة (٤٣٤/٤).

ولهذا لا يُقال مدحت الله إذ لا يتصور تقدم وصف الإنسان على نعمة الله بوجه من الوجوه لأن نفس الوجود نعمة من الله تعالى^(١).

سبب النزول:

وقد ورد في سبب نزول الآية الكريمة، عدة روايات، ولكل منها حادثة وقعت، ولكنها جميعاً تركز على أمر واحد، حب الشاء والمدح على أمر لم يفعله الإنسان:

السبب الأول: المنافقون:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ، كان إذا خرج رسول الله إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدهم بما لم يفعلوا، فنزلت ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾^(٢).

السبب الثاني: اليهود:

فعن ابن أبي مليكة أن علقمة بن وقاص أخبره أن مروان قال لبوابه: «اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمده بما لم يفعل معذباً لتعذبن أجمعون». فقال ابن عباس: «ما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم. ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ كذلك حتى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُتُوا وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾^(٣).

(١) الكليات ص ٨٥٧.

(٢) رواه البخاري في الصحيح: كتاب التفسير - باب ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُتُوا﴾ (٢٩٣/٨) ح (٤٥٦٧).

(٣) رواه البخاري في الصحيح: كتاب التفسير - باب ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُتُوا﴾ (٢٩٤/٨) ح (٤٥٦٨).

وقال الإمام الطبري: (لا تحسبن، يا محمد، الذين يفرحون بما أتوا من كتمانهم الناس أمرك، وأنتك لي رسول مرسل بالحق، وهم يجدونك مكتوباً عندهم في كتبهم، وقد أخذت عليهم الميثاق بالإقرار بنبوتك، وبيان أمرك للناس، وأن لا يكتموهم ذلك، وهم مع نقضهم ميثاقى الذي أخذت عليهم بذلك، يفرحون بمعصيتهم إياي في ذلك، ومخالفتهم أمري، ويحبون أن يحمدهم الناس بأنهم أهل طاعة الله وعبادة وصلاة وصوم، واتباع لوجيه وتنزيله الذي أنزل على أنبيائه، وهم من ذلك أبرياء أخلياء، لتكذيبهم رسوله، ونقضهم ميثاقه الذي أخذ عليهم، لم يفعلوا شيئاً مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه)^(١).

وقد جمع الإمام الرازي أصناف هؤلاء القوم الذين يفرحون بفعلهم ويحبون أيضاً أن يحمدا بما لم يفعلوا، فقال إن المفسرين ذكروا فيه وجوهاً:

الأول: أن هؤلاء اليهود يحرفون نصوص التوراة ويفسرونها بتفسيرات باطلة وروجونها على الأغمار من الناس، ويفرحون بهذا الصنع ثم يحبون أن يحمدا بأنهم أهل الدين والديانة والعفاف والصدق والبعد عن الكذب وهو قول ابن عباس.

وأنت إذا أنصفت عرفت أن أحوال أكثر الخلق كذلك، فإنهم يأتون بجميع وجوه الحيل في تحصيل الدنيا ويفرحون بوجودان مطلوبهم، ثم يحبون أن يحمدا بأنهم أهل العفاف والصدق والدين.

والثاني: روي أنه عليه الصلاة والسلام سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروا بخلافه، وأروه أنهم قد صدقوه وفرحوا بذلك التلبيس، وطلبوا من الرسول عليه الصلاة والسلام أن يثني عليهم بذلك، فأطلع الله رسوله على هذا السر.

(١) جامع البيان (٥٤٩/٣).

والمعنى أن هؤلاء اليهود فرحوا بما فعلوا من التلبس وتوقعوا منك أن تثني عليهم بالصدق والوفاء.

والثالث: يفرحون بما فعلوا من كتمان النصوص الدالة على مبعث محمد ﷺ، ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم، حيث ادعوا أن ابراهيم عليه السلام كان على اليهودية وأنهم على دينه. ولعل هذا يوافق السبب الثاني الذي أوردناه في سبب نزول الآية.

والرابع: أنه نزل في المنافقين فإنهم يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين على سبيل النفاق حيث كانوا يتوصلون به إلى تحصيل مصالحهم في الدنيا، ثم كانوا يتوقعون من النبي ﷺ أن يحمدهم على الإيمان الذي لم يكن موجوداً في قلوبهم.

والخامس: قال أبو سعيد الخدري نزلت في رجال من المنافقين كانوا يتخلفون عن رسول الله في الغزو، ويفرحون بقعودهم عنه فإذا قدم اعتذروا إليه فيقبل عذرهم، ثم طمعوا أن يثني عليهم كما كان يثني على المسلمين المجاهدين - ولعل هذا يوافق السبب الأول من أسباب النزول الذي أوردناه.

والسادس: المراد من كتمانهم ما في التوراة من أخذ الميثاق عليهم بالاعتراف بمحمد ﷺ، وبالإقرار بنبوته ودينه، ثم إنهم فرحوا بكتمانهم لذلك وإعراضهم عن نصوص الله تعالى، ثم زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وقالوا: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة.

والأولى أن يحمل على الكل، لأن جميع هذه الأمور مشتركة في قدر واحد، وهو أن الإنسان يأتي بالفعل الذي لا ينبغي ويفرح به، ثم يتوقع من الناس أن يصفوه بسداد السيرة واستقامة الطريقة والزهد والإقبال على طاعة الله^(١).

وقال الشهيد سيد قطب: (إذا كان سبب النزول عن اليهود، فهناك مناسبة في السياق من أهل الكتاب، وكتمانهم لما ائتمنهم الله عليه من

(١) التفسير الكبير (٣/٤٥٧، ٤٥٨) بتصرف.

الكتاب ليبيته للناس ولا يكتُمونه. ثم هم يكتُمونه، ويقولون غير الحق ويمضون في الكذب والخداع، حتى ليطلبوا أن يحمدا على الكذب وردهم المفترى.

وأما إذا كان سبب النزول عن المنافقين، ففي سياق السورة حديث عن المنافقين يصلح أن تلحق به هذه الآية، وهي تصور نموذجاً من الناس يوجد على عهد الرسول ﷺ ويوجد في كل جماعة. نموذج الرجال الذين يعجزون عن احتمال تبعة الرأي، وتكاليف العقيدة، فيقعدون متخلفين عن الكفاح. فإن غلب المكافحون وهزموا رفعوا هم رؤوسهم وشمخوا بأنوفهم، ونسبوا إلى أنفسهم التعقل والحصافة والأناة... أما إذا انتصر المكافحون وغنموا، فإن أصحابنا هؤلاء يتظاهرون بأنهم كانوا من مؤيدي خطتهم، ويتحلون لأنفسهم يداً في النصر، ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا.

إنه نموذج من نماذج البشرية يقتات الجبن والادعاء. نموذج يرسمه التعبير القرآني في لمسة أو لمستين. فإذا ملامحه واضحة للعيان، وسماته خالدة في الزمان... وتلك طريقة القرآن^(١).

﴿يَمَفَازِرَ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ أي بمنجاة منه، وقال الفراء: أي يبعد من العذاب، لأن الفوز معناه التباعد من المكروه، وذكر ذلك في قوله ﴿فَقَدَّ فَازًا﴾.

ثم حقق ذلك بقوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ولا شبهة أن الآية واردة في الكفار المنافقين الذين أمر الله رسوله ﷺ بالصبر على أذاهم^(٢).

حب المحمدة بالحق من غرائز الفطرة:

قال السيد محمد رشيد رضا: (لولا أن حب المحمدة بالحق على العمل النافع من غرائز الفطرة التي يستعان بها على التربية العالية لما قيد الله

(١) في ظلال القرآن (١/٥٤٢).

(٢) التفسير الكبير (٩/٤٥٨).

الوعيد على حب الحمد بقوله ﴿بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ فهذا القيد يدل على أن حب الثناء على العمل النافع غير مذموم ولا متوعد عليه، وهذا هو الذي يليق بدين الفطرة، بل جاء في الكتاب الحكيم ما يدل على مدح هذه الغريزة كقوله تعالى لنبيه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(١) نعم إن هناك مرتبة أعلى من مرتبة من يعمل الحسنات ليحمد عليها، وهي مرتبة من يعملها حباً بالخير لذاته وتقرب به إلى الله تعالى^(٢).

أضرار المدح بالحق:

يذكر السيد محمد رشيد رضا: (إن المدح بالحق لا يخلو من بعض الأحوال من ضرر في الممدوح، ومنها على سبيل المثال:

- الغرور والعجب بالعمل الذي أداه ونال منه ثناء وحمد الناس عليه.
- فتور الهمة عن الثبات نتيجة للغرور والعجب.
- المواظبة على العمل الذي حمد عليه، حتى يسمع كلمات الإطراء والثناء باستمرار^(٣).

ولعل هذا هو سبب النهي عن المدح في حديث أبي بكرة^(٤) قال: إن رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيراً، فقال النبي ﷺ: «ويحك - وفي رواية ويملك - قطعت عنق صاحبك - بقوله مرتين. إن كان أحدكم مادحاً لأخيه فليقل أحسبه كذا وكذا وإن كان يرى أنه كذلك وحسبه الله، ولا يزكي على الله أحداً»^(٥).

(١) سورة الانشراح، بعض آية: ٤.

(٢) تفسير المنار (٢٣٨/٤).

(٣) تفسير المنار (٢٣٨/٤) بتصرف.

(٤) نفع بن الحارث بن كلدة، ابن عمرو الثقفي، أبو بكرة، صحابي مشهور بكنيته، وقيل اسمه مسروح، أسلم بالطائف، ثم نزل البصرة ومات بها سنة ٥١ أو ٥٢ هـ. تقريب التهذيب ص ٥٦٥.

(٥) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الزهد - باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط (١٢٦/١٨)، وابن ماجه في السنن: كتاب الأدب - باب المدح (١٢٣٢/٢) ح (٣٧٤٤).

المبحث الثالث: إشاعة الفاحشة

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١).

الفاحشة لغة:

قال ابن فارس: (الفاء والحاء والشين كلمة تدلُّ على قبحٍ في شيءٍ وشناعة. من ذلك الفُحش والفَحشاء والفاحشة) (٢).

قال ابن سيده (٣): (الفُحش والفَحشاء والفاحِشَةُ القبيحُ من القول والفعل. وجمعها الفواحش) (٤).

وأفحش عليه في المنطق أي قال الفُحش (٥).

(١) سورة النور، الآية: ١٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤/٤٧٨) مادة فحش.

(٣) علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده، أبو الحسن، إمام في اللغة وأدبها، ولد بمرسية (في شرق الأندلس)، وكان ضريراً، نبغ في آداب اللغة ومفرداتها، فصنف «المخصص» و«المحكم والمحيط الأعظم» ت ٤٥٨هـ. الأعلام (٤/٢٣٦)، وأبجد العلوم (٧/٣).

(٤) وبه قال الراغب انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٢٦.

(٥) لسان العرب (٦/٣٢٥).

والفحشاء: اسم الفاحشة، وكل شيء جاوز حدّه وقدره فهو فاحش^(١). وأفحش الرجل إذا قال قولاً فاحشاً، وقد فحش علينا فلان، وإنه لفحاش، وكل أمر لا يكون موافقاً للحق فهو فاحشة^(٢).

وكل خصلة قبيحة، فهي فاحشة من الأقوال والأفعال^(٣).

والفاحشة اصطلاحاً:

قال الجزجاني: (هي التي توجب حداً في الدنيا، والعذاب في الآخرة)^(٤).

تحدث الآية الكريمة عن عنصر خطير من عناصر المجتمع مهمته نشر الرذيلة في صفوف المؤمنين، بغية منه في إضعاف صورة المجتمع الآمن، وكذلك تشويه سمعة المؤمنين به خاصة، خاصة من تصدر منهم لحمل لواء الدعوة إلى الله عزّ وجلّ.

مناسبة الآية:

وقد مارس هذا العنصر دوره، في مجتمع الرسول ﷺ، وقد روج لهذه الفاحشة، ضد أشرف النساء، متهماً المصطفى ﷺ في عرضه، وذلك في حادثة الإفك، فبين سبحانه وتعالى ما عليه أهل الإفك وما على من سمع منهم، وما ينبغي أن يتمسكوا به من آداب الدين في شرعته ثم اتبعه بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾.

قال الإمام الطبري: (إن الذين يحبون إن يذيع الزنا في الذين

(١) انظر تهذيب اللغة (٤/١٨٨)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/٤٧٨)، ولسان العرب (٦/٣٢٦)، والكليات ص ٦٧٥.

(٢) تهذيب اللغة (٤/١٨٨).

(٣) لسان العرب (٦/٣٢٥).

(٤) التعريفات ص ١٨٧.

صدقوا بالله ورسوله، ويظهر ذلك فيهم، لهم عذاب أليم، يقول: لهم عذاب موجه في الدنيا، بالحد الذي جعله الله حداً لرامي المحصنات والمحصنين إذا رموهم بذلك، وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مصرأً على ذلك غير تائب^(١).

وقال الإمام البقاعي: (عبر بالحب إشارة إلى أنه لا يرتكب هذا مع شناعته إلا محب له، ولا يحبه إلا بعيد عن الاستقامة ﴿أَنْ تَشِيعَ﴾ أي تنتشر بالقول أو بالفعل ﴿أَلْفَحِشَةً﴾ أي الكبيرة القبح ويصير لها شيعة يحامون عليها ﴿فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ولو كانوا في أدنى درجات الإيمان فكيف بمن تسنم ذروته، وتبوأ غايته^(٢).

وقال الإمام الرازي: ظاهر القول يفيد العموم وأنه يتناول كل من كان بهذه الصفة، ولا شك أن هذه الآية نزلت في قذف السيدة عائشة رضي الله عنها إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فوجب إجراؤها على ظاهرها في العموم.

وذلك ليعلم أن من أحب شيوع الفاحشة فقد شارك في هذا الذم كما شارك فيه من فعله ومن لم ينكره، وليعلم أهل الإفك كما عليهم العقوبة فيما أظهوره، فكذلك يستحقون العقاب بما أسروه من محبة إشاعة الفاحشة في المؤمنين.

وهذا يدل على وجوب سلامة القلب للمؤمنين كوجوب كف الجوارح والقول عما يضر بهم^(٣).

وقال قتادة في ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾: أي يحبون أن يظهر الزنا^(٤).

(١) جامع البيان (٢٨٧/٩).

(٢) نظم الدرر (٢٣٣/١٣).

(٣) التفسير الكبير (٣٤٥/٨) بتصرف.

(٤) الدر المنثور (١٦١/٦).

فمراد هذه الفئة من الناس أن ينتشر الزنا في المؤمنين والمؤمنات، ولعل السبب في تخصيص الذين آمنوا بالذكر ذلك لتشويته سمعة المؤمنين، وبيان عدم مقدرة الإيمان على صرفهم عن الرذيلة.

وقال الرازي نقلاً عن أبي مسلم قال: الذين يحبون هم المنافقون يحبون ذلك فأوعدهم الله تعالى في الدنيا على يد الرسول ﷺ بالمجاهدة لقوله ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾^(١)، وأن لهم الحظ الأوفر من العذابين حيث أحبوا الشيوخ وأشاعوا^(٢).

وقال الشيخ ابن عاشور: (وجعل الوعيد على المحبة لشيوع الفاحشة في المؤمنين تنبيهاً على أن محبة ذلك تستحق العقوبة لأن محبة ذلك دالة على خبث النية نحو المؤمنين).

ومن شأن تلك الطوية أن لا يلبث صاحبها إلا يسيراً حتى يصدر عنه ما هو محب له أو يسرّ بصدور ذلك من غيره، فالمحبة هنا كناية عن التهيؤ لإبراز ما يحب وقوعه وجيء بصيغة الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار^(٣).

﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ اختلف أهل العلم في عذاب الدنيا:

قال بعضهم: إقامة الحد عليهم.

وقال بعضهم: هو الحد واللعن والعداوة من الله والمؤمنين.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فهو حسن الوقع بهذا الموضع لأن محبة القلب كامنة ونحن لا نعلمها إلا بالإمارات، أما الله سبحانه فهو لا يخفى عليه شيء، فصار هذا الذكر نهاية في الزجر لأن من أحب إشاعة الفاحشة وإن بالغ في إخفاء تلك المحبة فهو يعلم أن الله تعالى يعلم ذلك

(١) سورة التوبة، بعض آية: ٧٣.

(٢) التفسير الكبير (٣٤٦/٨).

(٣) التحرير والتنوير (١٨٤/١٨).

منه وإن علمه سبحانه بذلك الذي أخفاه كعلمه بالذي أظهره ويعلم قدر الجزاء عليه^(١).

المراد من محبة الشيوخ:

قال العلامة الألويسي: (قال بعضهم: المراد من محبة الشيوخ الإشاعة بقرينة ترتب العذاب عليها فإنه لا يترتب إلا على الإشاعة دون المحبة التي لا اختبار فيها، وإن سلم أن المراد بها محبة تدخل تحت الاختيار وهي ما يترتب عليها العذاب. قلنا: إن ذلك هو العذاب الأخروي دون العذاب الدنيوي مثل الحد).

وقد فسر ابن عباس وابن جبير العذاب الأليم في الدنيا هنا بالحد وهو لا يترتب على المحبة مطلقاً بالاتفاق، ومن هنا قيل أيضاً: إن ذكر المحبة من قبيل الاكتفاء عن ذكر الشيء وهو الإشاعة بذكر مقتضيه تنبيهاً على قوة المقتضى.

وقيل: إن الكلام على التضمين أي يشيعون الفاحشة محيين شيوعها لأن كلا معنى المحبة والإشاعة مقصودان^(٢).

وقال الشيخ ابن عاشور: (وتلك المحبة شيء غير الهم بالسيئة وغير حديث النفس لأنهما خاطران يمكن أن ينكف عنهما صاحبهما، وأما المحبة المستمرة فهي رغبة في حصول المحبوب).

فالوعيد هنا على محبة وقوع ذلك فالمستقبل كما هو مقتضى قوله ﴿أَنْ تَشِيْعَ﴾ لأن (أن) تخلص المضارع للمستقبل وأما المحبة الماضية فقد عفا الله عنها بقوله ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَنْفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣)^(٤).

(١) التفسير الكبير (٣٤٦/٨).

(٢) روح المعاني (٣١٨/٩).

(٣) سورة النور، الآية: ١٤.

(٤) التحرير والتنوير (١٨٤/١٨).

آداب الآية الكريمة:

١ - إن على المؤمن ألا يحب لإخوانه المؤمنين إلا ما يحبه لنفسه، عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه»^(١).

فكما أنه لا يجب أن يشيع عن نفسه خبر سوء كذلك يجب عليه ألا يحب إشاعة السوء عن إخوانه المؤمنين.

٢ - أن يفكر المؤمن بأضرار إشاعة الفواحش على الفرد وأسرته وعلى المجتمع.

٣ - أن يتذكر أن هذا سبيل الشيطان - إشاعة الفاحشة - حتى يفسد وتضعف العلاقة بين صفوف المؤمنين.



(١) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الإيمان - باب الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٧٩/١) ح (١٣).

المبحث الرابع: حب الدنيا

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٣) (١).

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٧) (٢).

الدنيا لغة:

قال ابن فارس: الدال والنون والحرف المعتل أصل واحد يُقاس بعضه على بعضه، وهو المقارَبة. ومن ذلك الدُّنْيُ، وهو القريب. والدنو القرب من دنا يدنو (٣).

والدُّنْيَا: نقيضُ الآخرة، انقلبت الواو فيها ياءً لأن فُعلى إذا كانت اسماً من ذوات الواو أبدلت وأوها ياءً، كما أبدلت الواو مكان الياء في فَعلى، فأدخلوها عليها من فُعلى لِيَتَكَافَأَ في التغير (٤).

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٧.

(٣) معجم مقاييس اللغة (٣٠٣/٢) بتصرف مادة دنا أو يدنو.

(٤) لسان العرب (٢٧٣/١٤).

قال الليث: وَسُمِّيَتِ الدُّنْيَا لِأَنَّهَا دَنْتٌ وَتَأَخَّرَتِ الْآخِرَةُ، وكذلك السماء الدنيا هي القُربى إلينا، والنسبة إلى الدنيا دُنْيَاوِي^(١). وقيل: سميت الدنيا لدُنُوها^(٢).

والدُّنْيَا أيضاً: اسمٌ لهذه الحياةِ لُبَعْدِ الآخرةِ عنها، والسماءُ الدُّنْيَا لقُربها من ساكني الأرض^(٣).

معنى الآية:

يتضح لنا في الآيتين الكريمتين نوعاً من الحب المذموم الذي يذمه الله سبحانه وتعالى، وذلك هو استحباب الحياة الدنيا وما فيها وتفضيلها على الحياة الآخرة، وهذا من سمات الكافرين، كما بيّنته الآيات السابقة واللاحقة لتلك الآيتين الكريمتين. فقد جاء في سورة إبراهيم قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَأْمُرْ بِالْفَحْشَىٰ وَالْفُجْأَىٰ، وَكَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَلْفِينَ نَبِيًّا ۚ إِنَّهُ يَتَّخِذُ الْكَافِرِينَ عِجَابًا مُّبِينًا ۗ﴾^(٤) فبيّنت الآية السابقة أن استحباب الحياة الدنيا على الآخرة من صفات الكافرين.

والاستحباب طلب محبة الشيء. قال البقاعي: (أي يطلبون أن يحبوا أو يوجدون المحبة بغاية الرغبة متابعة للهوى (الحياة الدنيا) وهي النشأة الأولى التي هي دار الارتحال، مؤثرين لها (على الآخرة) أي النشأة الأخرى التي هي دار المقام، وذلك بأن يتابعوا أنفسهم على حبها حتى يكونوا كأنهم طالبون لذلك. وهذا دليل على أن المحبة تكون بالإرادة؛ والمحبة: ميل الطباع إلى الشيء بالشهوة، فهم يمتنعون خوفاً على دنياهم التي منها رئاستهم عن سلوك الصراط)^(٥).

(١) تهذيب اللغة (١٤/١٨٨)، ولسان العرب (١٤/٢٧٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢/٣٠٣).

(٣) لسان العرب (١٤/٢٧٣).

(٤) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢، ٣.

(٥) نظم الدرر (١٠/٣٧٣).

وقال الإمام أبو السعود: (أي يؤثرونها استفعال من المحبة فإن المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب إليهما وأفضل عندها من غيره)^(١).

وقال الإمام الرازي: (إن الإنسان قد يحب الشيء ولكنه لا يحب كونه محباً لذلك الشيء، مثل من يميل طبعه إلى الفسق والفجور ولكنه يكره كونه محباً لهما، أما إذا أحب الشيء وطلب كونه محباً له، وأحب تلك المحبة فهذا هو نهاية المحبة، فقلوه ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يدل على كونهم في غاية المحبة للحياة العاجلة، ومن كان كذلك كان في غاية الصفات المذمومة، وذلك لأن هذه الحياة موصوفة بأنواع كثيرة من العيوب منها:

إحداهما: إن بسبب هذه الحياة انفتحت أبواب الآلام والأسقام والغموم والهموم والمخاوف والأحزان.

ثانيهما: إن هذه اللذات في الحقيقة لا حاصل لها إلا دفع الآلام، بخلاف اللذات الروحانية فإنها في أنفسها لذات وسعادات.

وثالثهما: إن سعادات هذه الحياة منغصة بسبب الانقطاع والانقراض والانقضاء.

ورابعهما: إنها حقيرة قليلة، وبالجملة فلا يحب هذه الحياة إلا من كان غافلاً عن معاييبها وكان غافلاً عن فضائل الحياة الروحانية الأخروية، ولذلك قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٢) فهذه الكلمة جامعة لكل ما ذكرناه.

وإنما قال: ﴿يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ لأن فيها إضماراً، والتقدير: يستحبون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة، فجمع الله تعالى بين هذين الوصفين ليتبين بذلك أن الاستحباب للدنيا وحده لا يكون مذموماً إلا

(١) إرشاد العقل السليم (٣١/٥).

(٢) سورة الأعلى، الآية: ١٧.

بعد أن يضاف إليه إثارها على الآخرة، فأما من أحبها ليصل بها إلى منافع النفس وإلى خيرات الآخرة، فإن ذلك لا يكون مذموماً حتى إذا أثرها على آخرته بأن اختار منها ما يضره في آخرته فهذه المحبة هي المحبة المذمومة^(١).

وقال الشهيد سيد قطب: (فاستحباب الحياة الدنيا على الآخرة يصطدم بتكاليف الإيمان، ويتعارض مع الاستقامة على الصراط. وليس الأمر كذلك حين تستحب الآخرة، لأنه حينئذ تصلح الدنيا ويصبح المتاع بها معتدلاً، ويراعي فيه وجه الله. فلا يقع التعارض بين استحباب الآخرة ومتاع هذه الحياة)^(٢).

ومن الصفات التي وصف الله الكفار بها قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ واعلم أن من كان موصوفاً باستحباب الدنيا فهو ضال، ومن منع الغير من الوصول إلى سبيل الله ودينه فهو مضل، فالمرتبة الأولى إشارة إلى كونهم ضالين، وهذه المرتبة الثانية وهي كونهم صادين عن سبيل الله إشارة إلى كونهم مضلين.

ومن تلك الصفات قوله: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ واعلم أن الإضلال على مرتبتين:

المرتبة الأولى: أنه يسعى في صد الغير ومنعه من الوصول إلى المنهج القويم والصراط المستقيم.

المرتبة الثانية: أن يسعى في إلقاء الشكوك والشبهات في المذهب الحق ويحاول تقبيح صفته بكل ما يقدر عليه من الحيل، وهذا هو النهاية في الضلال والإضلال^(٣).

(١) التفسير الكبير (١٦٠/٧).

(٢) في ظلال القرآن (٢٠٨٦/٤).

(٣) التفسير الكبير (٦١/٧).

﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي فهم بأفعالهم التي يفعلونها باختيارهم،
وبتلك الصفات في ضلال.

وجاء ذم الله عز وجل لاستحباب الحياة الدنيا على الآخرة في سورة النحل
أيضاً، وبين سبحانه أن ذلك من صفات الكافرين، فقال عز شأنه: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ
مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَكْثَرِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٦٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٧﴾﴾^(١).

فقد بين الحق تبارك وتعالى سبب استحباب الحياة الدنيا على الآخرة
لهذه الفئة من الناس هو انشراح صدورهم للكفر، وورغبتهم في اعتقاده -
الكفر - دون إجبار من أحد عليهم، فكان عاقبة ذلك أن حل عليهم غضب
من الله ولهم العذاب العظيم يوم القيامة.

فسبب إثارة الحياة الدنيا على الآخرة، والتشبث بما فيها من متاع،
والحرص على اقتناء جميع هذه الأمتعة، والاستعداد لمحاربة الناس لكي
ينال ذلك، ذم الله عز وجل هذا الصنف من الناس وهم - الكافرون - وهذه
المحبة المذمومة التي لا تأتي بخير على صاحبها.

قال الإمام البقاعي في قوله تعالى ﴿اسْتَحَبُّوا﴾: (أي أحبوا حباً عظيماً
الحياة الدنيا الدنيئة الحاضرة الفانية، وآثروها على الآخرة الباقية الفاخرة
لأنهم رأوا ما فيه المؤمن من الضيق والكافر من السعة)^(٢).

وقال الشيخ ابن عاشور: (وضمن ﴿اسْتَحَبُّوا﴾ معنى فضلوا فعدي
بحرف «على» أي لأنهم قدموا نفع الدنيا على نفع الآخرة، لأنهم قد استقر
في قلوبهم أحقية الإسلام وما رجعوا عنه إلا خوف الفتنة أو رغبة في رفاية
العيش، فيكون كفرهم أشد من كفر المستصحين للكفر من قبل البعثة.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ سبب ثان للغضب والعذاب،

(١) سورة النحل، الآيتان: ١٠٦-١٠٧.

(٢) نظم الدرر (١١/٢٦٠).

أي وبأن الله حرمهم الهداية فهم موقوفون على الكفر^(١).

أحوال الناس في الدنيا:

في هذه الحياة الدنيا ينقسم الناس إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من جعل همه في الدنيا العلم والعمل، والمراد بالعلم ما كان متعلقاً بذات الله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله، والعلم بشريعة نبيه محمد ﷺ، فهذا هو العلم الديني النافع، والمراد بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى، وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ألد الأشياء عنده من جميع المطاعم والمشارب. فمن كان هذا حاله فالدنيا ليست مذمومة، بل هي خير محض.

القسم الثاني: من كان همه في الدنيا التلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورة والحاجة الداخلة في جملة الرفاهية، وهذا نحو التنعم القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة والأنعام والحرث، والغلمان والجواري، والدور والقصور، فحظ العبد من هذا كله هو الدنيا المذمومة إذ ليس فيها شيء من أعمال الآخرة.

القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين، وهو كل حظ من العاجل معين على أعمال الآخرة، كقدر القوت من الطعام، والقميص من الأثواب، وكل ما لا بد ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التي يتوصل بها إلى العلم والعمل، فمن كان هذا حاله فإنه يكون متوسطاً بين القسمين الأولين، فإن قصد به وجه الله تعالى والوصول به إلى دار الآخرة فهو مثل الأول، وإن قصد به التنعم والتلذذ فهو من الثاني، ولا يبقى بعد إلا عمل الآخرة^(٢).

لم كان حب الدنيا مذموماً؟

لقد ذم الله عز وجل الدنيا في آيات كثيرة، فقال سبحانه وتعالى:

(١) التحرير والتنوير (٢٩٦/١٤).

(٢) تصفية القلوب ص ٦٦ بتصرف.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَسْجُ فَرَّتْهُ مَصْفَراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ (١).

قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ (٢).

وقال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافر منها شربة ماء» (٣).

وقال رسول الله ﷺ: «ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم» (٤).

الأسباب الباعثة على ذم الدنيا:

أ - لمخالفة باطنها لظاهرها، فالدنيا مزينة الظواهر قبيحة السراء، وهي تشبه عجوزاً متزينة تخدع الناس بظواهرها، فإذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها، تمثلت لهم قبائحها فندموا على اتباعها، قال الفضيل بن عياض: قال ابن عباس: «يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوهة خلقها فتشرف الخلائق فيقال لهم: تعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه، فيقال لهم: هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها، وتقاطعت الأرحام بها، وتحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم يقذف بها في جهنم، فتنادي: أي رب أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول الله عز وجل: ألحقوا بها أشياعها وأتباعها».

ب - لسرعة زوالها، فالدنيا مثل الظل، سريعة الفناء، قريبة الانقضاء،

(١) سورة الحديد، بعض آية: ٢٠.

(٢) سورة آل عمران، بعض آية: ١٨٥.

(٣) رواه الترمذي في السنن: كتاب الزهد - باب ما جاء في هوان الدنيا على الله (٥٦٠/٤) ح (٢٣٢٠) بإسناد صحيح غريب.

(٤) رواه الترمذي في السنن: كتاب الزهد - باب ما جاء في هوان الدنيا على الله (٥٦١/٤) ح (٢٣٢٢) بإسناد حسن غريب.

تعدنا بالبقاء، ثم تخلف بالوفاء، تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة، وهي سائرة سيراً عنيفاً.

ج - للين موردها وخشونة مصدرها، فالدنيا لينة، يظن الخائض فيها أن حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها، فتهيأت، فالخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد، وقد كتب أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه إلى سلمان الفارسي فقال: «مثل الدنيا مثل الحية لين ملمسها ويقتل سمها، فأعرض عما يعجبك فيها، لقلّة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما أيقنت من فراقها، وكن آنس ما تكون فيها احذر ما تكون منها، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه، والسلام»^(١).



(١) تصفية القلوب، ص ٧٩ بتصرف.

المبحث الخامس: حب الشهوات

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ
مَتَكِّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤﴾ (١).

الشهوات لغةً:

الشهوات جمع شهوة، وأصلها شها، من شهِت الشيء بالكسر.
وشهِيَ الشيء وشهاه يشهاه شهوةً واشتهاه وتَشهاه: أحبه ورغب فيه (٢).
قال الأزهري: (يقال: شهِيَ يشهى، وشها يشهو، إذا اشتهى) (٣).
يقال: رجلٌ شهوان، وامرأةٌ شهوى، وأنا إليه شهوانٌ، وشيء
شهويٌّ (٤).

وقوم شهاوى: ذو شهوة شديدة للأكل. والتشهى: اقتراح شهوة بعد

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) لسان العرب (٤٤٥/١٤) مادة شهى.

(٣) تهذيب اللغة (٣٥٥/٦).

(٤) تهذيب اللغة (٣٥٥/٦)، ومعجم مقاييس اللغة (٢٢٠/٣).

شهوة^(١).

وقال الأصفهاني: (أضَلُّ الشَّهْوَةِ: نُزُوعُ النَّفْسِ إِلَى مَا تُرِيدُهُ، وَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا ضَرْبَانِ: صَادِقَةٌ، وَكَاذِبَةٌ، فَالصَّادِقَةُ: مَا يَخْتَلِ الْبَدَنُ مِنْ دُونِهِ كَشَهْوَةِ الطَّعَامِ عِنْدَ الْجُوعِ، وَالكَاذِبَةُ: مَا لَا يَخْتَلِ مِنْ دُونِهِ، وَقَدْ يُسَمَّى الْمَشْتَهَى شَهْوَةً، وَقَدْ يُقَالُ لِلْقُوَّةِ الَّتِي تَشْتَهِي بِهَا الشَّيْءَ: شَهْوَةٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾^(٢) يَحْتَمِلُ الشَّهَوَاتَيْنِ، وَقَوْلُهُ ﴿وَاتَّبِعُوا الشَّهَوَاتِ﴾^(٣)، فَهَذَا مِنَ الشَّهَوَاتِ الْكَاذِبَةِ، وَمِنَ الْمَشْتَهِيَاتِ الْمَسْتَغْنَى عَنْهَا، وَقَوْلُهُ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ﴾^(٤)،^(٥).

والشهوات اصطلاحاً:

وقال الكفوي كذلك: (والشهوة ميل جبلي غير مقدور للبشر بخلاف الإرادة)^(٦).

وقال السيد محمد رشيد رضا: (هي انفعال النفس بالشعور بالحاجة إلى ما تستلذه)^(٧).

بيّن الله عزّ وجلّ في هذه الآية الكريمة الأمور التي زينها للناس في هذه الحياة الدنيا، وجعلت الكل يحرص على اقتناء شيء منها، ويتلذذ في الاستمتاع بها حين يمتلكها، وهذه طبيعة النفس البشرية في أنها تحب أن تمتلك.

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ﴾ كلام مستأنف سيق للتنفير عن الحظوظ النفسانية التي

(١) تهذيب اللغة (٦/٣٥٥).

(٢) سورة آل عمران، بعض آية: ١٤.

(٣) سورة مريم، بعض آية: ٥٩.

(٤) سورة فصلت، بعض آية: ٣١.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٦٩.

(٦) الكلبيات ص ٧٥.

(٧) تفسير المنار (٣/١٩٦).

كثيراً ما يقع القتال بسببها أثر بيان حال الكفرة والتنصيص على عدم نفع أموالهم وأولادهم لهم وقد كانوا يعتزون بذلك، والمراد من الناس الجنس^(١).

قال الإمام الطبري: (زين للناس محبة ما يشتهون من النساء والبنين وسائر ما عد وإنما أراد بذلك توبيخ اليهود الذين آثروا الدنيا وحب الرياسة فيها، على اتباع محمد ﷺ بعد علمهم بصدقه)^(٢).

من المزين؟

المزين: قيل هو الله سبحانه، وبه قال عمر بن الخطاب كما حكاه عنه البخاري وغيره^(٣)، ويؤيد قوله تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَنَّا لِيَتَّبِعُوا آلِهِمْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(٤).

وقيل المزين هو الشيطان، وبه قال الحسن، حكاه عن ابن أبي حاتم عنه^(٥).

﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ إن الشهوات ههنا هي الأشياء المشتبهات، سميت بذلك على سبيل الاستعارة للتعلق والاتصال، كما يقال للمقدور قدره، وللمرجوء رجاء وللمعلوم علم، وهذه استعارة مشهورة في اللغة، يقال: هذه شهوة فلان، أي مشتهاة^(٦).

وقال الزمخشري: (وفي تسميتها بهذا الاسم فائدتان:

إحداهما: جعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة

(١) روح المعاني (٩٦/٢).

(٢) جامع البيان (١٩٨/٣).

(٣) فتح القدير (٣٢٣/١).

(٤) سورة الكهف، الآية: ٧.

(٥) الدر المشور (١٦١/٢).

(٦) التفسير الكبير (١٥٩/٧).

محروصاً على الاستمتاع بها، والوجه أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات.
والثانية: لأن الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتباعها شاهد
على نفسه البهيمية^(١).

قال الحكماء الإنسان قد يحب شيئاً ولكنه يحب أن لا يحبه، مثل
المسلم فإنه قد يميل طبعه إلى بعض المحرمات ولكنه يحب أن لا يحب،
وأما من أحب شيئاً وأحب أن يحبه فذاك هو كمال المحبة، فإن كان ذلك
في جانب الخير فهو كمال السعادة، كما في قوله تعالى حكاية عن سليمان
عليه السلام ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾^(٢) ومعناه أحب الخير وأحب أن أكون
محباً للخير، وإن كان ذلك من جانب الشر، فهو كما قال في هذه الآية.

إن قوله ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ يدل على أمور ثلاثة مرتبة:

أولها: أن يشتهي أنواع المشتبهات.

وثانيها: أنه يحب شهوته لها.

وثالثها: أنه يعتقد أن تلك المحبة حسنة وفضيلة.

ولما اجتمعت في هذا القضية الدرجات الثلاث بلغت القصوى في
الشدّة والقوة، ولا تكاد تنحل إلا بتوفيق عظيم من الله تعالى، ثم أنه تعالى
أضاف ذلك إلى الناس، وهو لفظ عام دخله حرف التعريف فيفيد
الاستغراق، فظاهر اللفظ يقتضي أن هذا المعنى حاصل لجميع الناس،
والعقل أيضاً يدل عليه، وهو أن كل ما كان لذيذاً أو نافعاً فهو محبوب.

قال السيد محمد رشيد رضا: (ومعنى تزيين حبها لهم: أن حبها
مستحسن عندهم لا يرون فيه شيئاً (قبحاً) ولا غضاضة، قد يحب الإنسان
الشيء وهو يراه من الشين لا من الزين ومن الضار لا من النافع، ويود
لذلك لو لم يكن يحبه، ومن أحب شيئاً ولم يزين له يوشك أن يرجع عن

(١) الكشاف (٣٣٧/١).

(٢) سورة ص، بعض آية: ٣٢.

حبه يوماً، وأما من زين له حبه للشيء فلا يكاد يرجع عنه، لأن ذلك منتهى الحب، وصاحبه لا يكاد يفتن لقبحه وضرره وإن كان قبيحاً أو ضاراً، ولا يحب أن يرجع وإن تأذى به^(١).

أقسام الشهوات:

والأمور التي تشتهيها النفس البشرية سبعة كما فسرها الإمام الرازي:

أولها: النساء، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»^(٢).

وإنما قدمهن على الكل لأن التلذذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم ولذلك قال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٣).

ومما يؤكد ذلك أن العشق الشديد المغلق المهلك لا ينفق إلا في خاصة هذا النوع من الشهوة.

المرتبة الثانية: حب الولد: ولما كان حب الولد الذكر أكثر من حب الأنثى، إذ لا جرم خصه الله تعالى بالذكر ووجه التمتع بهم ظاهر من حيث السرور والتكثير بهم إلى غير ذلك، قال تعالى: ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾^(٤).

ولقد أوجد الله سبحانه وتعالى حب الزوجة والولد في قلب الإنسان لحكمة بالغة، فإنه لولا هذا الحب لما حصل التوالد والتناسل ولأدى ذلك إلى انقطاع النسل، وهذه المحبة كأنها حالة غريزية، ولذلك فإنها حاصلة لجميع الحيوانات.

والمرتبة الثالثة والرابعة: ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَفْصَةَ﴾.

(١) تفسير المنار (٣/١٩٦).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/١٢٨) قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

(٣) سورة الروم، بعض آية: ٢١.

(٤) سورة المدثر، بعض آية: ١٣.

قال ابن عباس: القنطار اثنا عشر ألف درهم، أو ألف دينار^(١).

قال الزجاج: القنطار مأخوذ من عقد الشيء وإحكامه، والقنطرة مأخوذة من ذلك لتوثقها بعقد الطاق، فالقنطار مال كثير يتوثق الإنسان به في دفع أصناف النوائب. المقنطرة منفعلة من القنطار، وهو للتأكيد، كقولهم: ألف مؤلفة.

والذهب والفضة إنما كانا محبوبين لأنهما جعلتا ثمناً لجميع الأشياء، فمالكها كالمالك لجميع الأشياء، وصفة المالكية هي القدرة، والقدرة صفة الكمال، والكمال محبوب لذاته، فلما كان الذهب والفضة أكمل الوسائل إلى تحصيل هذا الكمال الذي هو محبوب لذاته وما لا يوجد المحبوب إلا به فهو محبوب، لا جرم أن كانا محبوبين.

المرتبة الخامسة: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ قال الواحدي: الخيل جمع لا واحد له من لفظه، كالقوم والنساء والرهط، وسميت الأفراس خيلاً لخيلائها في مشيها، وسميت حركة الإنسان على سبيل الجولان اختيلاً، وسمي الخيال خيلاً. واختلف المفسرون في معنى المسومة على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها الراعية، يقال: أسمت الدابة وسومتها إذا أرسلتها في مروجها للرعي.

الثاني: المسومة المعلمة قال أبو مسلم الأصفهاني: وهي مأخوذة من السيماء بالقصر والسيما بالمد، ومعناه واحد، وهو الهيئة الحسنة، ثم قال الله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾^(٢).

الثالث: وهو قول مجاهد وعكرمة: إنها الخيل المطهمة الحسان، وقال القفال: المطهمة المرأة الجميلة.

المرتبة السادسة: ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ وهي جمع نعم، وهي الإبل والبقر

(١) جامع البيان (٣/٢٠٠).

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

والغنم، ولا يقال للجنس الواحد منها، نعم إلا الإبل خاصة فإنها غلبت عليها.

وسميت بذلك لنعومة مشيها ولينه^(١).

المرتبة السابعة: ﴿وَالْحَرْثُ﴾ المراد بالحرث الزرع والحرث وما يكون منه الزرع، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣) ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ؟^(٢) وهو يقع على كل ما يحرث ويزرع من أصناف النبات.

وقيل: إن الحرث شق الأرض، ويُقال لما يشق به: محرث.

ثم إنه تعالى لما عدد هذه السبعة قال: ﴿ذَلِكَ مَتَكُعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ قال القاضي: ومعلوم أن متاعها إنما خلق ليستمتع به فكيف يُقال إنه لا يجوز إضافة التزيين إلى الله تعالى^(٣).

وجوه الاستمتاع بمتاع الدنيا:

- أن يفرد به من خصه الله تعالى بهذه النعم فيكون مذموماً.
- أن يترك الانتفاع به مع الحاجة إليه فيكون مذموماً.
- أن ينتفع به في وجه مباح من غير أن يتوصل به بذلك إلى مصالح الآخرة وذلك لا ممدوح ولا مذموم.
- أن ينتفع به على وجه يتوصل به إلى مصالح الآخرة وذلك هو الممدوح.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ والمآب في اللغة المرجع.

والمقصود من هذا الكلام بيان لمن أتته الدنيا كان واجباً عليه أن يصرفها ما يكون فيه عمارة لمعاده ويتوصل بها إلى سعادة آخرته، ثم لما

(١) روح المعاني (٩٧/٢).

(٢) سورة الواقعة، بعض آيات: ٦٣ - ٦٤.

(٣) التفسير الكبير.

كان الغرض الترغيب في المآب وصف المآب بالحسن^(١).

يُعتبر حُب الأصناف السبعة مذموماً:

- ١ - إذا قدمه المرء على حب الله عزّ وجلّ، وحب الرسول ﷺ والجهاد في سبيل الله.
- ٢ - إذا انصب اهتمام المرء إليها وأصبحت شغله الشاغل في هذه الحياة.
- ٣ - إذا شغله الحب عن القيام بالواجبات والتكاليف التي أمر الله بها عبده.
- ٤ - إذا صرفه عن القيام بحقوق الآخرين، ممن له حق عليه مثل (الوالدين - الزوجة - الأبناء...).
- ٥ - إذا أدى إلى تقاعسه عن أداء دوره في الحياة - تعمير الكون -.



(١) التفسير الكبير (١٦١/٧، ١٦٣).

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَلْهَى عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَنَّهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٣٠) (١).

تستعرض هذه الآية الكريمة لنا صورة من صور الحب المذموم، الحب الذي يكون من طرف واحد، بقصد ارتكاب الفاحشة، لأن هذا الحب أسر صاحبه وجعله يحوم حول المحبوب إلى أن ينال مراده منه. ويتمثل ذلك في امرأة العزيز في حبها ليوسف عليه السلام، ومحاولتها اليائسة في فعل الفاحشة معه.

ويقول د. حسن شرقاوي: (وهذا النوع من الحب، وهو حب من طرف واحد، - محرم - يستهدف الزنى وهو موافقة الغواية الشيطانية والشهوات البشرية، إذ أن امرأة العزيز كانت امرأة محصنة لكن نفسها الأمانة بالسوء فُتنت بشخصية يوسف عليه السلام، ولم تستطع الصبر على شغفها به فغلقت الأبواب وأمسكت بقميصه من دبر ليفعل الفاحشة بها، ولكن يوسف النبي المعصوم لم يستجب لهذه الغواية ورفض أن يستجيب لها وانصرف عنها) (٢).

وهذا الحب الذي تمكن في قلب صاحبه فجعله يرى الحق باطلاً

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٠.

(٢) في الطب النفسي النبوي ص ٢١٥ بتصرف.

والباطل حقاً، هو الحب المذموم الذي زين الشر والمنكر في قلبه، وجعله يجري ويلهث مسرعاً لتحقيق هذه النزوات الشيطانية ولا يبالي في النتائج المترتبة على فعله المشين.

معنى الآية:

قال الإمام الرازي في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ قال الكلبي: هن أربع: امرأة ساقى العزيز، وامرأة خبازه، وامرأة صاحب سجنه، وامرأة صاحب دوابه، وزاد مقاتل وامرأة الحاجب.

والأشبه أن تلك الواقعة شاعت في البلد واشتهرت وتحدث بها النساء، وهو كلام أشبه بما بقوله النسوة في كل بيئة جاهلية عن مثل هذه الشؤون.

﴿أَمْرَاتُ الْعَزِيزِ﴾ وهي زوجة عزيز مصر أي كبير وزرائها.

ومجيء ﴿تُرْوَدُ﴾ بصيغة المضارع مع كون المرادة مضت لقصد استحضار الحالة العجيبة لقصد الإنكار عليها في أنفسهن، ولومها على صنعها.

﴿تُرْوَدُ فَنَلَّهَا عَن نَّفْسَيْهِ﴾ والفتى: الذي في سن الشباب. ويكنى به عن المملوك وعن الخادم كما يكنى بالغلام والجارية وهو المراد هنا.

وإضافته إلى ضمير «امرأة العزيز» لأنه غلام زوجها فهو غلام لها بالتبع ما دامت زوجة لمالكة^(١).

أورد الإمام السيوطي أقوال المفسرين في قوله ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ (قال ابن عباس - قتلها حب يوسف - والشغف الحب القاتل. وشغاف حجاب القلب).

وأخرج الطسى عن ابن عباس: أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله

(١) التحرير والتنوير (١٢/٢٦٠).

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قال: الشغاف في القلب في النياط، قد امتلأ قلبها من حب يوسف. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت نابغة بن ذبيان^(١) وهو يقول:

وَفِي الصَّدْرِ حُبٌّ دُونَ ذَلِكَ دَاخِلٌ وَحَوْلَ الشُّغَافِ غَيْبَتُهُ الْأَضَالِعُ

وقال الضحاك: هو الحب اللازق بالقلب.

وقال سفيان رضي الله عنه: الشغاف، جلدة رقيقة تكون على القلب بيضاء، حبه خرق ذلك الجلد حتى وصل إلى القلب^(٢).

وأصله شغفها حبه، أي أصاب حبه شغافها أي اخترق الشغاف فبلغ القلب، كناية عن التمكن^(٣).

فهي مفتونة به، بلغ حبه شغاف قلبها ومزقه، وشغاف القلب غشاءه الرقيق^(٤).

وبالجملة هذا كناية عن الحب الشديد والعشق العظيم.

﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي في ضلال عن طريق الرشد لسبب حبها إياه^(٥).

وهي السيدة الكبرى زوجة الكبير، تفتن بفتاها العبراني المشتري^(٦).



(١) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني المضري، أبو أمامة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى من أهل الحجاز، كان أحسن شعراء العرب ديباجة ت نحو ١٨ق.هـ. الأعلام (٥٤/٣).

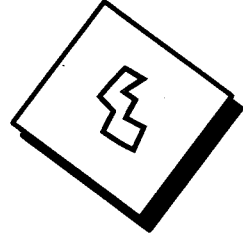
(٢) الدر المنثور (٥٢٧/٥، ٥٢٨).

(٣) التحرير والتنوير (٢٦١/١٢).

(٤) في ظلال القرآن (١٩٨٣/٤).

(٥) التفسير الكبير (٤٤٧/١٨، ٤٤٨).

(٦) في ظلال القرآن (١٩٨٣/٤).



الفصل الرابع الحب المنفى

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: محبة المنافقين وأهل الكتاب.

المبحث الثاني: تنفيذ دعوة اليهود والنصارى في محبة الله لهم
ومحبتهم لله.



المبحث الأول: محبة المنافقين وأهل الكتاب

قال تعالى: ﴿هَتَانِتمُ أَوْلَاءُ مِحبُوهمُ وَلَا يُحِبُّونَكُمُ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِّهِ وَإِذا لَقَوْكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ (١).

قال الشيخ ابن عاشور: (قصد منه المقابلة بين خلق الفريقين، فالمؤمنون يحبون أهل الكتاب وأهل الكتاب يبغضونهم، وكل إناء بما فيه ينضح، والشأن أن المحبة تجلب المحبة إلا إذا اختلفت المقاصد والأخلاق) (٢).

معنى الآية:

قال الإمام ابن جرير: (وفي هذه الآية إيانة من الله عز وجل عن حال الفريقين - أعني المؤمنين والكافرين - ورحمة أهل الإيمان ورأفتهم بأهل الخلاف لهم، وقساوة قلوب أهل الكفر وغلظتهم على أهل الإيمان).

قال قتادة في قوله: ﴿هَتَانِتمُ أَوْلَاءُ مِحبُوهمُ وَلَا يُحِبُّونَكُمُ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِّهِ﴾ فوالله أن المؤمن ليحب المنافق ويأوى له ويرحمه. ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن منه، لأباد خضراءه.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.

(٢) التحرير والتنوير (٦٥/٤) بتصرف.

وقال ابن جريج: (في قوله ﴿هَاتَتْكُمْ أَوْلَاءَ مُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ قال المؤمن خيراً للمنافق من المنافق للمؤمن يرحمه في الدنيا، لو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر عليه منه لأباد خضراءه)^(١).

ولما كان التعجيب في الآية من مجموع الحالين قيل ﴿هَاتَتْكُمْ أَوْلَاءَ مُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ فالتعجب من محبة المؤمنين إياهم في حالة بغضهم المؤمنين، ولا يذكر بعد اسم الإشارة جملة في هذا التركيب إلا والقصد التعجب من مضمون تلك الجملة^(٢).

قال الإمام الرازي: (قد ذكر الله تعالى في هذه الآية أموراً ثلاثة، كل واحد منها يدل على أن المؤمن لا يجوز أن يتخذ غير المؤمن بطانة لنفسه، فالأول: قوله ﴿مُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ وفيه وجوه:

أحدها: ﴿مُحِبُّوهُمْ﴾ تريدون لهم الإسلام وهو خير الأشياء ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لأنهم يريدون بقاءكم على الكفر، ولا شك أنه يوجب الهلاك^(٣).

الثاني: تحبونهم بسبب ما بينكم وبينهم من الرضاة والمصاهرة ولا يحبونكم بسبب كونكم مسلمين.

الثالث: تحبونهم بسبب أنهم أظهروا لكم الإيمان ولا يحبونكم بسبب أن الكفر مستقر في باطنهم.

الرابع: قال أبو بكر الأصم ﴿مُحِبُّوهُمْ﴾ بمعنى أنكم لا تريدون بقاءهم في الآفات والمحن ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ بمعنى أنهم يريدون إلقاءكم في الآفات والمحن ويتربصون بكم دوائر.

الخامس: ﴿مُحِبُّوهُمْ﴾ بسبب أنهم يظهرون لكم محبة الرسول ومحبة المحبوب محبوب ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لأنهم يعلمون أنكم تحبون الرسول وهم يبغضون الرسول ومحبة المبغوض مبغوضاً.

(١) جامع البيان (٤/٤١٠).

(٢) التحرير والتنوير (٤/٦٥).

(٣) وبه قال الشيخ الطبرسي في مجمع البيان في تفسير القرآن (٢/٢٨٨).

السادس: ﴿مُحِبُّوهُمْ﴾ أي تخالطونهم وتفشون إليهم أسراركم في أمور دينكم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ أي لا يفعلون مثل ذلك بكم^(١).

وهذه الوجوه إشارة إلى الأسباب الموجبة لكون المؤمنين يحبونهم وكونهم يبغضون المؤمنين.

فالكل داخل تحت الآية، ولما عرفهم تعالى كونهم مبغضين للمؤمنين، وعرفهم أنهم مبطلون في ذلك البغض صار ذلك داعياً من حيث الطبع، ومن حيث الشرع إلى أن يصير المؤمنون مبغضين لهؤلاء المنافقين.

والسبب الثاني: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾:

أي أنكم تؤمنون بكتبهم كلها وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم مع ذلك تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم.

وقال الزمخشري: (فيه توبيخ شديد في أنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم)^(٢) ونحوه قوله تعالى ﴿فَأَنَّهُمْ يَأْمَنُونَ كَمَا تَأْمَنُوتُ وَرَجُونَ مِنِ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾^(٣).

والسبب الثالث: ﴿وَإِذَا لَقَوُكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾.

أي إذا خلا بعضهم لبعض أظهروا شدة العداوة، وشدة الغيظ على المؤمنين، حتى تبلغ تلك الشدة إلى عض الأنامل، كما يفعل أحدنا إذا اشتد غيظه وعظم حزنه على فوات مطلوبه. ثم قال سبحانه: ﴿قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ وهو دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به، والمراد من ازدياد الغيظ ازدياد ما يوجب لهم ذلك الغيظ من قوة الإسلام وعزة أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي^(٤).

(١) وبه قال القاسمي في محاسن التأويل (٢/٣٩٤).

(٢) الكشاف (١/٣٩٨).

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٤.

(٤) التفسير الكبير (٨/٣٤٢).

وختم الآية بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من المقول أي وقل لهم أن الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظاً وإن يكون خارجاً عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من إطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بالأخفى من ضمائرهم^(١).

دلالة الآية الكريمة:

- ١ - رحمة المؤمنين ورأفتهم وطيب قلوبهم اتجاه من يخالفهم من أهل الكتاب والمنافقين وإضمار المحبة لهم والحرص عليهم.
- ٢ - قساوة قلوب أهل الكفر وغلظتهم على المؤمنين وإضمار الشر والحقدهم لهم.
- ٣ - إيمان المؤمنين بجميع الكتب المنزلة السابقة للقرآن الكريم بخلاف أهل الكتاب.
- ٤ - مخالفة الظاهر للباطن سمة من سمات المنافقين، فإذا لقوا المؤمنين أظهروا الإيمان وحلو الكلام، وإذا خلوا ببعضهم أظهروا الكفر والعداوة لهم، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا بِكُنُوفِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾^(٢).



(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص ٨٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤.

المبحث الثاني:

تفنيد دعوى اليهود والنصارى

محبة الله لهم ومحبتهم له

التقول على الله بغير دليل، افتراء وبهتان كبير، يوجب السخط والعذاب الأليم من الرب العليم القدير.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ مَحْنُ آبَتْنَا لِلَّهِ وَأَجَبْتُوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾^(١).

معنى الآية:

يطرح الإمام الرازي تساؤلاً في هذه الآية، وهو أن اليهود لا يقولون ذلك البتة، فكيف يجوز نقل هذا القول عنهم؟ وأما النصارى فإنهم يقولون في حق عيسى لا في حق أنفسهم، فكيف يجوز هذا النقل عنهم؟

أجاب المفسرون عنه من وجوه:

الأول: أن هذا من باب حذف المضاف، والتقدير نحن أبناء رسل الله، فأضيف إلى الله ما هو في الحقيقة مضاف إلى رسل الله ونظيره

(١) سورة المائدة، الآية: ١٨.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾^(١).

الثاني: أن لفظ الابن كما يطلق على ابن الصلب فقد يطلق أيضاً على من يتخذ ابناً، واتخاذهُ ابناً بمعنى تخصيصه بمزيد الشفقة والمحبة، فالقوم لما ادعوا أن عناية الله بهم أشد وأكمل من عنايته بكل ما سواهم، لا جرم عبّر الله عن دعواهم كمال عناية الله بهم بأنهم ادعوا أنهم أبناء الله.

الثالث: أن اليهود لما زعموا أن عزيزاً ابن الله، والنصارى زعموا أن المسيح ابن الله، ثم زعموا أن عزيزاً والمسيح كانا منهم، صار ذلك كأنهم قالوا نحن أبناء الله، ألا ترى أن أقارب الملك إذا فاخروا إنساناً آخر يقولون: نحن ملوك الدنيا، ونحن سلاطين العالم، وغرضهم من كونهم مختصين بذلك الشخص الذي هو الملك والسلطان فكذا ههنا.

الرابع: قال ابن عباس: أن النبي ﷺ دعا جماعة من اليهود إلى دين الإسلام وخوفهم بعقاب الله فقالوا: «كيف نخوفنا بعقاب الله ونحن أبناء الله وأحباؤه»، وهذه الرواية إنما وقعت عن تلك الطائفة^(٢).

والخامس: قال الشيخ القاسمي: نحن من الله بمنزلة الأبناء من الآباء في المنزلة والكرامة. ونحن أحباؤه لأننا على دينه^(٣).

قال الإمام ابن كثير: ونقلوا عن كتابهم أن الله تعالى قال لعبده إسرائيل: أنت ابني بكرا، فحملوا هذا على غير تأويله وحرفوه، وقد رد عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم وقالوا: هذا يُطلق عندهم على التشريف والإكرام، كما نقل النصارى عن كتابهم أن عيسى قال لهم: إني ذاهب إلى أبي أبيكم، يعني ربي وربكم، ومعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٢) التفسير الكبير (١١/٣٢٨).

(٣) محاسن التأويل (٤/٩٤).

من النبوة مما ادعوها في عيسى عليه السلام، وإنما أرادوا من ذلك معزتهم
لديه وحظوتهم عنده، ولهذا قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه^(١).

وقال الإمام الدهلوي^(٢): إن الله - تبارك وتعالى - شرف الأنبياء
والتابعين لهم بإحسان في كل ملة من الملل بوصفهم مقربين، محبوبين
مرضيين، ووصف أعداءهم والجاحدين لملتهم بالمغضوب عليهم والملعونين
والممقوتين. وجاءت هذه الصفات في كل ملة في قوالب الألفاظ والكلمات
المعروفة السائدة فيهم لما تحتمله هذه المعاني، فلا عجب إذن أن يكون
ذكر الأبناء مقام المحبوبين.

فظن اليهود أن هذا التشريف يدور على اسم اليهودي والعبري
والإسرائيلي، ولم يعلموا أنه دائر على صفة الانقياد والطاعة والخضوع،
والسير على طريق الأنبياء والمرسلين ليس غير. وكان قد ارتكز من هذا
القبيل في خاطرهم كثير من التأويلات الفاسدة المأخوذة من آبائهم
وأجدادهم، فأزال القرآن هذه الشبهات على وجه أتم^(٣).

قال الشيخ ابن عاشور: (وجملة الكلام أن اليهود والنصارى كانوا
يرون لأنفسهم فضلاً على سائر الخلق بسبب أسلافهم الأفاضل من الأنبياء
حتى انتهوا من تعظيم أنفسهم إلى أن قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه.

وقد علم الله رسوله أن يبطل قولهم بنقيضين: أولهما من الشريعة،
وهو قوله ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ يعني أنهم القائلون بأن نصيباً من
العذاب ينالهم بذنوبهم، فلو كانوا أبناء الله وأحباؤه لما عذبهم بذنوبهم،
وشأن الأب أن لا يعذب أبناءه.

(١) تفسير القرآن العظيم (٥٦/٢).

(٢) أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، أبو عبدالعزيز، الملقب شاه ولي الله،
فقيه حنفي من المحدثين، من كتبه: «الفوز الكبير في أصول التفسير» وإزالة الخفاء
عن خلافة الخلفاء» ت ١١٧٦ هـ. أبجد العلوم (٢٤١/٣)، والأعلام (١٤٩/١).

(٣) الفوز الكبير في أصول التفسير ص ٤٧، ٤٨ بتصرف.

ثم أخذت النتيجة من البرهان بقوله ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ أي ينالكم ما ينال سائر البشر، من العذاب أو المغفرة والأجر والثواب. وذلك وفق مشيئة الله عز وجل^(١).

ثم ختم الآية بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ قال الشيخ المراغي: (أي أنه تعالى الخالق ذو التصرف المطلق في كل شيء، بمقتضى علمه وحكمته وعدله وفضله، وجميع المخلوقات عبيد له، ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^(٢)).

﴿وَالِإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ إشارة إلى أنه سيعذبهم في الآخرة على هذا الكفر والدعاوى الباطلة، وأنهم عندما يصيرون إليه يعلمون أنهم عبيد أبقون يجازون، لا أبناء ولا أحماء يحابون^(٣).

دلالة الآية الكريمة:

- ١ - أن الله عز وجل لم يتخذ له ابناً ولا ولداً، وإنما جميع البشر من مخلوقات الله عز وجل.
- ٢ - كذب واقتراء اليهود والنصارى في زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه.
- ٣ - قال الإمام السمرقندي^(٤): (في الآية دليل على أن الله تعالى إذا أحب عبده يغفر ذنوبه ولا يعذبه بذنوبه، لأنه احتج عليهم فقال: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٥) ففيه دليل أنه لا يعذب التوابين بذنوبهم ولا المجاهدين الذين يجاهدون في سبيل الله لقوله تعالى

(١) التحرير والتنوير (١٥٦/٦).

(٢) سورة مريم، الآية: ٩٣.

(٣) تفسير المراغي (٨٥/٦).

(٤) نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي أبو الليث، الإمام الفقيه الحنفي المحدث الزاهد، صاحب كتاب «تنبيه الغافلين» و«الفتاوى» ت ٣٧٥هـ. النبلاء (٣٢٢/١٦).

(٥) سورة البقرة، بعض آية: ٢٢٢.

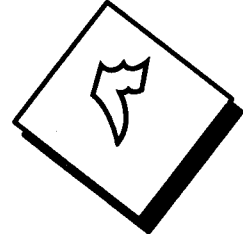
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾^(١)^(٢).

٤ - إن العذاب والمغفرة يقع بمشيئة الله عز وجل على من يشاء من عباده.



(١) سورة الصف، بعض آية: ٤.

(٢) بحر العلوم (٥١/٣).



الباب الثالث

البغض

ويتضمن تمهيد وثلاثة فصول:

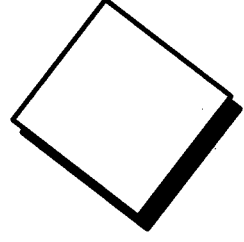
تمهيد: ماهية البغض.

الفصل الأول: من أسباب التباغض بين البشر.

الفصل الثاني: بغض المؤمنين لبعضهم لا يعني ظلم غيرهم.

الفصل الثالث: الذين يبغضهم الله عزّ وجلّ.





التمهيد

ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى البغض لغة.

المبحث الثاني: الألفاظ المترادفة.

المبحث الثالث: علاقة البغض بالنفس البشرية.



المبحث الأول: معنى البُغْض لغة

قال ابن فارس: الباء والغين والضاد أصل واحد، وهو يدلُّ على خلاف الحب^(١).

وقيل البُغْضُ: نَقِيضُ الحُبِّ^(٢). وقيل: البُغْضُ بالضم ضد الحُبِّ^(٣).

قال: (يَلْزَمُهُ العَدَاوَةُ فِي الأَكْثَرِ، لا أَنَّهَا بِمَعْنَى، لظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ﴾^(٤)^(٥).

والبَغْضَةُ وَالبَغْضَاءُ: شدة البُغْضِ^(٦).

وقد بَغَّضَ الرجلُ بالضم بَعَاضَةً، أي صار بَغِيضاً^(٧). ورجلٌ مُبَغَّضٌ:

-
- (١) معجم مقاييس اللغة (٢٧٣/١) مادة بغض.
 - (٢) تهذيب اللغة (١٧/٨)، ولسان العرب (١٢١/٧).
 - (٣) الصحاح (١٠٦٦/٣)، وترتيب القاموس المحيط (٢٩٨/١)، وتاج العروس (١٥/١٠)، ومحيط المحيط (٤٧/١).
 - (٤) سورة المائدة، بعض آية: ٩١.
 - (٥) تاج العروس (١٥/١٠).
 - (٦) تهذيب اللغة (١٧/٨)، والصحاح (١٠٦٧/٣)، وترتيب القاموس المحيط (٢٩٨/١)، ولسان العرب (١٢١/٧).
 - (٧) الصحاح (١٠٦٦/٣)، ولسان العرب (١٢/٧).

يُبَغِضُ كَثِيرًا^(١).

وَبَغَضَ الشَّيْءَ بُغْضًا: مَقَّتَهُ وَكَرِهَهُ فَهُوَ بَاغِضٌ وَبَغُوضٌ؛ وَالشَّيْءُ مَبْغُوضٌ، وَبَغِضٌ^(٢).

وَبَغَّضَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ تَبْغِيزًا، فَأَبْغَضُوهُ، أَي مَقْتُوهُ، فَهُوَ مُبْغَضٌ^(٣).

قال الحسيني^(٤): (وَبَغِضٌ، كَكْرَمٍ، وَنَصَرَ، وَفَرِحَ، بِغَاضَةٍ مَصْدَرِ الْأَوَّلِ. فَهُوَ بَغِضٌ، مِنْ قَوْمِ بَعْضَاءِ)^(٥).

وَالتَّبْغِيزُ، وَالتَّبَاغُضُ، وَالتَّبْغِضُ: ضِدُّ التَّحْيِيبِ، وَالتَّحَابُيبِ، وَالتَّحْبِيبِ^(٦).

وَتَبَاغَضُوا ضِدُّ تَحَابُّوْا، وَالمَبْغُضُ ضِدُّ المَحْبُوبِ، وَالبَغِيزُ الشَّدِيدُ البَغْضِ^(٧).

قال أبو حاتم: (من كلام الحشو: أنا أَبْغِضُ فلاناً وَهُوَ يَبْغِضُنِي، وَهُوَ خَطَأٌ إِنَّمَا يُقَالُ: أنا أَبْغِضُ فلاناً وَيُقَالُ: ما أَبْغَضَكَ إِلَيَّ وَقَدْ بَعْضَ إِلَيَّ إِذَا صارَ بَغِيزًا، وَأَبْغِضُ بِهِ إِلَيَّ، أَي ما أَبْغَضَهُ) وَهَذَا صَحِيحٌ^(٨).

وحكى سيبويه: (ما أَبْغَضَنِي لَهُ وَما أَبْغَضَهُ إِلَيَّ، وَقَالَ: إِذَا قُلْتَ ما أَبْغَضَنِي لَهُ فَإِنَّمَا تَخْبِرُ أَنَّكَ مُبْغِضٌ لَهُ، وَإِذَا قُلْتَ ما أَبْغَضَهُ إِلَيَّ فَإِنَّمَا تَخْبِرُ

(١) لسان العرب (١٢١/٧).

(٢) المعجم الوسيط (٦٤/١).

(٣) الصحاح (١٠٦٧/٣)، والمصباح المنير (٧٩/١)، ولسان العرب (١٢/٧)، وتاج العروس (١٦/١٠).

(٤) أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد الحسيني صاحب تاج العروس، أصله من السادة الوسطية من قضاة بلكرام، ت ١٣٠١ هـ. أبجد العلوم (١٢/٣).

(٥) تاج العروس (١٦/١٠).

(٦) ترتيب القاموس المحيط (٢٩٨/١)، وتاج العروس (١٦/١٠).

(٧) محيط المحيط (٤٧/١).

(٨) تهذيب اللغة (١٨/٨)، ولسان العرب (١٢٢/٧).

أنه مُبَغِّضٌ عندك^(١).

وقد حكى أهل اللغة والنحو: ما أَبْغَضَنِي له إذا كنت أنت المُبْغِضَ له، وما أَبْغَضَنِي إليه إذا كان هو المُبْغِضَ لك^(٢).

ومن المجاز: يُقَالُ، نسبة ابن بَرِي^(٣) إلى أهل اليمن: بَغِضَ جَدُّكَ، كَتَعَسَ جَدُّكَ، وفي الدُّعَاءِ: نَعِمَ اللهُ بِكَ عَيْنًا وَبَغِضَ بِعَدُوِّكَ عَيْنًا^(٤).

وَبَغَّضَهُ اللهُ إلى الناس، فَهُوَ مُبَغِّضٌ: يُبَغِّضُ كَثِيرًا^(٥).

والمُبَاغِضَةُ: تعاطي البُغْضَاءِ^(٦).

والاسم البغض^(٧).

قال مؤلفو المعجم الوسيط:

بَغِضَ الشَّيْءُ بُغْضًا: صار مَمْقُوتًا مكروهًا.

وَأَبْغَضَهُ: مَقَّته وكرهه، وبأغضه: جَزَاهُ بُغْضًا يَبْغِضُ.

بَغَّضَهُ إِلَيْهِ: جعله يَبْغِضُهُ كَثِيرًا.

تَبَاغَضَ القَوْمُ: أَبْغَضَ بعضهم بعضًا، تَبَغَّضَ إِلَيْهِ: أَظْهَرَ البُغْضَ^(٨).

(١) لسان العرب (١٢٢/٧)، وتاج العروس (١٦/١٠).

(٢) نفس المرجعين السابقين.

(٣) عبدالله بن بري عبدالجبار أبو محمد المقدسي، ولد بمصر سنة ٤٩٩هـ، وكان قِيمًا بالنحو واللغة والشواهد، له هوامش على صحاح «صحاح الجوهري» و«الرد على ابن خشاب»، وكان مع علمه وغزارة فهمه ذا غفلة، ت ٥٨٢هـ، بغية الوعاة (٣٤/٢)، والمعجم المفصل (٣١٠/١)، وأبجد العلوم (٦/٣).

(٤) ترتيب القاموس المحيط (٢٩٨/١)، ومحيط المحيط (٤٧/١)، ولسان العرب (١٢٢/٧)، وتاج العروس (١٦/١٠).

(٥) تاج العروس (١٦/١٠).

(٦) لسان العرب (١٢٢/٧)، وتاج العروس (١٦/١٠).

(٧) المصباح المنير (٧٩/١).

(٨) المعجم الوسيط (٤٦/١).

والبغض اصطلاحاً:

قال الراغب: (البُغْضُ نَفَارُ النَّفْسِ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي تَرَعَبُ عَنْهُ، وَهُوَ ضِدُّ الْحُبِّ)^(١).

وقال الكفوي: (البُغْضُ عِبَارَةٌ عَنِ نَفْرَةِ الطَّبَعِ عَنِ الْمُؤَلِّمِ الْمُتَعَبِّ، فَإِذَا قَوِيَ يُسَمَّى مَقْتًا)^(٢).



(١) مفردات ألفاظ القرآن ص ١٣٦.

(٢) الكليات ص ٣٩٨.

المبحث الثاني: الألفاظ المترادفة (البغض)

وردت ألفاظ عديدة مرادفة لكلمة «البغض»، وهذه سمة اللغة العربية عن بقية اللغات.

فيقال هو يُبْغِضُ فلاناً، وَيَقْلِبُهُ، وَيَسْنَأُهُ، وَيَمْقُتُهُ، وَيَكْرَهُهُ.

وبين الرجلين بُغْضٌ، وَبِغْضَةٍ، وَبِغْضَاءٍ، وَقِلْبِي، وَمَقْلِيَّةٌ، وَسَنَاءَةٌ، وَسَنَانٌ، وَمَسْتُوَّةٌ، وَمَقَّتٌ، وَكِرَاهَةٌ، وَكِرَاهِيَّةٌ، وَمَكْرُهَةٌ.

وقد بَاغَضَهُ، وَمَاقَتَهُ، وَعَادَاهُ، وَنَاوَاهُ، وَنَبَذَ^(١) مَوَدَّتَهُ، وَصَدَفَ^(٢) عَنْهُ بُوْدَهُ، وَنَبَأَ^(٣) عَنْهُ بُوْدَهُ، وَانصَرَفَ عَنْهُ بَوْلَائِهِ، وَنَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ، وَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ، وَاسْتَحَالَ عَلَيْهِ^(٤)، وَطَوَى عَنْهُ كَشْحَهُ^(٥)، وَقَدْ أَشْرَبَ بَغْضَتَهُ، وَاعْتَقَدَ لَهُ الْعَدَاوَةَ وَالْبِغْضَاءَ، وَطَوَى عَلَى عِدَاوَتِهِ أَحْنَاءَ صَدْرِهِ^(٦).

وقد فَسَدَ مَا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، وَفَسَدَتِ ذَاتُ بَيْنِهِمَا، وَأُظْلِمَ الْجَوْ بَيْنَهُمَا،

(١) طرح.

(٢) مال أو أعرض.

(٣) تجافى.

(٤) أي انقلب وتغير.

(٥) أي أعرض عنه.

(٦) أي ضلوعه.

واعبّر الجو بينهما، وَوَهت^(١) بينهما أسباب المودّة، وانحلت عراها،
وانفصمت^(٢) عراها، وانتقضت مرتها^(٣)، ورث حبلها، وانتكث^(٤) حبلها،
ورثت قواها^(٥)، واندكت^(٦) قواعدها، وتقوّضت^(٧) دعائمها، وأخلق العهد
بيننا، ورثت حباله عندي.

وإنّ فلاناً لرجلٌ بغيضٌ، ومقيتٌ، وكريهٌ، وقد بغضَ إليّ، وتبغضَ
إليّ، وبغضه إليّ سوء صنيعه، وهو أبغضُ إليّ من فلانٍ.

ويقال فرّكت المرأة زوجها إذا أبغضته، وفرّكها هو أبغضها خاص
بالزوجين، وبينهما فرك بالكسر، وامرأة فارّك، وفرّوك^(٨).



(١) ضعفت.

(٢) انقطعت.

(٣) من مرة الحبل وهي أحكام فتله.

(٤) بمعنى انتفض.

(٥) من قوى الحبل وهي طاقته التي يفتل بعضها على بعض.

(٦) انهدمت.

(٧) بمعنى اندكت.

(٨) نجعة الرائد وشرعة الوارد (٢٣٨/١).

المبحث الثالث:

علاقة البغض بالنفس البشرية

البغض صفة تنافي الحب، وهو عدم التقبل والاقتناع، وتنم عن الانزعاج والتأذي من الشيء، وهو من الانفعالات الحادة التي تقترن بانفعالات أخرى منها الحقد والحسد والغيرة، فتجعل منها سهام مسمومة مصوبة إلى موضعها الذي يثير الألم فيعطي اندفاع للقضاء عليه ما أمكن ذلك.

وللبغض أثر على النفس البشرية اتجاه من تبغض، ويظهر ذلك الأثر في الانفعالات المصاحبة للبغض، فقد تكون هذه الانفعالات سليمة إذا كان المبغوض مما يبغضه الله عزّ وجلّ، وقد تكون هذه الانفعالات غير سوية إذا كان المبغوض مما يبغض تبعاً لهوى في النفس أو نتيجة لخلاف شخص أو سوء فهم.

فإذا أبغض الإنسان الشيطان، وهو أول عدو لبني آدم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(١) فنجده يقاومه بالابتعاد عن وساوسه ويجتهد في اتباع هدى المصطفى ﷺ في صرف الشيطان عنه وذلك بقراءة الآيات القرآنية والأدعية المأثورة حتى يكون في حصن من الله اتجاه الشيطان.

(١) سورة يوسف، بعض آية: ٥.

وإذا أبغض عدو لدينه أو وطنه أو عشيرته قاومه وحاربه وسعى للتخلص منه بكل ما تهيأ له من وسائل ومعدات خفيفة كانت أم ثقيلة.

وإذا أبغض السلوك السيء والعادات القبيحة سعى إلى تطهير نفسه من هذه الطباع والعادات، وعمل على اقتلاعها من نفوس أصحابها بالوسائل الطيبة التي تجني الثمار الحسنة.

ولعل هذه المشاعر والأعمال السوية اتجاه المبغوض الذي يبغضه الله عز وجل.

وأما الانفعالات غير السوية فتتضح في هذه المواقف:

إذا أبغض المرء شخصاً ما، نتيجة لخلاف بينهما، أو سوء فهم في أمر ما، أو ورثه من الأهل، فتتجه المشاعر إلى الحقد والحسد، فينصرف عنه بجسده قبل لسانه، ويحاول أن يسيء إليه أو ينتقم منه متى ما سنحت الفرصة لذلك.

وإذا أبغض عمله سواء كان طالب في المدرسة أو موظف في دائرة من الدوائر الحكومية أهمله وتأخر في أدائه، وتقاوس عن الحضور إليه بموعده. فللبعض أثر سيء في توجيه الأعمال والانفعالات الغير سوية في الإنسان.

علاقة البغض بالحب:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وفعل البغض في العالم إنما هو لمنافاة المحبوب، ولولا وجود المحبوب لم يكن البغض، بخلاف الحب للشيء، فإنه قد يكون لنفسه، لا لأجل منافاته للبغض، وبغض الإنسان وغضبه مما يصاد وجود محبوبه، ومانع ومستلزم لا يكره عليه، ونجد قوة البغض للمنافي أشد وأحوط.

ولهذا كان رأس الإيمان الحب في الله والبغض في الله، قال رسول الله ﷺ: «من أحب الله، وأبغض الله، وأعطى الله، ومنع الله فقد

استكمل الإيمان^(١).

فالمحبة والإرادة أصل في وجود البغض والكراهة، والأصل في زوال البغض المكروه، فلا يوجد البغض إلا لمحبة، ولا يزول البغض إلا لمحبة^(٢).

يقرر هنا الإمام ابن تيمية مدى علاقة البغض بالمحبة وذلك في حالة وجوده وفي حالة زواله، ففي حالة وجوده فلا يبغض المرء شيئاً إلا لحبه لشيء آخر يخالف الذي يبغضه، فحبه للإيمان يجعله يبغض الكفر، وحبه للخير يجعله يبغض الشر، وحبه للمعروف يجعله يبغض المنكر، وحبه لفضائل الأعمال يجعله يبغض الفواحش، فلا يوجد البغض إلا المحبة.

وفي حالة زوال - البغض - فلا يزول إلا لمحبة، أي يتحول بغض الشيء إلى حبه.

موقف الإسلام اتجاه عاطفة البغض:

والإسلام لا يقضي على هذه العاطفة ولا يعدل من اندفاعاتها لتكون رخوة لينة، وإنما يعدل من موضعها ويستفيد منها كواقع قوي وطاقه بناءة، وتعود على الإنسان بالسلام والرضا في نهاية الأمر بدلاً من التشفي والانتقام والمسالك الدموية.

ويأتي هذا التحول للبعض من طاقة بناءة بتحويل مسارها وموضوعها، عن طريق تربية المسلم بألا يبغض الأحياء والكون وإنما يبغض الشر مصدرأً وسلوكاً فيبغض الشيطان وهو رأس الشر ومنبعه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٣).

واستغلال البغض كعاطفة ودافع لتعطيم الشر والانحراف تعديل لمسار

(١) الحديث سبق تخريجه في ص ٣٠٢.

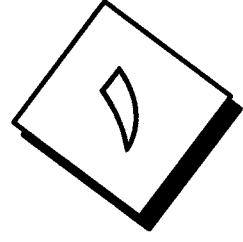
(٢) قاعدة في المحبة ص ٨، ٩.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٦.

الحياة وتوفير للأمن والطمأنينة وقضاء على كل ما يؤرق الإنسان ويفسد حياته ولذا أهاب الله أن ندفع الظلم والاعتداء ونبتد الفتنة في مهدها، ولا نسمع ما استطعنا سبيلاً بأي انحراف عن منهج الله في أرض الله^(١).



(١) الفكر التربوي ص ٥١٣، ٥١٤ بتصرف.



الفصل الأول من أسباب التباغض بين البشر

ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: اختلاف الدين.

المبحث الثاني: التفرق والاختلاف.

المبحث الثالث: الدعوة إلى عصبية النسب والجاهلية.

المبحث الرابع: الرجس.



المبحث الأول: اختلاف الدين

الدين هو قوام حياة البشر في هذه الدنيا، وهو مصدر عزة ورفعة لهم إن استمسكوا به، وهو مصدر راحة واطمئنان إن أقاموا تعاليمه، إذ لا تستطيع النفس البشرية أن تحيا بدون دين، فهو غذاء الروح وتلبية حاجة الروح لازم كما تلبى حاجة الجسد.

وطبيعة النفس تميل إلى من يوافقها في الدين ويكون هناك رابط بينها وبينه، وإن ابتعدت الديار، واختلفت الأجناس، وتعددت الألوان، فتواليه وتنصره وتقدم له يد العون والمساعدة.

فإن اختلف الدين فالمشاعر تختلف والأحاسيس تبتعد، فتكون النفرة والبغض بدل الحب والموالاة. وهذا شيء داخلي في النفس قليل من يستطيع أن يتحكم فيه ويظهر خلاف ذلك.

الدين لغة:

قال ابن فارس: (الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها. وهو جنس من الانقياد والذل)^(١).

(١) معجم مقاييس اللغة (٣١٩/٢) مادة دين.

فالدين: العادة والشأن، والدين: الحكم والجزاء ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(١). والدين: الطاعة^(٢).

يقال: دان له يدين ديناً، إذا أصحب وانقاد وطاع.

وقوم دين، أي مطيعون منقادون^(٣).

وقد دنته ودنت له أي أطعته، والجمع: الأديان.

يقال: دان بكذا ديانة، وتدين به فهو دين ومتمدين. ودينت الرجل تديناً إذا وكلته إلى دينه^(٤).

ودان بالإسلام ديناً بالكسر تعبد به وتدين به كذلك فهو دين^(٥).

والدين اصطلاحاً:

وقال الجرجاني: (الدين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول ﷺ)^(٦).

وقال العسكري^(٧): (والدين ما يذهب إليه الإنسان ويعتقد أنه يقربه إلى الله وإن لم يكن فيه شرائع مثل دين أهل الشرك)^(٨).

ويطلق الدين عند الفلاسفة القدماء على (وضع إلهي يسوق ذوي العقول إلى الخير).

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(٢) تهذيب اللغة (١٨٢/١٤)، ومعجم مقاييس اللغة (٣١٩/٢)، ولسان العرب (١٦٩/١٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٣١٩/٢).

(٤) لسان العرب (١٦٩/١٣).

(٥) المصباح المنير (٢٧٩/١).

(٦) التعريفات ص ١٠٥.

(٧) الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن مهران العسكري (أبو هلال) أديب، شاعر، مفسر، من تصانيفه: «جمهرة الأمثال» و«الفروق في اللغة» ت ٣٩٥هـ. معجم المؤلفين

(٨) (٥٦٠/١)، وكشف الظنون (١٦٧/١).

(٨) الفروق اللغوية ص ١٨١.

والفرق بين الدين والملة والمذهب، أن الشريعة من حيث أنها مطاعة تسمى ديناً، ومن حيث أنها جامعة تسمى ملةً، ومن حيث أنها يرجع إليها تسمى مذهباً^(١).

وقد بين الله عز وجل في كتابه العزيز أن اختلاف الدين بين الأهل والعشيرة هو سبب من أسباب التباغض بين البشر، فقد قال عز شأنه:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾^(٢).

معنى الآية:

ويخاطب الله تعالى المؤمنين الذين أمرهم بمجانبة الكافرين والتبري منهم، بأنه قد كانت لكم قدوة طيبة حميدة تقتدون بها في ابراهيم خليل الرحمن أبي الأنبياء والذين آمنوا معه من أتباعه حين قالوا لقومهم: «إنا براء منكم؛ لكفركم بالله، وأبرياء من كل ما تعبدون من غير الله من الأصنام والأنداد، فقد جحدنا بما أمتتم به من الأوثان، أو بدينكم أو بأفعالكم»^(٣).

قال الإمام الطبري: (في قوله تعالى: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ يقول جل ثناؤه مخبراً عن قول أنبيائه لقومهم الكفرة: كفرنا بكم، أي أنكرونا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقاً، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً على كفركم بالله، وعبادتكم ما سواه، ولا صلح بيننا ولا هوادة، حتى تؤمنوا بالله وحده، يقول: حتى تصدقوا بالله وحده، فتوحدوه وتفردوه بالعبادة)^(٤).

وقال الإمام البقاعي: (البغضاء هي المباينة بالقلوب بالبغض العظيم، ولما كان ذلك قد يكون سريع الزوال قالوا (أبداً) ولما كان ذلك مرثياً من

(١) المعجم الفلسفي (١/٥٧٢).

(٢) سورة الممتحنة، بعض آية: ٤.

(٣) التفسير المنير (٢٨/١٢٨).

(٤) جامع البيان (١٢/٥٩).

صلاح الحال، وكان قد يكون لحظ نفس بينوا غايته على وجه عرفت علتهم بقولهم (حتى تؤمنوا) أن توقعوا الأمان من التكذيب لمن أمركم بالإيمان وأخبركم عن الرحمن، حال كونكم مصدقين ومعترفين (بالله) أي الملك الذي له الكمال كله، ولما كانوا يؤمنون به مع الإشراف قالوا (وحده) أي تكونوا مكذابين بكل ما يعبد من دونه^(١).

﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ أي أحدثنا معكم العداوة ظاهرة لا مواربة فيها، أي ليست عداوة في القلب خاصة بل هي عداوة واضحة علانية بالقول والقلب وأقصى ما يستطيعه أمثالهم في درجات تغيير المنكر وهو التغيير باللسان إذ ليسوا مستطيعين تغيير ما عليه قومهم باليد لقتلهم وضعفهم بين قومهم^(٢).

وقال الشيخ القاسمي: (أي لا صلح بيننا ولا مودة إلى أن تؤمنوا بالله وحده، أي توحدوه وتفردوه بالعبادة)^(٣).

وقال الدكتور وهبة الزحيلي^(٤): (أي هذا دأبنا معكم ما دتم على كفركم، فقد ظهرت وشرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، وما دتم على كفركم، فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم، حتى تظهروا الإيمان بالله وحده، وتوحدوا الله، فتعبدوه وحده لا شريك له، وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك، وتخلقوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد، فإذا فعلتم ذلك، صارت تلك العداوة موالاة، والبغضاء محبة)^(٥).

وقال الشيخ ابن عاشور: (والمراد بقولهم هذا لقومهم أنهم قالوه مقال الصادق في قوله، فالاتساء بهم في ذلك القول والعمل بما يترجم عليه القول مما في النفوس، فالمؤتسى به أنهم كاشفوا قومهم بالمنافرة، وصرحوا

(١) نظم الدرر (٤٩٩/١٩).

(٢) التحرير والتنوير (١٤٤/٢٨).

(٣) محاسن التأويل (٢٤/٩).

(٤) معاصر.

(٥) التفسير المنير (١٢٨/٢٨).

لهم بالبغضاء لأجل كفرهم بالله ولم يصانعوهم ويفضوا عن كفرهم لاكتساب مودتهم^(١).

دلالة الآية الكريمة:

- ١ - السبب في بغض المؤمنين للكافرين هو كفرهم بالله عزّ وجلّ.
- ٢ - وإن العداوة والبغضاء قائمة بين المؤمنين والكافرين، ما داموا على كفرهم.
- ٣ - تحول المشاعر والأحاسيس من بغض إلى محبة، ومن عداوة إلى موالاة اتجاه الكافرين عند إيمانهم بالله عزّ وجلّ.

أثر بغض اليهود والنصارى على المسلمين:

منها:

- ١ - حقد وحسد وعداوة من اليهود والنصارى اتجاه المسلمين.
- ٢ - الافتراء والكذب، وإلصاق التهم الباطلة بالمسلمين في أي عمل إجرامي في الدول الأخرى.
- ٣ - تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وإعداد الخطط لذلك سواء كانت فكرية أو إعلامية أو اقتصادية أو سياسية.
- ٤ - السيطرة على المدن الإسلامية، ومحاولة طمس هويتها، بقتل شبابها وتشريد أهلها واغتصاب نساءها، وهدم مساجدها، مثل البوسنة والشيشان.



(١) التحرير والتنوير (١٤٤/٢٨).

المبحث الثاني: التفرق والاختلاف

تعددت الفِرَقُ في الأمة الإسلامية واختلفت إلى جماعات وأحزاب مناهضة بعضها البعض، وهذا الاختلاف ناشئ عن اختلاف الفهم للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وينقسم الاختلاف إلى قسمين:

الأول: اختلاف في فروع الشريعة، وهو الخلاف الفقهي، وعليه ظهرت المذاهب الفقهية.

الثاني: اختلاف في أصول الدين، وهو الخلاف العقائدي، وعليه ظهرت الفرق الإسلامية.

فأما الأول وهو الخلاف الفقهي وهو رحمة للأمة - الإسلامية - لأنه لا يمكن حمل الأمة جميعاً على رأي واحد في قضية فقهية معينة، ولكي يرتفع الحرج عن البعض حسبما ظرفه الذي يمر فيه، فلا بدّ من تعدد الآراء الفقهية حسب الوقت والزمان الذي حدث هذا الأمر ووفق فهم المجتهد لهذه النصوص.

وأما الثاني وهو الخلاف العقائدي، ويعتبرُ نقمة على الأمة وصنف من صنوف العذاب الذي ابتليت به هذه الأمة، وكان سبباً في ضعفها وتشتتها وتفرقتها وتكالب القوى عليها لإنهاكها وإنهائها.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِيَسَّكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا إِنَّظَرَ كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (١٦) (١).

الفرق لغة:

قال الأزهري: الفِرْقُ: طائفة من الناس. وقال أعرابي لصبيان رآهم (هؤلاء فِرْقٌ سوء) (٢).

والفِرْقَة: طائفة من الناس، والفِرْقِيُّ أكثر منه (٣).

والفُرْقَة: مصدر الافتراق (٤).

والفرقة اصطلاحاً:

قال الكفوي: الفرقة: بالكسر اسم لجماعة متفرقة من الناس بواسطة علامة التأنيث لأن الاسم يكون للجمع بالتأنيث كالمعتزلة (٥).

قال الإمام الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: قل لهؤلاء العادلين بربهم غيره من الأصنام والأوثان، يا محمد: إن الذي ينجيكم من ظلمات البر والبحر ومن كل كرب، ثم تعودون للإشراك به، هو القادر على أن يرسل عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم، لشرككم به، وادعائكم معه إلهاً آخر غيره، وكفرانكم نعمه، مع إسباغهم عليكم آلاءه ومنته.

والمراد بقوله تعالى: ﴿أَوْ يَلِيَسَّكُمْ شَيْعًا﴾ أو يخلطكم، والشيعة: هي الفرق، فيكون المعنى: أو يخلفكم أهواء مختلفة وأحزاباً متفرقة.

وبنحو ذلك قال مجاهد: ﴿أَوْ يَلِيَسَّكُمْ شَيْعًا﴾، الأهواء المتفرقة.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦٥.

(٢) تهذيب اللغة (١٠٦/٩).

(٣) لسان العرب (٣٠٠/١٠).

(٤) تهذيب اللغة (١٠٦/٩)، ولسان العرب (٣٠٠/١٠).

(٥) الكلبيات ص ٦٨٥.

وقال السدي: يفرق بينكم^(١).

سبب نزول الآية:

وقد وردت عدة روايات عن سبب نزول الآية، نختار واحدة منها، عن شداد بن أوس^(٢) يرفعه إلى النبي ﷺ، أنه قال: «إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها، وإني أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي أن لا يهلك قومي بسنة عامة، وأن لا يلبسكم شيعاً، ولا يذيق بعضهم بأس بعض، فقال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، ولا أسلط عليهم عدواً ممن سواهم فيهلكوا بعامة، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، وبعضهم يقتل بعضاً، وبعضهم يسبى بعضاً. فقال النبي ﷺ: إني أخاف على أمتي الأئمة المضلين، فإذا وضع السيف في أمتي، لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة»^(٣).

وعن جابر رضي الله عنه قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله: أعوذ بوجهك. قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: أعوذ بوجهك. ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: هذا أهون، أو هذا أيسر»^(٤).

ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن بطال قال: (أجاب الله تعالى دعاء نبيه في عدم استئصال أمته بالعذاب، ولم يجبه في أن لا يلبسهم شيعاً، أي فرقاً مختلفين، وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض أي بالحرب والقتل بسبب ذلك،

(١) جامع البيان (٢١٧/٥، ٢١٨).

(٢) شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري، أبو يعلى صحابي، مات قبل الستين أو بعدها، وهو ابن أخي حسان بن ثابت. تقريب التهذيب ص ٢٦٤.

(٣) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الفتن - باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٢٤٠/٩) ح (٢٨٨٩).

(٤) رواه البخاري في الصحيح: كتاب التفسير - باب ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ (٣٦٩/٨) ح (٤٦٢٨).

وإن كان ذلك من عذاب الله لكن أخف من الاستئصال وفيه للمؤمنين كفارة^(١).

قال أبو حيان: في قوله تعالى ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا﴾ أي يخلطكم فرقاً مختلفين على أهواء شتى، كل فرقة منكم مشايعة لإمام.

وقال ابن عباس ومجاهد: تثبت فيكم الأهواء المختلفة فتصيرون فرقاً^(٢).

والمراد بالشيعة: هي الجماعة المتحدة في غرض أو عقيدة أو هوى فهم متفقون عليه^(٣).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^(٤).

افتراق الأمة:

وقد بين الرسول ﷺ، أنه سيصيب الأمة داء الفرقة، كما أصاب الأقوام السابقة من اليهود والنصارى.

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

(١) فتح الباري (٣٦٢/١٣).

(٢) البحر المحيط (١٥٥/٤).

(٣) التحرير والتنوير (٢٨٤/٧).

(٤) سورة الأنعام، بعض آية: ١٥٩.

(٥) رواه أبو داود في السنن: كتاب السنّة - باب شرح السنّة (٥٥٠/٢)، والترمذي في السنن: كتاب الإيمان - باب ما جاء في افتراق من هذه الأمة (٢٥/٥) ح (٢٦٤٠)، وابن ماجه في السنن: كتاب الفتن - باب افتراق الأمم (١٣٢١/٢) ح (٣٩٩١) بنحوه بإسناد حسن صحيح.

يَكُمَّ عَنْ سَبِيلِهِ»^(١).

ويقول الدكتور محمود مزروعة: (إن المراد بالأمة هي أمة الإسلام، وذلك الآتي:

أ - أن الرسول ﷺ قد أضافها إلى نفسه فقال «أمتي» وهذا يعني أن المراد بها المسلمون، ومن غير المعقول أن يضيف الرسول ﷺ اليهود والنصارى إلى نفسه، ويعبر عنهم بأنهم أمة.

ب - أن المراد بالأمة هي أمة الإسلام بدليل مقابلتها باليهود والنصارى.

وأن استعمال لفظ «السبعين» للدلالة على الكثرة، واستعمل الرقم الذي فوق السبعين للدلالة على الفروق في هذه الكثرة بين الأمم الثلاث)^(٢).

أثر التفرق والاختلاف والفرق على الأمة:

١ - انتشار روح الحقد والبغض والكرهية بين أفراد الفرقة اتجاه الفرقة الأخرى.

٢ - اتباع الهوى في تدعيم رأي الفرقة دون بيّنة نتيجة للتعصب الشديد للفرقة. فهذا عبدالله الكرخي أحد المتعصبين لمذهب أبي حنيفة يقول: (كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ)^(٣).

٣ - انتهاك الحرمات وهتك الأعراض، وسفك الدماء بين أفراد الفرق نتيجة للتضليل في فهم معنى النصوص الشرعية الواردة في الكتاب والسنة.

٤ - ضياع هيبة ومكانة الأمة الإسلامية بين الأمم، وتآمر الدول العظمى

(١) سورة الأنعام، بعض آية: ١٥٣.

(٢) تاريخ الفرق الإسلامية ص ٢١، ٢٣.

(٣) التفسير والمفسرون ص ٤٣٤.

عليها لإنهاك قوتها وهدم مكانتها، وقد صدق رسول الله ﷺ في الحديث الذي يرويه ثوبان^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعي عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن» فقال قائل: «يا رسول الله، وما الوهن؟» قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»^(٢).

الوقاية من الفرقة والاختلاف:

١ - تعزيز الإسلام بأهمية الالتزام بالجماعة المسلمة والاعتصام بحبل الله، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٣).

٢ - التمسك بجماعة المسلمين، ونبذ الفرقة بين صفوفهم، وتطهير الصف والجماعة من ذوي النفوس الضعيفة حتى لا تكون مصدراً للفرقة.

٣ - مقاومة بذور الفرقة، والعمل على انتشالها من بين المسلمين.

٤ - الابتعاد عن إثارة الفتن والقتال بين المسلمين.

قال السيد / محمد رشيد رضا: (إن النبي ﷺ لم يخبر أمته بما سيقع فيها من التفرق والشيع، وركوب سنن أهل الكتاب في الإحداث والبدع،

(١) ثوبان الهاشمي، مولى النبي ﷺ صحبه ولازمه، ونزل بعده الشام، مات بحمص سنة ٥٤هـ. تقريب التهذيب ص ١٣٤.

(٢) رواه أبو داود في السنن: كتاب الملاحم - باب في تداعي الأمم على الإسلام (٤٦٤/٢)، ورواه الإمام أحمد في المسند (٢٧٨/٥) مع اختلاف يسير في اللفظ، قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

(٣) سورة آل عمران، بعض آية: ١٠٣.

وبغير ذلك من أخبار الفتن، الخاصة والمشاركة بينهم وبين الأمم، إلا لأجل أن يكونوا على بصيرة في مقاومة خبرها واتقاء تفاقم شرها، لا لأجل أن يتعمدوا إثارة تلك الفتن والاصطلاء بناها، والاعتراف لأوزارها^(١).



(١) تفسير المنار (٤١٦/٧).

المبحث الثالث: الدعوى إلى عصبية النسب والجاهلية

العصبية لغةً:

قال الأزهري: العصبية: أن يدعو الرجل إلى نصره عصبته والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أم مظلومين. وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا.

واعصوب القوم إذا اجتمعوا. فإذا تجمعوا على فريق آخرين قيل: تعصبوا^(١).

وعصب القوم بفلان اجتمعوا وأحاطوا به لقتال أو حماية^(٢).

قال ابن الأثير: العسبي هو الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم. والتعصب: المحاماة والمدافعة^(٣)، وتعصبنا له ومعنا: نصرناه.

وتعصب: تقنع بالشيء ورضي به، كاعتصب به^(٤).

(١) تهذيب اللغة (٤٩/٢).

(٢) محيط المحيط ص ٥، ٦.

(٣) النهاية (٢٢٢/٣).

(٤) تاج العروس (٢٣٧/٢).

وتعصب فلان في دينه ومذهبه كان شديداً غيراً فيهما ذاباً عنهما.
وحقيقة العصبية الخصلة المنسوبة إلى العصبية وهي قرابة الرجل من
قبل أبيه لأنهم هم الذابون عن حريم من هو متهاهم^(١).

والعصبية اصطلاحاً:

قال التهانوي: (والتعصب: هو عدم قبول الحق عند ظهور الدليل بناء
على ميل إلى جانب كما في التلويح)^(٢).

نَبذُ الإسلام للعصبية:

فقد نهى النبي ﷺ عن العصبية لما لها من عواقب وأثار وخيمة على
الفرد والمجتمع. فعن جبير بن مطعم^(٣) أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا
من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات
على عصبية»^(٤).

وعن جندب بن عبدالله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل
تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتله جاهلية»^(٥).

بيان الأحاديث:

قال العظيم أبادي^(٦) في بيانه للحديث الأول: أي ليس من أهل ملتنا

(١) محيط المحيط ص ٥، ٦.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون (٩٣٦/٢).

(٣) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف القرشي، النوفلي، صحابي عارف
بالأنساب، مات سنة ثمان، أو تسع وخمسين. تقريب التهذيب ص ١٣٨.

(٤) رواه أبو داود في السنن: كتاب الأدب - باب في العصبية (٦٧٩/٢) قال الشيخ
الألباني: حديث صحيح.

(٥) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الإمارة - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند
ظهور الفتن (٢٤٠/١٢).

(٦) محمد شمس الحق العظيم أبادي، الهندي (أبو الطيب) محدث، ولد ١٢٧٣هـ، من =

من يدعو الناس إلى الاجتماع على عصبية وهي معاونة الظلم، ومن قاتل على باطل، ومن مات على طريقتهم من حمية الجاهلية^(١).

وقال الإمام النووي^(٢) في توضيحه لقوله ﷺ «من قاتل تحت راية عمية»: (هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه).

وقال إسحاق بن راهوية: هذا كقاتل القوم للعصبية^(٣).

فإن من دعا ومن نصر ومن قاتل عصبية، معناه: إنما يدعو وينصر ويقاتل عصبية لقومه ولهواه دون التحقق أو يتقن إن كان الحق معهم أم لا، وإنما نصرته ومحاماته ومدافعته دون ترو ولا بيّنة، وهذا ما نبذه الإسلام وحرص على اقتلاعه من نفوس متبعيه، وذلك في قوله ﷺ: «ليس منا» أي ليس من أهل الدين الإسلامي الذي يعمل ذلك ويروج له.

أنواع العصبية:

تنقسم العصبية إلى قسمين:

أولاً: عصبية الحق:

بأن يتعصب الإنسان إلى دينه الإسلام، وقيمه ومبادئه التي ينادي بها، ودعوته التي يدعو لها، بقوة وثبات دون خوف ولا وجل لعلمه ويقينه أن الحق معه، وأنه يقوم بذلك بتأييد من ربه، وقد بين المصطفى ﷺ ثبات هذه الطائفة في دعوتها إلى الله وتمسكها بها. فعن ثوبان قال: قال

= آثاره: «غاية المقصود في حل سنن أبي داود». معجم المؤلفين (٣/٣٤٦).

(١) عون المعبود (١٩/١٤) بتصرف.

(٢) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام النووي، الدمشقي، الشافعي (محيى الدين، أبو زكريا) فقيه، محدث حافظ، لغوي، مشارك في العلوم ولد ٦٣١هـ، من تصانيفه: «الأربعون النووية في الحديث»، «رياض الصالحين»، «التبيان في آداب حملة القرآن»، «مختصر صحيح مسلم»، ت ٦٧٧هـ. معجم المؤلفين (٩٨/٤).

(٣) صحيح مسلم (١٢/٢٣٨).

رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»^(١).

ثانياً: عصبية الباطل:

وهي عصبية الإنسان لقومه ونصرته لهم ودفاعه عنهم، وإن كانوا على حق أم على باطل، حتى ولو جرّ الأمر إلى قتال من عاداهم.

وهذا الذي قصده أو عناه النبي ﷺ بقوله: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»^(٢).

وعن بنت وائلة بن الأسقع أنها سمعت أباها يقول: «قلت يا رسول الله ما العصبية؟ قال: أن تعين قومك على الظلم»^(٣).

العلة من نبذ الإسلام للعصبية:

لما للعصبية من آثار سلبية على الفرد والمجتمع، فقد حرص الإسلام على نبذها، وطرحها للوراء أسوة ببقية عادات الجاهلية:

فالعصبية سبيل إلى انتشار بعض الأخلاق الذميمة من حقد وحسد وبغض وكرهية بين أفراد المجتمع، وكما أنها تعمي صاحبها عن رؤية الحق، والتحقق منه، وهذا ما لا يَحْمَدُهُ الإسلام في المسلم.

إضافة إلى أن العصبية تعزز النظرة الدونية لمن أقل شأنًا ومكانة ووجاهة. وكما أن العصبي يحاول تحيّن الفرص في مراوغة وخداع وغش من عاداه، بغية الانتقام منه ومن قومه.

(١) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الإمامة - باب (٥٣) قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» (٧٤/٧) ح (١٩٢٠).

(٢) سبق تخريجه ص ٤٠٠.

(٣) رواه أبو داود في السنن: كتاب الأدب - باب في المعصية (٦٧٩/٢).

حرص المصطفى ﷺ على تنقية صحابته من مظاهر التعصب الجاهلي:

فهذا أبو ذر الغفاري، صحابي جليل، حدث بينه وبين أحد الصحابة خلاف، فعيره بأمه وكانت أعجمية فشكاه إلى الرسول ﷺ، فقال له رسول الله: «يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية»^(١) ويريد المصطفى ﷺ بهذا التوجيه المباشر لأبي ذر، أن ينبهه أن به خصلة من خصال الجاهلية، وهو التعصب للون والعرق، وعليه أن يُقْلِعَ عن هذا التعصب عندما يعلم أن الإسلام أنكره، وساوى بين الناس جميعاً.

مظاهر العصبية في حياتنا المعاصرة:

دبت العصبية في مجتمعنا المعاصر، على حين غفلة من صاحبها أو بعلم منه، وذلك في ثلاثة مظاهر:

الأولى: العصبية الاجتماعية:

وهي بالفصل بين الأسر وفق شروط تضعها الأسرة لمن يرغب في المصاهرة منها، ومحاولة تعزيره وتأصيله في أبناء الأسرة الواحدة. بغية الترفع والاستعلاء على الغير، وأنهم يتميزون بأمر تظهرهم عن غيرهم. متناسين قوله ﷺ في الحديث الذي يرويهِ أبو هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها التين»^(٢).

(١) رواه أبو داود في السنن: كتاب الأدب - باب في حق المملوك (٦٨٦/٢). قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

(٢) رواه أبو داود في السنن: كتاب الأدب - باب التفاخر بالأحساب (٦٧٨/٢) قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

الثانية: العصبية العلمية:

ويظهر ذلك جلياً في طلبة العلم، بمحاولتهم انتحال العلم من مشايخ وعلماء يسرون على فكرهم ومنهجهم اكتفاءً بهم كمصدر للعلم، ومن عارضهم في ذلك أعرضوا عنه، ونالوا منه، بغية التجريح وهذا ينافي ما أمر به الإسلام من احترام العلماء وتقدير اجتهادهم وآرائهم.

وهذا لا يعني أن لا يتلمذ المرء على شيخ علم ويتهل من علمه، ويحاول نشر آرائه وأفكاره، وإنما المذموم في ذلك اعتقاده وتسليمه أن رأيه هو الصواب وغيره هو الخطأ.

وعن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»^(١). فإنه مأجور في كلا الحالتين فالأولى لاجتهاده وإصابة الحق، والثانية لاجتهاده فقط.

الثالثة: العصبية السياسية:

وهي الدعوة إلى أفكار الحزب أو الجماعة التي يدعو لها، وتأييدها والعمل لها في وقت الانتخابات البرلمانية وغيرها، ونصرتها في وقت الأزمات، والالتفاف حولها في جميع المواقف حتى لو كانت على باطل.

وهذا لا يعني أن الإنسان لا يؤمن بأفكار حزب أو جماعة ويدعو لها، وإنما المذموم في ذلك أن يكون تأييده المطلق يُعْمِبه عن تحري الحق ورؤية الصواب، ورد الجماعة أو الحزب إلى الحق إن أخطأت.



(١) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الاعتصام - باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٣٨٩/١٣) ح (٧٣٥٢).

المبحث الرابع: الرجس

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٩١) (١).

قال الإمام الطبري: إن الله تعالى قد سمي هذه الأشياء التي سماها في هذه الآية رجساً، وهي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٩١) (٢)، وأمر باجتنابها (٣).

فإن هذه الأمور المذكورة وهي الخمر والميسر والأنصاب والأزلام تعتبر رجساً.

وسنتعرض إلى الخمر والميسر وهما اللذان أشد أنواع الرجس ولم كانا سبباً للعداوة والبغضاء!!؟؟

الرجس لغة:

قال الزجاج: الرَّجْسُ في اللغة: اسمٌ لكل ما استقدر من عمل،

(١) سورة المائدة، الآية: ٩١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

(٣) جامع البيان (٣٦/٥).

فبالغ الله في ذم هذه الأشياء - الخمر والميسر والأنصاب والأزلام - وسماها رجساً.

يقال: رَجَسَ الرَّجُلُ رَجْسًا، وَرَجَسَ يَرْجُسُ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا قَبِيحًا^(١).
ورجل رَجِسٌ ورجالٌ أَرَجَاسٌ^(٢).

وَالرَّجْسُ بفتح الراء: شدة الصوت، فكأن الرَّجَسَ: العملَ الذي يَثْبُجُ ذِكْرُهُ ويرتفعُ في القَبْحِ^(٣).

وَالرَّجْسُ: الشيءُ القَذِرُ^(٤). لأنه لَطَخَ وَخَاطَ^(٥).

وقال ابن الكلبي: رَجِسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ أَي تَأْتَمُّ^(٦).

قال الراغب: (والرجس يكون على أربعة وجوه: إما من حيث الطبع، وإما من جهة العقل، وإما من جهة الشرع، وإما من كل ذلك كالميتة، فإن الميتة تُعَافُ طبعاً وعقلاً وشرعاً.

والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر، وقيل إن ذلك رجس من جهة العقل وعلى ذلك نبه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(٧)، لأن كل ما يوفى إثمه على نفعه فالعقل يقتضي تجنبه، وجعل الكافرين رجساً من حيث إن الشرك بالعقل أقبح الأشياء، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾^(٨) وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ

(١) تهذيب اللغة (٥٨٠/١٠)، ولسان العرب (٩٥/٦).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٤٢.

(٣) تهذيب اللغة (٥٨٠/١٠)، ولسان العرب (٩٥/٦).

(٤) تهذيب اللغة (٥٨٠/١٠)، ومعجم مقاييس اللغة (٤٩٠/٢)، ولسان العرب (٩٥/٦)،
ومفردات ألفاظ القرآن ص ٣٤٢.

(٥) معجم مقاييس اللغة (٤٩٠/٢).

(٦) تهذيب اللغة (٥٨١/١٠)، ولسان العرب (٩٥/٦).

(٧) سورة البقرة، بعض آية: ٢١٩.

(٨) سورة التوبة، بعض آية: ١٢٥.

الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ (٢).

والرجس اصطلاحاً:

وقال الكفوي: (الرَّجْسُ: كل ما استقدر من العمل، والعمل المؤدي إلى العذاب والعقاب والغضب فهو رَجْسٌ) (٣).

وقال الحَبَشِيُّ: الرَّجْسُ القَدْرُ حِساً أو معنى، ويطلق على ما يستقبح في الشرع والفترة السليمة (٤). وقوله تعالى: ﴿رَجَسُ مِن عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ نص في كون الرجس معنوياً، وهو محمول على جميع ما ذكر من الخمر والميسر والأنصاب والأزلام (٥).

وقال الشيخ الطاهر ابن عاشور: والرَّجْسُ الحَبْثُ المستقدر والمكروه من الأمور الظاهرة، ويطلق على المذمَّاتِ الباطنة كما في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (٦). والمراد به هنا الخبيث في النفوس واعتبار الشريعة (٧).

سبب نزول الآية:

عن ابن عباس رضي الله عنه: نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا، حتى إذا ثملوا، عبث بعضهم على بعض. فلما أن صَحُوا جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول: «فعل بي هذا أخي فلان! - وكانوا إخوة، ليس في قلوبهم ضغائن - والله لو كان بي رؤوفاً رحيماً ما

(١) سورة يونس، بعض آية: ١٠٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٣٤٢.

(٣) الكليات ص ٤٦٥.

(٤) البرهان في غريب القرآن ص ١٤٤.

(٥) تفسير المنار (٤٩/٧).

(٦) سورة الأحزاب، بعض آية: ٣٣.

(٧) التحرير والتنوير (٢٤/٧).

فعل بي هذا! حتى وقعت في قلوبهم ضغائن، فأنزل الله تعالى الآية^(١).

وقال قتادة: كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله، فيقعد حربياً سلبياً ينظر إلى ماله في يدي غيره، فكانت تورث بينهم عداوة وبغضاء. فنهى الله عن ذلك^(٢).

وجه العداوة والبغضاء:

يذكر الإمام الرازي وجه العداوة والبغضاء في الخمر والميسر فيقول: (أما في الخمر فإن الظاهر فيمن يشرب الخمر أنه يشربها مع جماعة ويكون غرضه من ذلك الشرب أن يستأنس برفقائه ويفرح بمحادثتهم ومكالمتهم، فكان غرضه من ذلك الاجتماع تأكيد الألفة والمحبة إلا أن ذلك في الأغلب ينقلب إلى الضد لأن الخمر يزيل العقل، وإذا زال العقل استولت الشهوة والغضب من غير مدافعة العقل، وعند استيلائهما تحصل المنازعة وربما أدت إلى الضرب والقتل والمشافهة بالفحش، وهذا يورث أشد العداوة والبغضاء، فالشيطان يسول بهم أن الاجتماع على الشرب يوجب تأكيد الألفة والمحبة، وبالأخرة انقلب الأمر وتحصلت نهاية العداوة والبغضاء.

وأما الميسر ففيه بإزاء التوسعة على المحتاجين والإجحاف بأرباب الأموال، لأن من صار مغلوباً في القمار مرة دعاه ذلك إلى اللجاج فيه عن رجاء أنه صار غالباً فيه، وقد يتفق أن لا يحصل له ذلك إلى أن لا يبقى له شيء من المال، وإلى أن يقامر على لحيته وأهله وولده، ولا شك أنه بعد ذلك يبقى فقيراً مسكيناً ويصير من أعدى الأعداء لأولئك الذين كانوا غالبين له فظهر من هذا الوجه أن الخمر والميسر سببان عظيمان في إثارة العداوة والبغضاء بين الناس، ولا شك أن العداوة والبغضاء تفضي إلى أحوال مذمومة من الهرج والمرج والفتن وكل ذلك مضاد لمصالح العالم^(٣).

(١) جامع البيان (٣٥/٥).

(٢) جامع البيان (٣٦/٥).

(٣) التفسير الكبير (٤٢٥/١٢).

ويقول الإمام البقاعي: (ولما كانت العداوة قد تزول أسبابها، ذكر ما ينشأ عنها مما إذا استحکم تعسر أو تعذر زواله، فقال: ﴿وَالْبَغْضَاءُ فِي الْخَيْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ أي تعاطيهما لأن الخمر يزيل العقل، فيزول المانع من إظهار الكامن من الضغائن والمناقشة والمحاسدة، فربما أدى ذلك إلى حروب طويلة وأمور مهولة، والميسر يذهب المال فيوجب ذلك الإحنة على من سلبه ماله ونَعَصَ عليه أحواله)^(١).

وقال السيد محمد رشيد رضا: (وإن حدوث العداوة والبغضاء التي يثيرها السكر وما ينشأ عنها من القتل والضرب والعدوان والسلب، والفسق والفواحش، ومن إفشاء الأسرار، وهتك الأستار، وخيانة الحكومات والأوطان، قد ما زالت حديث الناس.

وأما الميسر فهو مثار للعداوة والبغضاء أيضاً ولكن بين المتقامين، فإن تعدهم فإلى الشامتين والعاتبتين، ومن تضيع عليهم حقوقهم من الدائنين وغير الدائنين، وإن المقامر ليفرط في حقوق الوالدين والزوج والولد حتى يوشك أن يمقته كل أحد)^(٢).

قال العلامة أبو السعود: في قوله ﴿وَيَصِدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ (إشارة إلى مفسادها الدينية وتخصيص الصلاة بالأفراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والإشعار بأن الصَّاد عنها كالصَّاد عن الإيمان لأنها عماده ثم أعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتباً على ما تقدم من أصناف الصوارف فقيل ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ إيذاناً بأن الأمر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفساد والشُرور قد بلغ الغاية وأن الأعذار قد انقطعت بالكلية)^(٣).

(١) نظم الدرر (٢٩٣/٦).

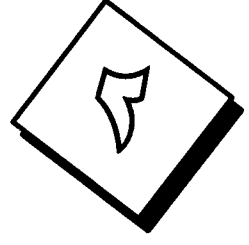
(٢) تفسير المنار (٥١/٧).

(٣) إرشاد العقل السليم (٧٦/٣).

دلالة الآية الكريمة:

- ١ - محاولة الشيطان - لعنه الله - المستمرة في بذر بذور البغض والعداوة بين المسلمين عموماً.
- ٢ - أن الخمر والميسر، وهما من الرجس سبب كبير في انتشار العداوة والبغضاء بين الناس.
- ٣ - الخمر سبب لإزالة العقل، فيظهر الضغائن الكامنة في النفوس.
- ٤ - الميسر سبب لفقد المال، فتبرز الإحنة اتجاه من تسبب في فقد المال.
- ٥ - الخمر والميسر أحد وسائل الشيطان، لصد المسلمين عن ذكر الله وعن الصلاة.
- ٦ - تحريم الله عزّ وجلّ للخمر والميسر لضررهما على الإنسان وأهله ومجتمعه.





الفصل الثاني

بغض المؤمنين لغيرهم لا يعني ظلمهم

الفصل الثاني

بغض المؤمنين لغيرهم لا يعني ظلمهم

ولما للبغض من آثار سيئة على الفرد، من خلال تصرفاته التي يقوم بها اتجاه من يبغضه، فقد نهى الله عز وجل عباده المؤمنين عن ظلم من يبغضونهم في تعاملهم معهم، وأن يسلكوا درب العدل الموصل إلى التقوى التي ينشدها كل عبد مؤمن بالله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْقَوَىٰٓ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١).

معنى الآيتين:

نهى الله عز وجل في الآيتين الكريمتين عباده المؤمنين أن لا يحملهم بغضهم لغيرهم من مشركين أو يهود أو نصارى أن يعتدوا عليهم أو أن لا يحكموا بالعدل معهم نتيجة بغضهم إياهم.

قال النيسابوري: (وجرم: بمعنى كسب من حيث المعنى، تقول جرم ذنباً نحو كسبه، وجرمته ذنباً نحو كسبته إياه وهو المذكور في الآية) (٢).

(١) سورة المائدة، بعض آية: ٢.

(٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٣٦/٦).

والشنان: هو البغض، وقيل شدة البغض، وهو من المصادر الدالة على الاضطراب والتقلب، لأن الشنان فيه اضطراب النفس، فهو مثل الغليان والثوران^(١).

وهذا ما وضحته الآية الكريمة من خلال قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَأَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتُمُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾^(٢).

قال الإمام الرازي نقلاً عن القفال رحمه الله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾ هذا معطوف على قوله ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿وَلَا ءَأَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ يعني ولا تحملنكم عداوتكم لقوم من أجل أنهم صدوكم عن المسجد الحرام على أن تعتدوا فتمنعوهم عن المسجد الحرام، فإن الباطل لا يجوز أن يعتدى به^(٣).

وقال الإمام الطبري: (وذلك أن النبي ﷺ صُدَّ عن البيت هو وأصحابه يوم الحديبية، وأنزلت عليه (سورة المائدة) بعد ذلك، فالمعنى: لا يحملنكم بغض قوم أيها الناس، من أجل أن صدوكم يوم الحديبية عن المسجد الحرام، أن تعتدوا عليهم. ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ يعني: أن تجاوزوا الحد الذي حده الله لكم في أمرهم.

قال مجاهد في قوله ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾، رجل مؤمن من حلفاء محمد، قتل حليفاً لأبي سفيان من هذيل يوم الفتح بعرفة، لأنه كان يقتل حلفاء محمد^(٤).

وقال الإمام البقاعي: في قوله تعالى ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ (أي يشتد عدوانكم

(١) التحرير والتنوير (٦/٨٦).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٣) التفسير الكبير (١١/٢٨٢).

(٤) جامع البيان (٤/٤٠٤).

عليهم بأن تصدوهم عنه أو بغير ذلك، فإن المسلم من لم يزدته تعدي عدوه فيه حدود الشرع إلا وقوفاً عند حدوده، وهذا قبل نزول قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾^(١) سنة تسع.

ولما نهاهم عن ذلك، وكان الانتهاء من الحظوظ شديداً على النفوس، وكان لذلك لا بدّ من الغالب من منته وآب، أمر بالتعاون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢).

قال الشيخ ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (تعليق للنهي الذي في قوله ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ يعني: أن واجبكم أن تتعاونوا بينكم على فعل البرّ والتقوى، وإذا كان واجبهما فيما بينهم، كان الشأن أن يعينوا على البرّ والتقوى، لأن التعاون عليها يكسب محبة تحصيلها، فيصير تحصيلها رغبة لهم، فلا جرم أن يعينوا عليها كل ساع إليها، ولو كان عدواً، والحجج برّ فأعينوا عليه وعلى التقوى، فهم وإن كانوا كفاراً يعاونون على ما هو برّ: لأن البرّ يهدي للتقوى، فلعل تكرر فعله يقربهم من الإسلام.

ولما كان الاعتداء على العدو إنما يكون بتعاونهم عليه نبهوا على أن التعاون لا ينبغي أن يكون صدأً عن المسجد الحرام، وهذا قبل نزول قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَاهِهِمْ هَكَذَا﴾^(٣).

﴿وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ والمقصود أنه يجب أن يصد بعضهم بعضاً عن ظلم قوم لكم نحوهم شأن^(٤).

(١) سورة التوبة، بعض آية: ٢٨.

(٢) نظم الدرر (١٠/٦).

(٣) سورة التوبة، بعض آية: ٢٨.

(٤) التحرير والتنوير (٦/٨٧، ٨٨).

قال الإمام ابن جرير في قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: (وهذا وعيد من الله جل ثناؤه وتهديد لمن اعتدى حده وتجاوز أمره. يقول عز ذكره: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، يعني واحذروا الله أيها المؤمنون، أن تلقوه في معادكم وقد اعتديتم حده فيما حد لكم، وخالفتم أمره فيما أمركم به، أو نهيه فيما نهاكم عنه، فتستوجبوا عقابه لمن عاقبه من خلقه، لأنها نار لا يطفأ حرها ولا يخمد جمرها ولا يسكت لهيبها. نعوذ بالله منها^(١).

دلالة الآية الكريمة:

- ١ - عدم الاعتداء على الخصوم والالتزام بالحدود التي حدها الله عز وجل اتجاه من يحمل له مشاعر البغض.
- ٢ - التعاون على البرّ والعمل الصالح، سبيل لكسب محبة الآخرين.
- ٣ - الابتعاد عن سبل التعاون التي تفضي إلى الشر والعداوة بين الناس.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوِّمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَآ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

معنى الآية:

وبين الله عز وجل في الآية الثانية صورة أخرى لما يحمله البغض من البعد عن العدل في الحكم مع من يبغضهم قال عز شأنه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوِّمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَآ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قال الشيخ ابن عاشور: (لما ذكّرهم بالنعمة عقب ذلك بطلب الشكر للمنعم والطاعة له، فأقبل على خطابهم بوصف الإيمان

(١) جامع البيان (٤/٤٠٦).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.

الذي هو منبع النعم الحاصلة لهم^(١).

وقال السيد محمد رضا في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِيكَ لِلّٰهُ شُهَدَاءٌ يَأْلُقِسْطُ﴾ القوام هو المبالغ في القيام بالشيء وهو الإتيان به مقوماً تاماً لا نقص فيه ولا عوج. وقد حذف هنا بالمبالغة في القيام به فكان عاماً شاملاً لجميع ما أخذ علينا الميثاق به من التكاليف حتى المباحات، أي كونوا من أصحاب الهمم العالية وأهل الاتقان والإخلاص لله تعالى في كل عمل تعملونه من أمر دينكم أو أمر دنياكم.

والشهادة بالقسط: أن تكون بالعدل بدون محاباة مشهود له ولا مشهود عليه، لا لقرابته وولائه، ولا لماله وجاهه، ولا لفقره ومسكنته.

فالشهادة هنا عبارة عن إظهار الحق للحاكم ليحكم به، أو إظهاره هو إياه بالحكم به، أو الإقرار به لصاحبه^(٢).

قال الإمام الفخر الرازي: (والمراد حثهم على الانقياد لتكاليف الله عز وجل، وأن التكاليف وإن كثرت إلا أنها محصورة في نوعين:

- التعظيم لأمر الله وهو المشار إليه بقوله ﴿كُونُوا قَوْمِيكَ لِلّٰهُ﴾.

- والشفقة على خلق الله وهو المشار إليه بقوله ﴿شُهَدَاءٌ يَأْلُقِسْطُ﴾ وفيه قولان:

الأول: قال عطاء: لا تحاب في شهادتك أهل ودك وقرابتك، ولا تمنع شهادتك أعداءك وأضدادك.

الثاني: قال الزجاج: المعنى تبينون عن دين الله، لأن الشاهد يبين ما يشهد عليه^(٣).

(١) التحرير والتنوير (١٣٤/٦).

(٢) تفسير المنار (٢٢٦/٦) بتصرف.

(٣) التفسير الكبير (٣٢٠/١١).

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَٰٓءَآ تَعَدَّلُوْٓا۟﴾ أي لا يحملنكم بغض قوم على أن تحيفوا عن العدل ولا تعدلوا.

فلا عذر لمؤمن في ترك العدل وعدم إثارة على الجور والمحاباة بل عليه جعله فوق الأهواء وحظوظ الأنفس، وفوق المحبة والعداوة مهما كان سببهما، فلا يتوهمن متوهم أنه يجوز ترك العدل في الشهادة للكافر، أو الحكم له بحقه على المؤمن^(١).

قال الإمام البقاعي: (في قوله ﴿عَلَٰٓءَآ تَعَدَّلُوْٓا۟﴾ أي أن تتركوا قصد العدل، وهو يمكن أن يدخل فيه بغض أهل الزوجة الكافرة من أهل الكتاب أو ازدراؤها في شيء من حقوقها لأجل خسة دينها، فأمرُوا بالعدل حتى بين هذه المرأة الكافرة وضراتها المسلمات، وإذا كان هذا شأن الأمر به في الكافر فما الظن به في المسلم)^(٢).

هل الآية عامة أم خاصة؟

يذكر الإمام الرازي في ذلك قولين:

الأول: أنها عامة والمعنى لا يحملنكم بغض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم، بل اعدلوا فيهم وإن أساءوا إليكم، وأحسنوا إليهم وإن بالغوا في إحاشكم.

فهذا خطاب عام، ومعناه أمر الله تعالى جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحداً إلا على سبيل العدل والإنصاف، وترك الميل والظلم والاعتساف، وهو الأوَّلَى.

الثاني: أنها مختصة بالكفار فإنها نزلت في قريش لما صدوا المسلمين عن المسجد الحرام.

(١) تفسير المنار (٦/٢٢٧).

(٢) نظم الدرر (٦/٤٢) بتصرف.

وقد يرد تساؤل على هذا القول كيف يعقل ظلم المشركين مع أن المسلمين
أمروا بقتلهم وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم؟

وأجاب قائلاً أنه يمكن ظلمهم من وجوه كثيرة: منها أنهم إذا أظهروا
الإسلام لا يقبلونه منهم، ومنها قتل أولادهم الأطفال لاغتمام الآباء، ومنها
إيقاع المثلى بهم، ومنها نقض عهودهم^(١).

ثم قال تعالى: ﴿أَعِدُّوا لَهُمْ أَسْفَافًا يُضَلُّونَ﴾ فنهاهم أولاً عن أن
يحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيداً
وتشديداً، ثم ذكر لهم علة الأمر بالعدل وهو قوله ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾
ونظيره قوله: ﴿وَأَنْ تَعْمُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٢) أي هو أقرب للتقوى وفيه
وجهان:

الأول: هو أقرب إلى الاتقاء من معاصي الله تعالى.

والثاني: هو أقرب إلى الاتقاء من عذاب الله^(٣).

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ الخبرة العلم الدقيق الذي
يؤيده الاختبار، أي لا يخفى عليه تعالى شيء من أعمالكم ظاهرها وباطنها،
ولا من نياتكم وحيلكم فيها، وهو الحكم بالعدل القائم بالقسط^(٤).

قال أبو حيان: (لما كان الشنآن محلّه القلب، وهو الحامل على
ترك العدل، أمر بالتقوى وأتى بصفة «خبير» ومعناها «عليم» ولكنها مما
تختص بما لطف إدراكه، فناسب هذه الصفة أن ينبه بها على الصفة
القلبية)^(٥).

(١) التفسير الكبير (١١/٣٢٠) بتصرف.

(٢) سورة البقرة، بعض آية: ٢٣٧.

(٣) التفسير الكبير (١١/٣٢٠).

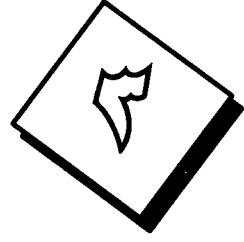
(٤) تفسير المنار (٦/٢٢٧).

(٥) البحر المحيط (٣/٤٥٥).

دلالة الآية الكريمة:

- ١ - وجوب العدل وعدم الاعتداء على من يحمل له مشاعر البغض.
- ٢ - إذا كان العدل يجب أن يقام مع الكافر، فالمؤمن والذي هو من عباد الرحمن أولى بحكم العدل معه.
- ٣ - عظمة وعلو شأن هذا الدين ورقيه في تعامله مع الخصوم.
- ٤ - وجوب التحلي بالأخلاق الإسلامية مع جميع البشر مؤمنين أو عصاة أو كفرة.





الفصل الثالث

الذين يبغضهم الله عز وجل

ويتضمن تمهيداً وأحد عشر مبحثاً:

المبحث الأول: ألد الخصام.

المبحث الثاني: المكتفي آثار الجاهلية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإلحاد في الحرم.

المطلب الثاني: ابتغاء سنة الجاهلية في الإسلام.

المطلب الثالث: طالب دم امرئ بغير حق.

المبحث الثالث: الفاحش البذيء.

المبحث الرابع: المتشدد في الكلام.

المبحث الخامس وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشيخ الزاني.

المطلب الثاني: الفقير المختال.

المطلب الثالث: الغني الظلوم.

المبحث السادس: البياع الحلاف.

المبحث السابع: الإمام الجائر.



تمهيد

الحمد لله الذي أرسل محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً، الحمد لله الذي جعله هادياً مستقيماً، الحمد لله الذي أرسله مبيّناً لشريعته، ومفسراً لكتابه وموضحاً لأمر دينه.

فقد أنزل الله القرآن على سيدنا محمد ﷺ وفيه المجمع الذي يحتاج إلى بيان، وفيه المطلق الذي يحتاج إلى تقييد، وفيه العام الذي يحتاج إلى تخصيص، فكان للسنة النبوية دور كبير في بيان ذلك وإيضاحه. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(١)، فالسنة مصدر كبير لفهم أمور الشريعة وخصوصاً فرائض الإسلام، فما عرفت أوقات الصلاة ولا كيفية أدائها إلا بها وكذلك الصيام والزكاة والحج وغيرها من العبادات والمعاملات.

فتم تخصيص هذا الفصل في بيان الأمور التي يبغضها الله عز وجل، وقد بينها المصطفى ﷺ في أقواله الشريف وسنته المطهرة.



(١) سورة النحل، بعض آية: ٤٤.

المبحث الأول:

الألد الخصم

رَوَى البخاري في صحيحه بسنده إلى ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «أَبْغَضَ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلْدُ الْخَضْمُ»^(١).

وهو ما يفسر قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسْتُرُّهُ بِلسَانِكَ إِتْبَاشِرَ بِهِ الْمُنَاقِبِ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾^(٣).

اللُّدُّ لُغَةً

لَدَدَ: اللام والdal أصلان صحيحان: أحدهما يَدُلُّ على خِصَامٍ،

(١) رواه البخاري في الصحيح: كتاب المظالم - باب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (١٣٢/٥) ح (٢٤٥٧)، وكتاب التفسير - باب ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٣٦/٨) ح (٤٥٢٣)، وكتاب الأحكام - باب الألد الخصم، وهو الدائم في الخصومة (٢٢٣/١٣) ح (٧١٨٨). رواه مسلم في الصحيح: كتاب العلم - باب في الألد الخصم (١٢٩/١٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.

(٣) سورة مريم، الآية: ٩٧.

والآخر يُدَلُّ على ناحية وجانب^(١).

واللُدُّ، هُو شِدَّةُ الخُصومةِ، يُقال رَجُلٌ ألدٌ وَقَوْمٌ لُدٌّ^(٢)، قال تعالى: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾^(٣) وامرأةٌ لِدَاءٌ، ولِدَدَتْ فُلاناً ألدَّهُ لِدًّا إذا جَادَلته فَعَلَبْتَهُ^(٤).

قال الأصفهاني: (الألدُّ: الخَصِيمُ الشَّدِيدُ التَّأَبِيُّ، وَجَمَعَهُ لُدًّا)^(٥). قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾^(٦).

والألدُّ أفعالُ التَفْضِيلِ مِنَ اللَّدودِ وهو شِدَّةُ الخُصومةِ^(٧).

والخصم لغةً:

الخصم: المُنازَعَةُ^(٨) وهو الخِصْمُ الذي يُخاصِمُ^(٩).

والخَصَمَ مَصَدَرَ خَصَمْتُهُ، أي: نازَعْتُهُ خِصْمًا^(١٠).

ويجمع الخصمُ خُصوماً، والخصومة: الاسمُ مِنَ التَّخِصامِ والاختِصامِ^(١١).

والخصام: مصدرُ خاصمته مِخاصمةً وَخِصاماً^(١٢).

(١) معجم مقاييس اللغة (٢٠٣/٥) مادة لد.

(٢) تهذيب اللغة (٦٨/١٤)، ومعجم مقاييس اللغة (٢٠٣/٥)، والنهية (٢١١/٤)،

والمصباح المنير (٧٥٧/٢)، ومختار الصحاح ص ٢٤٨.

(٣) سورة مريم، بعض آية: ٩٧.

(٤) تهذيب اللغة (٦٨/١٤).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٣٩.

(٦) سورة البقرة، بعض آية: ٢٠٤.

(٧) عمدة القارئ (١١٤/١٨).

(٨) معجم مقاييس اللغة (١٨٧/٢)، ومختار الصحاح ص ٧٥. مادة خصم.

(٩) معجم مقاييس اللغة (١٨٧/٢).

(١٠) مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٨٤.

(١١) تهذيب اللغة (١٥٤/٧)، ولسان العرب (١٨٠/١٢).

(١٢) معجم مقاييس اللغة (١٨٧/٢).

والخصيم الكثير المخاصمة^(١)، قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾^(٢).

والخَصَمَ: الشديد الخصومة^(٣) وهو المختص بالخصومة^(٤)، قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ﴾^(٥).

قال ابن حجر: الخَصِيمَ بفتح الخاء المعجمة وكسر الصاد أي الشديد اللدد الكثير الخصومة^(٦).

قال ابن منظور: (الخصومة: الجدل. خاصمه خصاماً ومخاصمة فخصمه يخصمه خصماً: غلبه بالحقبة، ورَجُلٌ خصيم: جدل على النسب)^(٧).

قال أبو حيان: (الأصل في الخصومة التعميق في البحث عن الشيء)^(٨).

سبب نزول الآية:

ورد الحديث الشريف في باب ألد الخصام، بعد قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾^(٩).

وقَدْ وَرَدَ فِيمَنْ نَزَلَتْ فِيهِ الْآيَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ، ذَكَرَهَا الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ فِي سَنَدِهِ:

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٨٤.

(٢) سورة النحل، بعض آية: ٤.

(٣) لسان العرب (١٢/١٨٠)، ومختار الصحاح ص ٧٥.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٨٤.

(٥) سورة الزخرف، بعض آية: ٥٨.

(٦) فتح الباري (٨/٢٣٦).

(٧) لسان العرب (١٢/١٨٠).

(٨) البحر المحيط (٢/١١٧).

(٩) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.

الأول: نزلت في الأحنس بن شريق:

فعن السدي قال: نزلت في الأحنس بن شريق الثقفي - وهو حليف لبني زهرة - وأقبل إلى النبي ﷺ بالمدينة فأظهر له الإسلام، فأعجب النبي ﷺ ذلك منه وقال: «إنما جئت أريد الإسلام، والله يعلم إنني صادق»، وذلك قوله: ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾، ثم خرج من عند النبي ﷺ فمَرَّ بزرع لقوم من المسلمين وحممر، فأحرق الزرع وعقر الحُمُر، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾. وأما ألد الخصام فأعوج الخصام.

الثاني: نزلت في قوم من أهل النفاق:

عن ابن عباس قال: لما أصيبت هذه السرية أصحاب حبيب بن رجيح بين مكة والمدينة، فقال رجال من المنافقين: «يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا! لا هم قعدوا في بيوتهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم!» فأنزل الله عز وجل في ذلك من قول المنافقين، وما أصاب أولئك النفر من الشهادة والخير من الله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي: ما يظهر بلسانه من الإسلام، ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ - أي: من النفاق. ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ أي: ذو جدال إذا كَلَّمَكَ وَرَاجَعَكَ.

الثالث: عنى بذلك جميع المنافقين:

رَوَى ابن جرير عن محمد بن أبي معشر قال: أَخْبَرَنِي أَبِي أَبُو معشر نجيح قال: سمعت سعيداً المقبري يذكر محمد بن كعب، فقال سعيد: «إِنَّ فِي بعض الكتب أَنَّ اللَّهَ عِبَاداً أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَقُلُوبُهُمْ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ^(١)، لَبَسُوا لِلنَّاسِ مَسُوكَ^(٢) الضَّأْنِ مِنَ اللَّيْنِ، يَجْتَرُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «أَعْلَىٰ يَجْتَرُونَ وَبِي يَغْتَرُونَ... وَعَزَّتِي لَأَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً تَتْرِكُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا!» فقال محمد بن كعب: «وَأَيْنَ هُوَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؟» قال: «قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي

(١) الصبر: الدواء المرّ - مختار الصحاح ص ١٤٩.

(٢) مسوك: جمع المسك وهو الجلد - المصباح المنير (٧٨٧/٢).

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٢٤﴾». فقال سعيد: «قد عرفت فيمن أنزلت هذه الآية؟» فقال محمد بن كعب: «إن الآية تنزل في الرجل، ثم تكون عامة بعد»^(١). والآية تشمل هؤلاء ومن على شاكلتهم، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

معنى الصفة وأقوال العلماء فيها:

بين المصطفى ﷺ بغض الله عز وجل لصفة (الألد الخصم) من الرجال والمراد بها: الشديد الخصومة^(٢). وقال ابن حجر: الدائم في الخصومة^(٣).

وهذه خصلة من خصال المنافق التي ذكرها النبي ﷺ عن عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «أربع من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أوْتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(٤).

قال أبو جعفر: (اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

أ - فقال بعضهم: تأويله: أنه ذو جدال.

قال ابن عباس: أي ذو جدال، إذا كلّمك وراجعك.

قال قتادة: شديد القسوة في معصية الله، جدل بالباطل، وإذا شئت رأيت عالم اللسان جاهل العمل، يتكلم بالحكمة، ويعمل بالخطيئة.

ب - قال آخرون: أنه غير مستقيم الخصومة، ولكنه معوجها.

(١) جامع البيان (٢/٣٢٤، ٣٢٥).

(٢) جامع البيان (٢/٣٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (٢/١٣)، وتفسير الجلالين ص ٤٣، والتفسير الكبير (٢/٣٤٥)، والتحرير والتنوير (٢/٢٦٧).

(٣) فتح الباري (٥/١٣٢).

(٤) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الإيمان - باب علامة المنافق (١/١٢١) ح (٣٤)؛ وكتاب الظالم - باب إذا خاصم فجر (٥/١٣٣) ح (٢٤٥٩)، وكتاب الجزية والموادعة - باب إثم من عاهد ثم غدر (٦/٣٣٦) ح (٣١٧٨).

قال مجاهد: ظالمٌ لا يستقيم.

قال السدي: أغوجُ الخصام.

قال أبو جعفر: وكلا هذين القولين مُتقَارِبُ المعنى لأن الإعوجاج في الخصومة من الجدال واللدِّد^(١).

قال محمد بن كعب: الألد: الكذاب وكأنه أراد أن من يكثر المخاصمة يقع في الكذب كثيراً^(٢).

وقال الإمام النووي: (وألد شديد الخصومة مأخوذة من لذيدي الوادي وهما جانباه لأنه كل ما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر وأما الخصم فهو الحاذق بالخصومة، والمذموم هو الخصومة بالباطل في رفع حق أو إثبات باطل)^(٣).

وقال ابن حجر: (الألدُّ: الشديدُ اللدد أي الجدال، مشتق من اللدين وهما صفتا العنق، والمعنى أنه من أي جانب أخذ في الخصومة قوة)^(٤).

وقال السيد محمد رشيد رضا: (أي وهو نفسه أشد الناس مخاصمة وعداوة لمن يتودد إليهم، أو هو أشد خصمائهم).

وفيه وجه آخر، وهو أن الخصام بمعنى الجدال، أي وهو قوة العارضة في الجدل لا يعجزه أن يختلب الناس ويغشهم بما يظهر من الميل إليهم وإسعادهم في شئونهم ومصالحهم)^(٥).

العلة في إضافة الألد للخصام:

قال الإمام الزمخشري: (وإضافة الألد بمعنى في كقولهم: ثبت الغدر،

(١) جامع البيان (٢/٣٢٧).

(٢) فتح الباري (١٣/٢٢٤).

(٣) صحيح مسلم (١٦/٢١٩).

(٤) فتح الباري (٥/١٣٢).

(٥) تفسير المنار (٢/١٩٦).

أو جعل الخصام ألد على المبالغة. وقيل الخصام: جمع خصم، كَصَغِبِ
وصِعَاب، بمعنى وهو أَشَدُّ الخُصُومِ خُصُومَةً^(١).

قال العلامة الألوسي: (والإضافة فيه للاختصاص كما في أحسن الناس
وجهاً، وفي الآية إشارة إلى أن شدة الخصامة مذمومة)^(٢).

من الآثار المترتبة على هذه الصفة في الدنيا والآخرة:

- ١ - أن صاحب هذه الصفة على خطر عظيم أن يكون من المنافقين، لأن
من صفات المنافق أنه إذا خاصم فجر. قال العلامة الألوسي: (وشدة
الخصومة من صفات المنافقين لأنهم يحبون الدنيا فيكثرون الخصام
عليها)^(٣).
- ٢ - ربما ينساق صاحب هذه الصفة إلى الكذب حتى يبرر منهج
المخاصمة الذي اتجه إليه.
- ٣ - كثرة الخصام يزيد من كسب الآثام، عن ابن عباس رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال: «كفى بك إثماً أن لا تزال مخاصماً»^(٤).
- ٤ - تحاشي كثير من الناس محاورته، لتجنب الأثر السلبي في ذلك.

طرق الوقاية من هذه الصفة للمؤمن:

- ١ - الابتعاد عن مجالس المراء والجدال، حتى لا يتأثر فيتصف بصفة المنافقين.
- ٢ - تذكر الأجر العظيم الذي أعده الله عز وجل لمن ترك المراء حتى لو
كان على حق.

(١) الكشاف (٢٤٨/١).

(٢) روح المعاني (٤٩٠/١).

(٣) روح المعاني (٤٩٠/١).

(٤) رواه الترمذي: كتاب البر والصلة - باب ما جاء في المزاح (٣٥٨/٤) ح (٢٩٩٤) بإسناد
غريب.

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»^(١).

٣ - معرفة الآثار السلبية على شخصية الألد الخصم.



(١) رواه أبو داود في السنن: كتاب الأدب - باب في حسن الخلق (٦٠٤/٢)، والترمذي في السنن: كتاب البرّ والصلة - باب ما جاء في المراء (٣٥٨/٤) ح (١٩٩٣) بنحوه بإسناد حسن.

المبحث الثاني: المكتفي آثار الجاهلية

المطلب الأول:

الإلحاد في الحرم

روى البخاري في صحيحه بسنده إلى ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغي في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهرق دمه»^(١).

وهو ما يفسر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمِ تَذَقُّهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ﴾^(٣).

لحد لغة:

لحد: اللام والحاء والذال أصل يدل على ميل عن استقامة^(٤).

(١) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الديات - باب من طلب دم امرئ بغير حق (٢٦١/١٢) ح (٦٨٨٢).

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٤) معجم مقاييس اللغة (٢٣٦/٥) مادة لحد.

قال أبو عبيدة^(١): لَحَدْتُ لَهُ وَأَلْحَدْتُ لَهُ وَلَحَدَ إِلَى الشَّيْءِ تَلَحَّدُ
والتَّحَدَّ: مَالٌ^(٢).

أَلْحَدَ فِي دِينِ اللَّهِ أَي حَادَ عَنْهُ وَعَدَلَ^(٣).

يُقَالُ أَلْحَدَ الرَّجُلُ إِذَا مَالَ عَنْ طَرِيقَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ^(٤).

قال ابن السكيت^(٥): الْمُلْحَدُ: الْعَادِلُ عَنِ الْحَقِّ الْمُدْخَلِ فِيهِ مَا لَيْسَ
فِيهِ^(٦).

ومعنى الإلحاد في اللغة: الميلُ عن القصد^(٧).

وأصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء^(٨).

وقال الليث: أَلْحَدَ فِي الْحَرَمِ إِذَا تَرَكَ الْقَصْدَ فِيمَا أَمْرٌ بِهِ وَمَالَ إِلَى
الظلم^(٩).

واصطلاحاً؛

هو الميل عن الحق^(١٠).

(١) معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري، أبو عبيدة النحوي، من أئمة العلم بالأدب
واللغة، مولده ووفاته بالبصرة سنة ٢٠٩هـ. الأعلام (٢٧٢/٧)، والمعارف ص ٥٤٣.

(٢) لسان العرب (٣/٣٨٨).

(٣) مختار الصحاح ص ٢٤٧.

(٤) معجم مقاييس اللغة (٥/٢٣٦).

(٥) يعقوب بن إسحاق بن السكيت، البغدادي، أبو يوسف شيخ العربية، النحوي المؤدب
مؤلف كتاب «اصلاح المنطق» حجة في العربية ت ٢٤٤هـ. النبلاء (١٢/١٦).

(٦) تهذيب اللغة (٤/٤٢١)، ولسان العرب (٣/٣٨٨).

(٧) تهذيب اللغة (٤/٤٢٢)، ولسان العرب (٣/٣٨٩)، والمعجم الوسيط (٢/٨١٧).

(٨) لسان العرب (٣/٣٨٩).

(٩) تهذيب اللغة (٤/٤٢٢)، ولسان العرب (٣/٣٨٩).

(١٠) الكلبيات ص ٤٩٠.

الحرم لغةً:

- حرم: الحاء والراء والميم أصل واحد، وهو المنع والتشديد^(١).
المحرم هو الحرم، والمنسوب إلى الحرم حرمي^(٢).
تقول: أحرم الرجل فهو محرم وحرام والبيت الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، وقوم حرم، ومحرمون، وشهر حرام^(٣).
قال الليث: الحرم حرم مكة وما أحاط بها إلى قريب من الحرم^(٤).
والحرمان: مكة والمدينة، سمي بذلك لحرمتها، وإنه حرم أن يحدث فيهما أو يؤوي محدث^(٥).
والحرم: سمي بذلك لتحريم الله تعالى فيه كثيراً مما ليس بمحرم في غيره من المواضع^(٦).
والحرمة: ما لا يحل انتهاكه وكذا^(٧).

سبب نزول الآية:

روى الإمام السيوطي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (نزلت هذه الآية في عبدالله بن أنيس، أن رسول الله ﷺ بعثه مع رجلين: أحدهما مهاجري والآخر من الأنصار، فافتخروا في الأنساب فغضب عبدالله بن أنيس فقتل الأنصاري ثم ارتد عن الإسلام وهرب إلى مكة فنزلت فيه آية ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمِ نُدْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ يعني من لجأ

-
- (١) معجم مقاييس اللغة (٤٥/٢) مادة حرم.
 - (٢) تهذيب اللغة (٤٤/٥)، ومعجم مقاييس اللغة (٤٦/٢).
 - (٣) تهذيب اللغة (٤٣/٥).
 - (٤) معجم مقاييس اللغة (٤٥/٢).
 - (٥) مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٣٠.
 - (٦) تهذيب اللغة (٤٤/٥).
 - (٧) مختار الصحاح ص ٥٦.

إلى الحرم (بالحاد) يعني بميل عن الإسلام^(١).

أقوال العلماء في معنى الظلم:

قال الإمام الطبري: (اختلف أهل التأويل في معنى الظلم الذي من أراد الإلحاد به في المسجد الحرام، أذاقه الله من العذاب الأليم).

أ - قال بعضهم: ذلك هو الشرك بالله وعبادة غيره به: أي بالبيت.

وقال ابن عباس: بشرك.

وقال مجاهد: هو أن يعبد فيه غير الله.

وقال المعتمر بن سليمان عن أبيه: هو الشرك، ومن أشرك في بيت الله عذبه الله.

ب - وقال آخرون: هو الاستحلال الحرام فيه أو ركوبه.

قال ابن عباس: يعني أن تستحل من الحرام ما حرم الله عليك من لسان أو قتل، فتظلم من لا يظلمك، وتقتل من لا يقتلك، فإذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم.

وقال مجاهد: يعمل فيه عملاً سيئاً.

وقال عبدالله بن مسعود: ما من رجل يهم بسيئة فتكتب عليه، إلا أن رجلاً لو هم بعدن أبين أن يقتل رجلاً بهذا البيت، لأذاقه الله من العذاب الأليم.

وقال شعبة^(٢): لو أن رجلاً هم فيه بسيئة وهو بعدن أبين، لأذاقه الله عذاباً أليماً.

(١) الدر المنثور (٢٧/٦).

(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، الواسطي ثم البصري أبو بسطام: من أئمة رجال الحديث حفظاً ودراية وتثبيتاً، وكان عالم بالأدب والشعر له كتاب «الغرائب» في الحديث ت ١٦٠هـ. وفيات الأعيان (٤٦٩/٢)، والأعلام (١٦٤/٣).

قال الضحاك بن مزاحم^(١): إن الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو في بلد آخر ولم يعملها، فتكتب عليه.

وقال ابن زيد: الإلحاد: الظلم في الحرم.

ج - وقال آخرون: بل معنى ذلك الظلم: استحلال الحرام متعمداً.

قال ابن عباس: الذي يريد استحلاله متعمداً.

د - وقال آخرون: بل ذلك احتكار الطعام بمكة.

قال حبيب بن أبي ثابت^(٢): هم المحتكرون الطعام بمكة.

هـ - وقال آخرون: بل ذلك كل ما كان منهيّاً عنه من الفعل، حتى قول القائل: لا والله، وبلى والله.

وقال الأعمش^(٣): كان عبدالله بن عمرو يقول: لا والله وبلى من الإلحاد فيه.

وأولى الأقوال: إن معنى الظلم في هذا الموضع، كل معصية لله^(٤).

وقال الإمام الفخر الرازي: (والذي عليه المحققون: أن الإلحاد بظلم عام في كل المعاصي، لأن كل ذلك صَغُرَ أم كبر يكون هناك أعظم منه في سائر البقاع)^(٥).

(١) الضحاك بن مزاحم هو من بني عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، رهط «زينب» زوج النبي ﷺ يكنى أبا القاسم وكان معلماً أتى خراسان وأقام بها، ت ١٠٢هـ. المعارف ص ٤٥٧.

(٢) حبيب بن أبي ثابت الإمام الحافظ فقيه الكوفة أبو يحيى القرشي الأسدي مولا هم واسم أبيه قيس بن دينار، وقيل قيس بن هند، ت ١٢٢هـ. النبلاء (٥/٢٨٨).

(٣) سليمان بن مهران الأسدي، بالولاء أبو محمد المعروف بالأعمش، عالم بالقرآن والحديث والفرائض كان ثقة عالماً فاضلاً، ت ١٤٨هـ بالكوفة. وفيات الأعيان (٢/٤٠٠)، والأعلام (٣/١٣٥).

(٤) جامع البيان (٩/١٣٢).

(٥) التفسير الكبير (٨/٢١٨).

معنى الصفة (الإلحاد في الحرم):

يتبين لنا فيما سبق أن المراد بالإلحاد في الحرم، هو معصية الله عز وجل في مكان شريف طاهر وهو أفضل بقعة على وجه الأرض ألا وهو الحرم المكي.

وإن الإلحاد: هو العدول عن القصد^(١).

وقال الشيخ ابن عاشور: الإلحاد: الانحراف عن الاستقامة وسواء الأمور^(٢).

قال الكرمانى^(٣): ومعناه الظلم في أرض الحرم بتغييرها عن وضعها أو تبديل أحكامها ونحوه^(٤).

علاقة مرتكب الصغيرة بالميل عن الحق:

قال الإمام ابن حجر: (إن هذه الصيغة في العرف مستعملة للخارج عن الدين فإذا وصف به من ارتكب معصية كان في ذلك إشارة إلى عظمها.

وقيل: إيرادها بالجملة الاسمية مشعر بثبوت الصفة، ثم التنكير للتعظيم ففيه إشارة إلى عظم الذنب.

وظاهر سياق الحديث أن فعل الصغيرة في الحرم أشد من فعل الكبيرة في غيره. وهو شكل فيتعين أن المراد بالإلحاد فعل الكبيرة، ويؤخذ ذلك

(١) التفسير الكبير (٢١٧/٨)، وفتح الباري (٢٦٢/١٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٣٩/١٧).

(٣) محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرمانى، البغدادي (شمس الدين) فقيه أصولي، محدث، مفسر، متكلم، نحوي ولد ٧١٧هـ، من تصانيفه «شرح الفوائد في المعاني والبيان» وسماه «تحقيق الكواكب الدرارى في شرح صحيح البخاري». معجم المؤلفين (٧٨٤/٣).

(٤) صحيح البخاري (١٤/٢٤).

من سياق الآية فإن الإتيان بالجملة الاسمية في قوله ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ يُظَلِّمِ﴾^(١) يفيد ثبوت الإلحاد ودوامه، والتنوين للتعظيم أي من يكون إلحاده عظيماً^(٢).

تعظيم الحرم من تعظيم الله:

طرح ابن حجر سؤالاً، قال فيه: (إن الحرم يجب اعتقاده فمن هم بالمعصية فيه خالف الواجب بانتهاك حرمة، وأن تعظيم الله أكد من تعظيم الحرم ومع ذلك فمن هم بمعصيته لا يؤاخذة فكيف يؤاخذ بما دونه؟

وأجاب: أن انتهاك حرمة الحرم بالمعصية تستلزم انتهاك حرمة الله لأن تعظيم الحرم من تعظيم الله فصارت المعصية في الحرم أشد من المعصية في غيره وإن اشترك الجميع في ترك تعظيم الله تعالى، نعم من هم بالمعصية قاصداً الاستخفاف بالحرم عصى، ومن هم بمعصية الله قاصداً الاستخفاف بالله كفر، وإنما بالمعفو عنه من هم بمعصية ذاهلاً عن قصد الاستخفاف^(٣).

من الآثار المترتبة على — الإلحاد في الحرم:

- ١ - بغض الله عز وجل للمتصفين بهذه الصفة المذمومة.
- ٢ - عدم تورع وحذر - صاحب هذه الصفة - من الوقوع في المعاصي وخصوصاً في الحرم.
- ٣ - فقدان هبة الأماكن المقدسة عند أصحاب هذه الصفة.
- ٤ - تغلغل صاحب هذه الصفة في المعاصي، جعله لا يميز بين الحرم وغيره من البقاع في الحرمة.

(١) سورة الحج، بعض آية: ٢٥.

(٢) فتح الباري (١٢/٢٦٢).

(٣) فتح الباري (١١/٣٩٨).

طرق الوقاية من هذه الصفة للمؤمن:

- ١ - الحرص على اجتناب صفات الذنوب فضلاً عن كبائرهما في حياته العامة.
- ٢ - إضفاء الهيبة والحرمة لبيوت الله عزّ وجلّ وخصوصاً بيت الله الحرام.
- ٣ - استشعار عظم الإثم عند الوقوع في المعصية في الحرم، لأنّ الذنب يضاعف وزره، كما يضاعف أجر الحسنه.
- قال عمر بن الخطاب: (لأنّ أخطىء سبعين خطية بركة^(١))، أحب إلي من أن أخطىء خطيئة واحدة بمكة^(٢).
- وقال ابن جريج: (بلغني أنّ الخطيئة بمائة خطيئة والحسنه على نحو ذلك)^(٣).
- ٤ - استشعار مراقبة الله له دوماً في السر والعلن.



(١) بركة يريد نجداً.
(٢) أخبار مكة (٢/١٣٧).
(٣) المرجع السابق.

المطلب الثاني:

نشر العادات الجاهلية في الإسلام

روى البخارى في صحيحه بسنده إلى ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغي في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرىء بغير حق ليهرق دمه»^(١).

مبتغ لغة:

كلمة مبتغ من مشتقات بغي، والمراد بها طلب الشيء. تقول بَغَيْتُ الشيء أَبغيه إذا طلبته. ويقال بَغَيْتَكَ الشيء إذا طلبته لك، وأبغَيْتَكَ الشيء إذا أَعْنَتَكَ على طلبه^(٢). قال الإمام ابن حجر: ومبتغ أي طالب^(٣).

والجاهلية لغة:

وكلمة الجاهلية من مشتقات الجَهْل وهو خلاف العلم^(٤). نقول جَهْل فلان حق فلان، وجَهْل فلانٌ عليّ وجَهْل بهذا الأمر، والجهالة: أن يفعل فعلاً بغير علم^(٥).

والجاهلية الجَهلاء: زمان الفترة ولا إسلام^(٦).

وقال التهانوي^(٧): (الجاهلية هو الزمان الذي قبل البعثة. وقيل ما قبل

(١) سبق تخريجه ص ٤٣٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢٧١/١) مادة بغي.

(٣) فتح الباري (٢٦٢/١٢).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤٨٩/١) مادة جهل.

(٥) تهذيب اللغة (٥٦/٦)، ولسان العرب (١٣٠/١١).

(٦) تهذيب اللغة (٥٦/٦)، ولسان العرب (١٣٠/١١).

(٧) محمد بن علي بن محمد الفاروقي، الحنفي، التهانوي، لغوي، مشارك في بعض العلوم، من الهند. من آثاره «كشاف اصطلاحات القرآن والعلوم»، ت ١١٥٨ هـ. معجم المؤلفين (٥٣٧/٣).

فتح مكة^(١).

قال الشيخ ابن عاشور: (والجاهلية صفة جرت على موصوف محذوف يقدر بالفئة أو الجماعة، والظاهر أنه نسبة إلى الجاهل أي الذي لا يعلم الدين والتوحيد)^(٢).

والجاهلية اصطلاحاً:

هي الحالة التي كانت عليها العرب قبل الإسلام؛ من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب والكبر والتعبر وغير ذلك^(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

إن الجاهلية هي الزمن غاب فيه العلم بالدين والتوحيد لله عز وجل، واتجه فيه إلى عبادة غيره من الأوثان والأصنام.

معنى الصفة وأقوال العلماء فيها:

والصفة التي يبغضها الله عز وجل في هذا المبحث قوله ﷺ: «مبتغ في الإسلام ستة جاهلية» والمراد بها، الإنسان الذي يسعى إلى نشر وإشاعة العادات الجاهلية المذمومة التي نهى عنها الله تعالى أو رسوله محمد ﷺ بغية منه ترسيخ جذور الجاهلية في نفوس المسلمين، والمحاولة إلى ردهم إلى العصر الجاهلي بفعل هذه العادات.

صور وأمثلة لسنن الجاهلية:

قال الشيخ الكرمانى: («ستة الجاهلية» أي طريقة أصلها كاليأحة)^(٤).

(١) كشف اصطلاحات الفنون (١/٢٥٥).

(٢) التحرير والتنوير (٤/١٣٦).

(٣) النهاية (١/٣١١)، ولسان العرب (١١/١٣٠).

(٤) صحيح البخاري (٢٤/١٤).

وقال الإمام ابن حجر: («سنة الجاهلية» اسم جنس يعتم جميع ما كان عليه أهل الجاهلية من الطيرة والكهانة والنوح وأخذ الجار بجاره والحليف بحليفه ونحو ذلك.

وصورة ذلك:

أ - أن يكون له الحق عند شخص فيطلبه من غيره ممن لا يكون له فيه مشاركة كوالده أو ولده أو قريبه.

ب - أو من يريد بقاء سيرة الجاهلية أو إشاعتها أو تنفيذها^(١).

وطرح الشيخ الكرمانى تساؤلاً فقال: (فإن قلت هي صغيرة؟

وأجاب: إن معنى طلب سنتها ليس فعلها بل إرادة بقاء تلك القاعدة وإشاعتها وتنفيذها بل جميع قواعدها لأن اسم الجنس المضاف عام ولهذا المعنى لم يقل فاعلها)^(٢).

خطورة نشر العادات الجاهلية في الإسلام:

بين النبي ﷺ عظم خطورة العادات الجاهلية على عقيدة المسلم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»^(٣).

العلة في بغض الله عز وجل نشر العادات الجاهلية:

لمحاولة صاحب هذه الصفة إشاعة ما قضى عليه الإسلام من عادات جاهلية، وعدم الالتزام بتعاليم الإسلام في الابتعاد عن هذه العادات المذمومة.

(١) فتح الباري (١٢/٢٦٢).

(٢) فتح الباري (١٢/٢٦١).

(٣) رواه مسلم في الصحيح: كتاب الإيمان - باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة (٥٧/٢).

من الآثار المترتبة على هذه الصفة في الدنيا والآخرة:

- ١ - بغض الله عزّ وجلّ لصاحب هذه الصفة.
- ٢ - شيوع العادات الجاهلية في المجتمع المسلم.
- ٣ - تآسي ضعفاء الإيمان عند رؤية العادات الجاهلية فيعملون بها عن ضعف أو جهل.
- ٤ - لقاء العبد صاحب هذه الصفة - الله عزّ وجلّ - وبه أدران الجاهلية.

طرق الوقاية من هذه الصفة للمؤمن:

منها:

- ١ - معرفة سنن وعادات أهل الجاهلية التي حاربها الإسلام.
- ٢ - التمسك بتعاليم كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه محمد ﷺ شرعة ومنهجاً.
- ٣ - اتباع المصطفى ﷺ في هديه وخلقه.
- ٤ - العلم بمخاطر العادات الجاهلية على المجتمع المسلم وإنها تنقض عرى الإسلام عروة عروة.
- ٥ - التحصن بالعلم الشرعي لمعرفة حكم ما يطرأ على المجتمع من عادات دخيلة ومذمومة.
- ٦ - إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي صِمَام الإسلام وبقاؤه.



المطلب الثالث:

طالب دم امرىء بغير حق

روى البخاري في صحيحه بسنده إلى ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغي في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرىء بغير حق ليهرق دمه»^(١).

المعنى اللغوي:

طَلَبَ: الطاء واللام والباء أصلٌ واحد يدل على ابتغاء الشيء^(٢).

قال ابن منظور: (الطَلَبُ: مُحاوِلةٌ وجدانُ الشيءِ وأخذُه.

والمُطالَبَةُ: أن تطالب إنساناً بحق لك عنده، ولا تزال تتقاضاه وتطالبه بذلك)^(٣).

قال ابن حجر: (وَمَطَّلِبٌ بتشديد مفتعل من الطلب فأبدلت التاء طاء، وأدغمت، والمراد من يبالغ في الطلب)^(٤).

وكَلَّأَ مُطَلَّبٌ: بَعِيدُ المَطَّلِبِ يُكَلِّفُ أن يُطَلَّبَ^(٥). وماءٌ مُطَلَّبٌ: بعيد عن الكَلَأِ، أو بينهما ميلانٍ أو يَوْمٌ أو يومان^(٦).

هَرَقَ: هَرَأَتِ السماء ماءها، وهي تَهْرِيقٌ. والماءُ مُهْرَاقٌ، الهاء في ذلك متحركة لأنها ليست بأصلية، وإنما هي بدل من همزة أراق. وَهَرَقْتُ مثل أَرَقْتُ^(٧).

(١) سبق تخريجه ص ٤٣٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤١٧/٣) مادة طلب.

(٣) لسان العرب (٥٥٩/١).

(٤) فتح الباري (٢٦٢/١٢).

(٥) لسان العرب (٥٦٠/١).

(٦) ترتيب القاموس المحيط (٨٤/٣).

(٧) تهذيب اللغة (٣٩٦/٥)، ولسان العرب (٣٦٥/١٠) مادة هرق.

وَأَهْرَقَهُ يُهْرِيقُهُ إِهْرَاقًا: أَصْلُهُ أَرَاقَةٌ يُرِيقُهُ إِرَاقَةً، وَأَصْلُ أَرَاقٍ أَرِيقٌ^(١).
 هَرَقَ الْمَاءَ هَرَقًا: صَبَّهُ. وَيُقَالُ: هَرَأَتِ الدَّمُ: سَفَكَهُ. وَيُقَالُ: هَرَأْتُ دَمَ عَدُوِّهِ: قَتَلْتُهُ^(٢).

معنى إهراق الدم بغير حق وأقوال العلماء فيها:

والصفة التي يُبغضها الله عزَّ وجلَّ في هذا الحديث هي قوله ﷺ: «مَطْلَبُ دَمٍ أَمْرِيءٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهْرِيقَ دَمَهُ» والمرادُ بها من يتكلف في طلب دم إنسان بغير وجه حق ليسفك دمه.

وقوله «بغير حق» قال ابن حجر: (احتراز عن من يقع له مثل ذلك لكن بحق كطلب القصاص مثلاً)^(٣).

ويتبين من الحديث أن الإنسان يسعى في طلب إزهاق روح هذا المرء دون أن يكون له حق في ذلك، وهذا الشائع في واقعنا الحالي، فبمجرد نشوب خلاف بين طرفين أو سوء تفاهم في أمر من الأمور أسرع وسعى أحدهما أو كلاهما لسفك دم غريمه وخصميه، وتفنن بدون مبرر شرعي في ذلك، ناسفًا وراءه حقوق الصحة والأخوة.

وطرح الكرمانى سؤالاً قائلاً فيه: (إن الإهراق هو المحظور المستحق لمثل هذا الوعيد لا مجرد الطلب؟ وأجاب: المراد الطلب المترتب عليه أو ذكر التطلب ليلزم في الإهراق بالطريق الشرعي فيه مبالغة)^(٤).

من الآثار المترتبة على إهراق الدم بغير حق في الدنيا والآخرة:

١ - ضياع حرمة دم المسلم، وسهولة طلبه لإراقتة.

(١) ترتيب القاموس المحيط (٥٠٢/٤).

(٢) المعجم الوسيط (٩٨٢/٢).

(٣) فتح الباري (٢٦٢/١٢).

(٤) صحيح البخاري (١٤/٢٤) بتصرف.

- ٢ - خوف وحذر ينتاب الإنسان عند قيامه بعلاقات شخصية مع الآخرين .
- ٣ - سعي الإنسان وراء انفعالاته خصوصاً - الانفعال الغضبي - بتحقيق ذلك .
- فمن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(١) .
- ٤ - إلغاء وبعثرة جميع الحقوق والقيم الإنسانية، حين ممارسة هذه الصفة .
- ٥ - بغض الله عز وجل لأصحاب هذه الصفة .
- ٦ - البعد عن التحاكم بالشرعية الإسلامية، والجري وراء الأهواء .
- ٧ - العذاب الأليم الذي يلحق بصاحب هذه الصفة عند سفكه لدم إنسان بغير حق . قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَدًّا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعُضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٢) .

طرق الوقاية من إهراق الدم بغير حق للمؤمن:

منها:

- ١ - تحكيم العقل على الهوى في مثل هذه المواقف .
- ٢ - اتباع هدى المصطفى ﷺ في السيطرة على الانفعال الغضبي .
- ٣ - معرفة عقوبة من يقتل نفس بغير حق .
- ٤ - الابتعاد عن أصدقاء السوء الذين يزينون هذا الأمر لصاحبهم .
- ٥ - مجالسة الصالحين، والمشاركة في أعمالهم الخيرة والصالحة .

(١) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الأدب - باب الحذر من الغضب (١٠/٦٣٧) ح(٦١١٤).

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٣ .

ورواية تتعلق بهذه الصفة:

إذ ذكر ابن حجر في فتح الباري سبباً لهذا وأنه قرأه في «كتاب مكة لعمر بن شيبه» أنه قتل رجل بالمزدلفة يعني في غزوة الفتح. وأن النبي ﷺ قال: «وما أعلم أحداً أعتى على الله من ثلاثة: رجل قُتل في الحرم أو قَتَلَ غير قاتلة أو قتل بذحل»^(١) في الجاهلية^(٢).



(١) بذحل. أي بثأره والجمع ذحول انظر مختار الصحاح ص ٩٥.

(٢) فتح الباري (٢٦٢/١٢).

المبحث الثالث: الفاحش البذيء

روى الترمذي في جامعه الصحيح بسنده إلى أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»^(١).

قال الترمذي في جامعه الصحيح هذا حديث حسن صحيح.

وروى الإمام أحمد في مسنده بسنده إلى عبدالله بن عمران أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يحب الفحش أو يبغض الفاحش والمتفحش»^(٢).

الفحش لغة:

فحش: الفاء والحاء والشين كلمة تدل على قُبْح في شيء وشناعة^(٣).
من ذلك الفحش والفحشاء والفاحشة. يقولون: كل شيء جاوز حده

(١) رواه الترمذي في السنن: كتاب البرّ والصلة - باب ما جاء في حسن الخلق (٣٦٢/٤) ح (٢٠٠٢) بإسناد حسن صحيح.

(٢) رواه أحمد في المسند (١٦٢/٢) حديث صحيح.

(٣) معجم مقاييس اللغة (٤٧٨/٤) مادة فحش.

وقَدْره فهو فحاش^(١). ولا يكون ذلك إلا فيما يُتكره^(٢).
 وجمع الفاحشة الفواحش. وأفحش عليه في المنطق أي قال الفُحش.
 والفُحشاء: اسم الفاحشة^(٣).
 وأفحش الرجلُ أتى بالفُحش وهو القول السيئ^(٤).
 والفاحِشُ في الحديث: ذُو الفُحش والخنا^(٥) من قول وفعل،
 والمُتفحِّش الذي يتكلفُ سب الناس ويتعمده^(٦).
 وقال الأصفهاني: (والمتفحش: الذي يأتي بالفحش)^(٧).

والفحش اصطلاحاً:

قال أبو البقاء: (كل شيء تجاوز قدره، وكل أمر لا يكون موافقاً
 للحق فهو فاحش)^(٨).

والبذيء لغة:

من - بدأ - الباء والذال والهمزة أصل واحد، وهو خروج الشيء عن
 طريقة الإحماء.

نقول: هو بذيء اللسان، وقد بذأت على فلان أبذاً بذاء^(٩).

-
- (١) تهذيب اللغة (٤/١٨٨)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/٤٧٨)، ولسان العرب (٦/٣٢٦)
 ومختار الصحاح ص ٢٠٦.
 (٢) معجم مقاييس اللغة (٤/٤٧٨).
 (٣) لسان العرب (٦/٣٢٥).
 (٤) المصباح المنير (٢/٦٣٢).
 (٥) الخنا: الفحش انظر مختار الصحاح ص ٨٠.
 (٦) تهذيب اللغة (٤/١٨٩)، ولسان العرب (٦/٣٢٥).
 (٧) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٢٧.
 (٨) الكليات ص ٦٧٥.
 (٩) معجم مقاييس اللغة (١/٢١٧) مادة بدأ.

وامرأة بذئثة، ورجل بذيء من قوم أبذياء. والبذيء: الفاحش السييء القول^(١).

وبذا على القوم ييدو بذاء بالفتح والمد سفه وأفحش في منطقته وإن كان كلامه صدقاً فهو بذيء على فعيل^(٢).

والبذاء بالمد الفحش في القول^(٣). والبذيء بالذال المعجمة ممدوداً هو المتكلم بالفحش وروى الكلام.

ويقال: بذأت المكان أبذؤه إذا أتته فلم تحمده^(٤).

ويقال: بذأت عيني فلان تبذؤه بذاءة، إذا لم تقبله ورأت منه حالاً كرهتها^(٥).

وبذأته العين أزدرتة واستخفت به^(٦).

وقال الكفوي: (والبذا بالمعجمة: هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، ويجري أكثر ذلك في الوقاع)^(٧).

معنى الفاحش البذيء:

والصفة التي يبغضها الله عزّ وجلّ في هذا الحديث تتعلق باللسان وما يجب أن لا يكون عليه وهو الفحش والبذاء، والمراد أن الله عزّ وجلّ يبغض صاحب اللسان السييء ذو الكلام البذيء والجارجح في اللفظ والذي يتكلم فيما لا ينبغي له الكلام.

(١) تهذيب اللغة (٢٥/١٥).

(٢) المصباح المنير (٥٧/١).

(٣) النهاية (١١١/١).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٢١٧/١).

(٥) تهذيب اللغة (٢٥/١٥).

(٦) المصباح المنير (٥٧/١).

(٧) الكلبيات ص ٢٤٣.

قال المباركفوري^(١): (الفاحش الذي يتكلم بما يكره سماعه أو من يرسل لسانه بما لا ينبغي)^(٢).

وقال ابن العربي: (والبذاءة إرسال اللسان بما لا ينبغي في قول، واحتقار الغير في قول آخر، وامرأة بذیئة: أي محتقرة، أو منطلقة اللسان)^(٣).

قال المباركفوري نقلاً عن القاري: (ومن المقرر أن كل ما يكون مبعوضاً لله ليس له وزن وقدر كما أن كل ما يكون محبوباً له يكون عنده عظيماً، قال تعالى: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾^(٤) وفي الحديث المشهور، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»^(٥). وبهذا تمت المقابلة بين القريتين)^(٦).

من الآثار المترتبة على هذه الصفة في الدنيا والآخرة:

- ١ - ملازمة القبح والشين لصاحب هذه الصفة في كلامه، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما كان الفحش في شيء إلا شأنه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه»^(٧).
- ٢ - تجاوز الفاحش البذيء الحد الذي يجب أن يقف عنده في كلامه.

(١) محمد بن عبدالرحمن عبدالرحيم بهادر المباركفوري، محدث ولد بالهند سنة ١٢٨٣هـ، وقرأ بالعربية وبالفارسية، أسس عدة مدارس ودرس فيها بنفسه - من آثاره «تحفة الأحوذى في شرح جامع الترمذي». معجم المؤلفين (٣/٣٩٤).

(٢) تحفة الأحوذى (١٤٠/٦).

(٣) عارضة الأحوذى (١٢٨/٨).

(٤) سورة الكهف، بعض آية: ١٠٥.

(٥) رواه البخاري في الصحيح: كتاب التوحيد - باب قوله وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١٣/٦٥٩﴾ ح (٧٥٦٣).

(٦) تحفة الأحوذى (١٤٠/٦).

(٧) رواه الترمذي في السنن: كتاب البر والصلة - باب ما جاء في الفحش والتفحش (٤/٣٤٩) ح (١٩٧٤)، وابن ماجه في السنن: كتاب الزهد - باب الحياء (٢/١٤٠٠).

ح (٤١٨٥)، وأحمد في المسند (٣/١٦٥) قال الترمذي: حديث حسن غريب.

- ٣ - الإساءة للآخرين، وتجريح من حوله وذلك بتلفظه بكلام تكره الناس سماعه.
- ٤ - تجنب الناس له في الحديث والتعامل معه، حتى لا يسمعو ما يكرهون سماعه منه.
- ٥ - التأثير السيء على الأبناء والأسرة وذلك من خلال معاشتهم له، فيقعون فيما وقع فيه من الفحش والبذاءة في القول.
- ٦ - ربما تجر بذاءة اللسان إلى عواقب وخيمة من المقاتلة والمخاصمة.
- ٧ - خسران محبة الله له في الدنيا.

طرق الوقاية من هذه الصفة للمؤمن: منها:

- ١ - العلم بمحاسبة الله عزّ وجلّ للعبد في كل كلمة فاحشة أو بذيئة يتلفظ بها، فقد جاء في سؤال معاذ بن جبل للنبي ﷺ: «وإننا لمؤاخذون بما نتكلم به»، فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على وجوههم في النار أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»^(١) وهو ضمن حديث طويل.
- ٢ - والعلم برصد الملائكة لجميع أقوال الإنسان، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٢).
- ٣ - ترطيب اللسان بذكر الله عزّ وجلّ والاستغفار إليه.
- ٤ - التفكير في الكلمة والجملة قبل التلفظ بها، ومعرفة آثارها السيئة على الآخرين.

(١) رواه الترمذي في السنن: كتاب الإيمان - باب ما جاء في حرمة الصلاة (١١/٥) ح(٢٦١٦)، وابن ماجه في السنن: كتاب الفتن - باب كف اللسان في الفتنة (١٣١٤/٢) ح(٣٩٧٢)، وأحمد في المسند (٢٣١/٥) قال الترمذي: حديث صحيح حسن.

(٢) سورة ق، بعض آية: ١٨.

المبحث الرابع: المتشدد في الكلام

روى الأمام أحمد في مسنده والترمذي في جامعه الصحيح وأبو داود في سننه بسندهما إلى عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلله بلسانه كما تتخلل البقرة»^(١).

وفي رواية الإمام أحمد وأبو داود: «... تخلل البقرة بلسانها».

قال الترمذي في جامعه الصحيح، والمباركفوري في تحفة الأحوزي: حديث حسن غريب.

والبليغ لغة:

(البليغ): أي المبالغ في فصاحة الكلام وبلاغته^(٢).

(من الرجال): أي مما بينهم، وخصوصاً لأنهم الغالب فيهم^(٣).

تخلل الشيء: نفذ وتخلل الثوب: بلى ورق. يقال: فلان يتخلل

(١) رواه أحمد في المسند: (١٦٥/٢)، والترمذي في السنن: كتاب الأدب - باب ما جاء في الفصاحة والبيان (١٤١/٥) ح (٢٨٥٣)، وأبو داود في السنن: كتاب الأدب - باب ما جاء في المتشدد في الكلام (٦٥٠/٢) بإسناد حسن غريب.

(٢) تحفة الأحوزي (١٤٦/٨)، وعون المعبود (٢٣٧/١٣).

(٣) تحفة الأحوزي (١٤٦/٨).

الكلام بلسانه يتشدد به ويفخم به لسانه^(١).

(الذي يتخلل بلسانه): أي يأكل بلسانه أو يدير لسانه حول أسنانه مبالغة في إظهار بلاغته وبيانه^(٢).

(كما تتخلل البقرة): أي بلسانها^(٣).

(تخلل البقرة بلسانها): أصله تتخلل حذفت إحدى التائين تخفيفاً^(٤). أي البقرة كأنه أدخل التاء فيها على أنه واحد من الجنس كالبقرة من البقر واستعمالها من التاء قليل^(٥).

العلة في تخصيص البقرة دون سائر الحيوانات:

قال المباركفوري: (وخص البقرة لأن جميع البهائم تأخذ النبات بأسنانها وهي - أي البقرة - تجمع بلسانها)^(٦).

معنى الصفة وأقوال العلماء فيها:

الصفة التي يبغضها الله عز وجل في هذا الحديث تتعلق بطريقة كلام الرجل، وذلك حين يتصنع ويتكلف في إظهار والبلاغة في حديثه مع الناس، عن طريق إدارة اللسان حول الأسنان أو غيرها.

قال ابن الأثير: (هو الذي يتشدد في الكلام ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلاً بلسانها لفاً)^(٧).

قال العظيم أبادي: (في شرحه لعنوان الباب: أي التوسع في الكلام

(١) المعجم الوسيط (٢٥٣/١) مادة بلغ.

(٢) تحفة الأحوذى (١٤٦/٨)، وعون المعبود (٣٢٧/١٣).

(٣) تحفة الأحوذى (١٤٦/٨).

(٤) الفتح الرباني (٢٧١/١٩).

(٥) عون المعبود (٣٢٧/١٣).

(٦) تحفة الأحوذى (١٤٦/٨).

(٧) النهاية (٧٠/٢).

من غير احتياط واحتراز^(١).

قال السهارةنفوري نقلاً عن المنذري: (المراد أن المبعوض والمذموم هو المبالغة في الكلام على التكلف والتصنع، وأما إن كانت البلاغة خلقياً فلا يدخل في الذم).

من الآثار المترتبة على هذه الصفة في الدنيا والآخرة:

- ١ - بغض الله عزّ وجلّ للمتشدق في حديثه وكلامه.
- ٢ - بعد منزلة صاحب هذه الصفة عن الرسول ﷺ يوم القيامة، عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»، قالوا: «يا رسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين فما المتفيهقون؟» قال: «المتكبرون»^(٢).
- ٣ - مقت الآخرين ومن حوله - لصاحب هذه الصفة لتكلفة الدائم في الحديث ومحاولة إظهار البلاغة في الكلام.

طرق الوقاية من هذه الصفة للمؤمن:

منها:

- ١ - معرفة هدى المصطفى ﷺ في حديثه وطريقة كلامه، وأسلوب خطابه للتأسي به.
- ٢ - الإمام بالطرق الحديثة لكسب الجمهور من خلال الحديث معهم.
- ٣ - تذكر بغض الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ لصاحب هذه الصفة، سبيلاً للابتعاد عن هذا الأسلوب في الحديث.

(١) بذل المجهود (٢٤٣/١٩).

(٢) رواه الترمذي في السنن: كتاب البرّ والصلة - باب ما جاء في معالي الأخلاق (٣٧٠/٤) ح (٢٠١٨) بإسناد حسن غريب.

المبحث الخامس:
الشيخ الزاني،
الفقير المختال، الغني الظلوم

فقد روى الإمام أحمد في المسند والترمذي في جامعه الصحيح والنسائي في السنن بسندهما إلى أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله، فأما الذين يحبهم الله، فرجل أتى قوماً فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فمنعوه، فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سرّاً لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه، وقوماً ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به نزلوا فوضعوا رؤوسهم فقام أحدهم يتملق ويتلو آياتي، ورجل كان في سرية فلقى العدو فهزموا وأقبل بصدرة حتى يُقتل أو يُفتح له. والثلاثة الذين يبغضهم الله: الشيخ الزاني، والفقير المختال، والغني الظلوم»^(١).

قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(١) رواه أحمد في المسند (١٥٣/٥)، والترمذي في السنن: كتاب صفة الجنة - باب ٢٥ (٦٩٨/٤) ح (٢٥٦٨)، والنسائي في السنن: كتاب الزكاة - باب ثواب من يعطي (٨٤/٥) بإسناد صحيح.

المطلب الأول: الشيخ الزاني

الشيخ لغةً:

قال ابن فارس: الشين والياء والخاء كلمة واحدة، وهي الشَّيخ^(١).
والشيخ فوق الكهل^(٢). يُقال: شاخ الرجل يَشِيخُ شَيْوخَةً، فهو شَيْخٌ.
وجمعه: شَيْخٌ، وَأَشْيَاخٌ، وَمَشِيخَةٌ، وشِيخَاتٌ^(٣).
والشَّيْخُ: من استَبَانَتْ فيه السُّنُّ وظهر عليه الشيبُ، أو هو من إحدَى
وخمسين إلى آخرِ عمرِه^(٤).
ويُقال للعَجُوزِ: شَيْخَةٌ. والعرب تقول لزوجِ المرأة - وإن كان شاباً:
هو شَيْخُهَا.
ويُقال: قد شَيَّخَ الشَّيْخُ تَشِيخاً إذا كبر^(٥).

والشيخوخة مصدر شاخ يشيخ، والمشيخة اسم جمع للشيخ وجمعها
مشايخ^(٦).

والزني لغةً:

يُقال: زَنَى الزَّانِي يَزْنِي زِنًا، مقصوِّرٌ، وزِنَاءٌ ممدود^(٧). والجمع
زُنَاةٌ^(٨).

-
- (١) معجم مقاييس اللغة (٢٣٤/٣) مادة شيخ.
 - (٢) المصباح المنير (٤٤٩/٢).
 - (٣) تهذيب اللغة (٤٦٥/٧).
 - (٤) تاج العروس (٢٨٥/٤).
 - (٥) تهذيب اللغة (٤٦٦/٧).
 - (٦) المصباح المنير (٤٤٩/٢).
 - (٧) تهذيب اللغة (٢٥٩/١٣)، ولسان العرب (٣٥٩/١٤) مادة زني.
 - (٨) المصباح المنير (٣٥٠/١).

قال المناوي: الزنى لغة الرمي على الشيء^(١).

والزنى اصطلاحاً:

قال الراغب: (الزناؤ: وطء المرأة من غير عقد شرعي)^(٢).

وقال الجرجاني: (الوطء في قُبُلِ خَالٍ عن ملكٍ وشبهة)^(٣).

معنى الصفة وأقوال العلماء فيها:

يبغض الله عزّ وجلّ في هذا الحديث ثلاثة أصناف وكل منهم اتصف بصفة محرمة، يفترض فيه أن يكون بعيداً عنها كل البعد، والصفة التي ستعرض لها في هذا المطلب (الشيخ الزاني).

فالمراد أن الله عزّ وجلّ يبغض هذا الشخص الذي كبر سنه واعتلى الشيب رأسه أن يتجه نحو الزنى وملاحقة النساء، في سن يفترض فيه أن يلجأ فيه إلى الله ويقبل عليه لا أن يتجه إلى ما حرم الله.

فإذا كان الزنى محرماً في الشريعة على الناس عامة، فما بال هذا الشيخ الهرم أو المحصن إذ يتجه نحو الحرام بفعله هذا، لأن طبيعة السن تفترض فيها الإعراض عن هذه الأمور وقلة الاهتمام بها.

قال المباركفوري: (يحتمل أن يراد بالشيخ الشيبة ضد الشباب أو يراد به المحصن ضد البكر كما في الآية المنسوخة) (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم)^(٤).

من الآثار المترتبة على هذه الصفة في الدنيا والآخرة:

١ - بغض الله عزّ وجلّ لهذا الصنف من الرجال.

(١) تاج العروس (١٩/٤٩٧).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٨٤.

(٣) التعريفات ص ١٣٠.

(٤) تحفة الأحوذى (٧/٢٩٣).

- ٢ - كراهية ومقت الناس لتصرف الشيخ الزاني في هذا السن.
- ٣ - التأثير السيء على الأبناء والأحفاد في الاتجاه إلى ما يناهض الطبيعة البشرية في هذا العمر.
- ٤ - تشبه الشيخ بالشاب - على الرغم من بعد المسافة العمرية - في جريه وراء نزواته وشهواته، والحرص على تلبية غرائزه.

طرق الوقاية من هذه الصفة للمؤمن:

ومنها:

- ١ - معرفة الأمور التي حرمها الله عزّ وجلّ والابتعاد عنه.
- ٢ - العلم بعقوبة الزنا للمحصن وغير المحصن.
- ٣ - تطبيق حكم الله عزّ وجلّ في العقوبات، ليرتدع ذوو النفوس الضعيفة عن الأمور المحرمة.
- ٤ - التقرب إلى الله عزّ وجلّ وارتداد المساجد للصلوات فيها.
- ٥ - اشغال النفس بالأعمال الصالحة الخيرة.



المطلب الثاني: الفقير المختال

الفقير لغةً:

الفَقْر والفُقْر: ضد الغنى^(١). قال الليث: الفَقْر: الحاجة، وفعله الافتقار، والنعت فقير. وقد أفقره الله^(٢).

قال الأصمعي: الفقير الذي له ما يأكل^(٣).

قال ابن سيده: وقدره أن يكون له ما يكفي عياله^(٤)، أو الفقير من يجد القوت^(٥).

وقال ابن السكيت: الفقير الذي له بلغة من العيش^(٦).

قال ابن فارس: الفاء والقاف والراء أصل صحيح يدل على انفراج في شيء، من عضو أو غير ذلك - من ذلك: الفقار للظهر، الواحدة فقارة، سميت للحزوز والفصول التي بينها.

والفقير: المكسور فقار الظهر. وقال أهل اللغة: منه اشتق اسم الفقير، وكأنه مكسور فقار الظهر، من ذلته ومسكته^(٧).

وقال في المصباح: الفقير فعيل بمعنى فاعل يُقال فقير يفقر إذا قلّ ماله^(٨).

(١) لسان العرب (٦٠/٥)، وتاج العروس (٣٥٤/٤) مادة فقر.

(٢) تهذيب اللغة (١١٣/٩).

(٣) المرجع السابق.

(٤) لسان العرب (٦٠/٥)، وتاج العروس (٣٥٤/٧).

(٥) تاج العروس (٣٥٤/٧).

(٦) تهذيب اللغة (١١٤/٩)، ومعجم مقاييس اللغة (٤٤٤/٤)، ولسان العرب (٦٠/٥)،

وتاج العروس (٣٥٤/٧).

(٧) معجم مقاييس اللغة (٤١٣/٤).

(٨) المصباح المنير (٦٥٥/٢).

ورَجُلٌ فَقِيرٌ مِنَ الْمَالِ، وَقَدْ فَقَرَ فَهُوَ فَقِيرٌ، مِنْ قَوْمِ فَقَرَاءٍ، وَهِيَ
فَقِيرَةٌ، مِنْ نِسْوَةِ فَقَائِرٍ^(١).

الفقر اصطلاحاً:

قال الجرجاني: (الفقر عبارة عن فقد ما يحتاج إليه، أما فقد مالا
حاجة إليه فلا يسمى فقراً)^(٢).

قال الكفوي: (الفقير من له أدنى شيء)^(٣).

قال الراغب: (الفقر يستعمل على أربعة أوجه:

الأول: وجود الحاجة الضرورية، وذلك عام للإنسان ما دام في دار
الدنيا بل عام للموجودات كلها، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُ النَّاسُ أَنْتُمْ
الْفُقَرَاءَ إِلَى اللَّهِ﴾^(٤).

والثاني: عُدْمُ المقتنيات، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ
الَّذِينَ أَحْصَرُوا﴾^(٥).

الثالث: فقر النفس، وهو الشره.

الرابع: الفقر إلى الله المشار إليه بقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ
مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٦)^(٧).

والمختال سبق تعريفها في الفصل الثاني في (الذين لا يحبهم الله).

(١) لسان العرب (٦٠/٥)، وتاج العروس (٣٥٥/٧).

(٢) التعريفات ص ١٩١.

(٣) الكلبيات ص ٦٩٦.

(٤) سورة فاطر، بعض آية: ١٥.

(٥) سورة البقرة، بعض آية: ٢٧٣.

(٦) سورة القصص، بعض آية: ٢٤.

(٧) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٤١، ٦٤٢.

معنى الصفة وأقوال العلماء فيها:

والصفة التي يبغضها الله عزّ وجلّ في هذا المبحث هي الفقير المختال: والمراد بها الفقير المتكبر^(١). فإذا كان الكبر عادة يكون على شيء يمتاز به الإنسان فيفتخر به أمام الناس ويتكبر عليهم - كالجاه والحسب والغنى وغيره. كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ (٦) **أَنْ رَّاهُ أَشْتَقَى** (٧) **﴿٧﴾** وهو داء يصيب النفس نتيجة لتفوقها أو امتيازها عن غيرها بأمر معين. فعلى أي شيء يتكبر هذا الإنسان وهو فقير محتاج. فالفقر كاف لانكسار الإنسان وذلك لأنه في حاجة إلى عون الآخرين ومساعدتهم، لا أن يتكبر ويبطر على الرغم من فقره.

من الآثار المترتبة على هذه الصفة في الدنيا والآخرة:

- ١ - بغض الله عزّ وجلّ للفقير لاختياله وكبره.
- ٢ - محاولة الفقير التشبه بمن هو أعلى منه وهو الغني في كبرائه.
- ٣ - كراهية الناس ومن حوله للفقير بسبب كبره واختياله.
- ٤ - صرف المتكبر عن الجنة، فعن علقمة بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان»^(٣).

طرق الوقاية من هذه الصفة للمؤمن:

منها:

- ١ - معرفة أن الكبرياء والعظمة لله عزّ وجلّ وحده، فعن أبي هريرة قال

(١) تحفة الأحوذى (٧/٢٩٣).

(٢) سورة العلق، الآيات: ٦ - ٧.

(٣) رواه الترمذي في السنن: كتاب البرّ والصلة - باب ما جاء في الكبر (٥/٣٦٠) ح (١٩٩٨) بإسناد صحيح، وأبو داود في السنن: كتاب اللباس - باب ما جاء في الكبر (٢/٤١٣).

هناد: قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجلّ الكبرياء رداي، والعظمة
إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»^(١).

٢ - تذكر عاقبة الكبر في الدنيا والآخرة.

٣ - استشعار الابتلاء بالفقر، والاتجاه إلى الله عز وجلّ لتفريج الكربة.



(١) رواه أبو داود في السنن: كتاب اللباس - باب ما جاء في الكبر (٤١٣/٢) قال الشيخ
الألباني: حديث صحيح.

المطلب الثالث: الغني الظلوم

الغني لغةً:

فمن أسماء الله تعالى الحسنى الغني. قال ابن الأثير: (هو الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء، وكل أحد يحتاج إليه، وهذا هو الغني المطلق، لا يشارك الله تعالى فيه غيره.

ومن أسمائه المغني وهو الذي يغني من يشاء من عباده^(١).

قال ابن فارس: (الغين والنون والحرف المعتل أصلان صحيحان، أحدهما يدل على الكفاية والآخر صوت.

فالأول الغني في المال: يقال غني يغني غنى. والغناء بفتح الغين مع المد: الكفاية.

يقال: لا يغني فلان غناء فلان، أي لا يكفي كفايته. وغنى عن كذا فهو غان^(٢).

قال الليث: الغني في المال مقصور، واستغنى الرجل. أصاب غني: والغنية: اسم من الاستغناء عن الشيء.

ورجل غان عن كذا، أي مستغن عنه، وقد غنى عنه، ورجل غني: ذو وفر^(٣).

واستغنى الله: سأل أن يغنيه، عن الهجري قال: وفي الدعاء اللهم إني استغنيك عن كل حازم واستغنيك عن كل ظالم^(٤).

(١) النهاية (٣/٣٥٠).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤/٣٩٧) مادة غني.

(٣) تهذيب اللغة (٨/٢٠١، ٢٠٢).

(٤) لسان العرب (١٥/١٣٧).

وقال أبو عبيدة: (أغنى الله الرجل حتى غني غني، أي صار له مال وأفناه الله حتى قني قني وهو أن يصير له قنية من المال. قال الله عز وجل: ﴿وَأَنْتُمْ هُمْ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ (٤٨) (١) (٢).
والجمع أغنياء (٣).

والغنى اصطلاحاً:

قال التهانوي: (الغنى بالكسر والنون والقصر مقابل الفقر. قال بعض الحكماء: هو سكون القلب بموعد الله تعالى، وقال أهل الله الغنى الرضا بالموجود والصبر على المفقود.

وقيل: (قوت القلب مع القلة وسر الحال وقطع الآمال وترك القيل والقال) (٤).

وقال العسكري: (الغنى يكون في المال وغيره من القوة والمعونة وكل ما ينافي الحاجة) (٥).

أما الظلوم فقد سبق تعريف الظلم في الفصل الثاني في (الذين لا يحبهم الله).

معنى الصفة وأقوال العلماء فيها:

الصفة التي يبغضها الله عز وجل في هذا المبحث ظلم الغني لغيره. وذلك بمحاولته الاستيلاء على مال غيره على أنه في غنى عن ذلك، أو بعدم استيفاء الدين على الرغم من مقدرته عن ذلك، فهو في غنى عن

(١) سورة النجم، الآية: ٤٨.

(٢) تهذيب اللغة (٢٠٣/٨)، ولسان العرب (١٣٧/١٥).

(٣) المصباح المنير (٦٢٤/٢).

(٤) كشف الاصطلاحات الفنون (١١٠١/٣).

(٥) الفروق اللغوية ص ١٤٤.

هذه الأفعال فلماذا يتجه إلى ظلم الآخرين وهو غني .

قال المباركفوري: (الغني الظلوم أي كثير الظلم في المطل وغيره)^(١) .

ويوضح هذا المعنى حديث المصطفى ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مطل الغني ظلم، فإذا اتبع أحدكم على ملي فليتبع»^(٢) .

قال المنذري^(٣): مطل: أي تأخير الحق وتسويق دفعه للدائن^(٤) .

من الآثار المترتبة على هذه الصفة في الدنيا والآخرة:

- ١ - بغض الله عزّ وجلّ لصاحب هذه الصفة.
- ٢ - بعد الناس في التعامل معه لأنه رغم غناه إلا أنه يظلم الآخرين.
- ٣ - الجشع والطمع سبيل هذا الغني لظلم الآخرين.
- ٤ - عدم مباركة الله عزّ وجلّ لهذا الغني في أمواله لظلمه للناس.

طرق الوقاية من هذه الصفة للمؤمن:

منها:

- ١ - الإحساس بنعمة الله عزّ وجلّ عليه بالغنى، فيكون ذلك سبباً لشكره سبحانه لا جحود النعمة بظلم الآخرين.
- ٢ - القناعة بما أنعم الله عزّ وجلّ عليه من خير.

(١) تحفة الأحوذى (٢٩٣/٧).

(٢) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الحوالة - باب الحوالة (٥٨٥/٤) ح (٢٢٨٧).

(٣) عبدالعظيم بن عبدالقوي بن عبدالله بن سلامة المنذري، الشافعي، (زكي الدين، أبو محمد) محدث، حافظ، فقيه، ولد سنة ٥٨١هـ، من مؤلفاته: «معجم الشيوخ»، «الترغيب والترهيب»، ت ٦٥٦هـ. معجم المؤلفين (١٧١/٢).

(٤) الترغيب والترهيب (٦٠٩/٢).

٣ - توفية الغني للديون المستحقة عليه في موعدها وعدم التسوية في أدائها.

٤ - البعد عن الظلم بتذكر عقوبة الظالم في الآخرة.



المبحث السادس: البيع الحلاف

فقد روى النسائي في سننه بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربعة يبغضهم الله عز وجل البيع الحلاف والفقير المختال والشيخ الزاني والإمام الجائر»^(١).

وهو ما يفسر قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾^(٢).
الصفة التي سوف سنتناولها في هذا المبحث (البيع الحلاف).

البيع لغة:

الباء والياء والعين أصل واحد، وهو بيع الشيء، وربما سمي الشري بيعاً^(٣).
البيع ضد الشراء، والبيع: الشراء أيضاً^(٤)، وهو من الأضداد^(٥).

(١) رواه النسائي في السنن: كتاب الزكاة - باب الفقير المختال (٨٦٩/٥) قال الألباني: حديث صحيح، ورواه أحمد في المسند (١٥١/٥، ١٧٦) باختلاف يسير في اللفظ.

(٢) سورة القلم، الآية: ١٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة (٣٢٧/١) مادة بيع.

(٤) لسان العرب (٢٣/٨).

(٥) تهذيب اللغة (٢٣٧/٣)، ولسان العرب (٢٣/٨)، والمصباح المنير (٩٦/١) ومختار الصحاح ص ٢٩.

وبعت الشيء: شريته، أبيعه بيعاً ومبيعاً، وهو شاذ وقياسه مباعاً^(١).
والابتياح: الاشتراء^(٢).

قال صاحب المصباح: (إذا أطلق البائع فالمتبادر إلى الذهن باذل السلعة، ويطلق البيع على المبيع فيقال بيع جيد ويجمع على بيوع)^(٣).
وقال الجرجاني: (البيع في اللغة مطلق المبادلة)^(٤).
وقيل: (مقابلة شيء بشيء، أو دفع عوض وأخذ ما عوض عنه)^(٥).

والبيع اصطلاحاً:

مبادلة المال المتقوم بالمال المتقوم تملكاً وتملكاً^(٦).

الحلف لغةً:

الحاء واللام والفاء أصل واحد، وهو الملازمة. يقال: حالف فلان فلاناً، إذا لازمه. ومن الباب الحلف، يقال حلف يحلف حليفاً، وذلك أن الإنسان يلزمه الثبات عليها^(٧).

قال الليث: الحلف والحلف لغتان وهو القسم وحلف أي أقسم والواحدة حلفة. ورجل حلاف وحلافة كثير الحلف^(٨).

والمصدر الحلف والمحلوف أيضاً^(٩). ويقال في التعدي أحلفته أحلافاً

(١) لسان العرب (٢٣/٨).

(٢) لسان العرب (٢٣/٨)، ومختار الصحاح ص ٢٩.

(٣) المصباح المنير (٢٩/١).

(٤) التعريفات ص ٥٧.

(٥) الموسوعة الفقهية (٥/٩).

(٦) التعريفات ص ٥٧.

(٧) معجم مقاييس اللغة (٩٧/٢) مادة حلف.

(٨) تهذيب اللغة (٦٦/٥)، ولسان العرب (٥٣/٩).

(٩) معجم مقاييس اللغة (٩٨/٢).

وحلفته تحليفاً واستحلفته^(١). والحلف: اليمين وأصلها العقد بالعزم والنية^(٢).

والحلف لاصطلاحاً:

(توكيد حكم بذكر معظم على وجه مخصوص)^(٣).

معنى الصفة وأقوال العلماء فيها:

والصفة التي بغضها الله عزّ وجلّ في هذا المبحث هي (البيع الحلاف)، والمراد بها البائع الذي يكثّر من الخلف حتى يروج لسلعته، ولعلّ بغض الله عزّ وجلّ لصاحب هذه الصفة لأن كثرة الحلف تبين استهانة هذا البائع باسم الله الجليل العظيم، كما أن كثرة الحلف تجر صاحبها إلى الكذب فيحتاج إلى توكيد كلامه فيحلف بالله العظيم.

من الآثار المترتبة على هذه الصفة في الدنيا والآخرة:

- ١ - بغض الله عزّ وجلّ لصاحب هذه الصفة.
- ٢ - عدم ثقة المشتري بالبائع لكثرة حلفه.
- ٣ - محق الله عزّ وجلّ لبركة البيع بسبب كثرة الحلف، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلف منفقَةٌ للسلعة، ممحقةٌ للبركة»^(٤).
- ٤ - اتّجاه صاحب هذه الصفة إلى الكذب لترويج سلعته.

(١) المصباح المنير (١/٢٠١).

(٢) النهاية (١/٤٠٨)، ولسان العرب (٩/٥٣).

(٣) الموسوعة الفقهية (١٨/٧٨).

(٤) رواه البخاري في الصحيح: كتاب البيوع - باب ﴿يَمَحُؤُاَ اللّٰهُ اَلرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفّٰرٍ اَنِيْمٍ﴾ (٤/٣٩٩) ح (٢٠٨٧).

طرق الوقاية من هذه الصفة للمؤمن:

منها:

- ١ - اجتناب الحلف أثناء البيع لأنه طريق لمحق البركة في المال.
- ٢ - اليقين بأن الرازق هو الله عزّ وجلّ.



المبحث السابع: الإمام الجائر

فقد روى الترمذي في جامعه الصحيح والإمام أحمد في مسنده بسنديهما إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً، إمام عادل. وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر»^(١).
قال الترمذي هذا حديث حسن غريب.

الإمام لغة:

والإمام: كل من أئتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين^(٢).

والنبي ﷺ إمام أمته، وعليهم جميعاً الائتمام بسنته التي مضى عليها^(٣).

(١) رواه الترمذي في السنن: كتاب الأحكام - باب ما جاء في الإمام العادل (٦٠٨/٣) ح(١٣٢٩)؛ والإمام أحمد في المسند (٢٢/٣) بنحوه. بإسناد حسن غريب.

(٢) انظر تهذيب اللغة (٦٣٨/١٥)، ولسان العرب (٢٤/١٢)، وتاج العروس (٣٣/١٦) مادة أم.

(٣) تهذيب اللغة (٦٣٨/١٥)، ولسان العرب (٢٤/١٢).

والخليفة: إمام رعيته، والقرآن: إمام المسلمين، وإمام الغلام في المكتب، ما يتعلمه كل يوم^(١).

قال ابن سيده: (والإمام ما أئتم به من رئيس وغيره)^(٢).

وقال الجوهري: الإمام الذي يقتدى به^(٣).

والإمام اصطلاحاً:

الإمام هو الذي له الرياسة العامة في الدين والدنيا جميعاً^(٤).

وعرفه أبو البقاء: كل من أئتم به قوم فهو إمام لهم^(٥).

قال الراغب: والإمام: المؤتم به، إنساناً كان يقتدى بقوله أو فعله، أو كتاباً، أو غير ذلك محققاً كان أو مبطلاً^(٦).

والجائر لغة:

قال ابن فارس: الجيم والواو والراء أصل واحد، وهو الميل عن الطريق^(٧).

والجور: نقيض العدل: جَارَ عَلَيْهِ يَجُورُ جَوْرًا فِي الْحَكْمِ: أَي ظَلَمَ^(٨). وقوم جوراً وجارة أي ظلمة^(٩).

والجور: ضد القصد، أو الميل عنه، أو تركه في السير، وكل من مال فقد جار.

(١) تهذيب اللغة (٦٣٨/١٥).

(٢) لسان العرب (٢٤/١٢).

(٣) انظر لسان العرب (٢٥/١٢)، وتاج العروس (٢٣/١٦).

(٤) التعريفات ص ٤٥.

(٥) الكلبيات ص ١٧٦.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٧.

(٧) معجم مقاييس اللغة (٤٩٣/١) مادة جور.

(٨) لسان العرب (١٥٣/٤)، وتاج العروس (٢١٧/٦).

(٩) لسان العرب (١٥٣/٤).

والفعل جار يجور^(١). وجار عن الطريق: مال^(٢).

والجائر اصطلاحاً:

قال الكفوي: (الجَوْرُ هو خلاف الاستقامة في الحكم)^(٣).

معنى الصفة وأقوال العلماء فيها:

وفي هذا الحديث يبغض الله عزّ وجلّ صفة اكتسبها الإنسان من جراء منصبه الذي تقلده ويعمل به، وهي الجور والظلم، والمراد أن الله عزّ وجلّ يبغض الحاكم الظالم الذي تولى مهام الحكم لشعبه فظلمهم وجار عليهم، وسار بهم خلاف ما يجب عليه، فحاد عن الطريق المستقيم وألحق بهم الضرر والشور.

العلة في بغض الله للإمام الجائر:

فالظلم صفة يبغضها الله عزّ وجلّ، وقد حرمها على نفسه، فقال عزّ وجلّ في الحديث القدسي الذي يرويه أبو ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ - فيما يرويه عن الله - تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا...»^(٤) وهو ضمن حديث طويل. وكما الحق تبارك وتعالى لا يحب الظالمين فقد قال عزّ شأنه: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٥).

ولعل بغض الله عزّ وجلّ للإمام الجائر ذلك نتيجة تسلطه على شعبه وظلمه لهم، في قضاء أو حكم يجب فيه أن يتجه إلى العدل والمساواة بين

(١) لسان العرب (٤/١٥٣)، وتاج العروس (٦/٢١٧).

(٢) المصباح المنير (١/١٥٧).

(٣) الكليات ص ٣٥٤.

(٤) رواه مسلم في الصحيح: كتاب البِرِّ والصلة - باب تحريم الظلم (١٦/١٣٢).

(٥) سورة النساء، بعض آية: ٤٠.

جميع أفراد الرعية، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ألا كلكم راع ومسؤول عن رعيته...»^(١).

من الآثار المترتبة على هذه الصفة في الدنيا والآخرة:

- ١ - بغض الله عز وجل للإمام الجائر.
- ٢ - الكره والمقت مشاعر تختلج نفوس الرعية اتجاه هذا الإمام لظلمه إياهم.
- ٣ - دعاء المظلومين عليه بالشر، لظلمه، ولعل دعوة من مظلوم تصيبه فليحقه الأذى، فالمظلوم من أصحاب الدعوة المجابة. عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ بعث معاذ إلى اليمن فقال: «أتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب»^(٢).
- ٤ - أخذ الله عز وجل حق المظلوم من الظالم يوم القيامة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له ظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه تحمل عليه»^(٣).

طرق الوقاية من هذه الصفة للمؤمن:

منها:

- ١ - التأسى بالمصطفى ﷺ في حكمه وإمامته للأمة الإسلامية.

(١) رواه البخاري في الصحيح: كتاب الأحكام - باب قوله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (١٣/١٣٨) ح (٧١٣٨).

(٢) رواه البخاري في الصحيح: كتاب المظالم - باب الانتقاء والحذر من دعوة المظلوم (١٢٥/٥) ح (٢٤٤٨).

(٣) رواه البخاري في الصحيح: كتاب المظالم - باب المؤمن كانت له مظلمة عند الرجل فعلها له يبين مظلمته (١٢٦/٥) ح (٢٤٤٩).

- ٢ - تجنب بطانة السوء عن مجلسه .
- ٣ - الأخذ برأي أهل الشورى فيما يعرضه للشعب من ملمات ومحن .
- ٤ - التدقيق الشديد وعن ثقة في حسن اختيار البطانة التي تحيط بمجلس الحاكم .
- ٥ - تخصيص وقت معين ولا ينقطع لتفقد أحوال الرعية .



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي أعطى وتفضل، الحمد لله الذي أنعم وأكرم، الحمد لله على جميع ما وهب من إيمان وعمل، وفكر وعقل، وسلامة وصحة، وهداية وفهم، الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة، حمداً كثيراً مباركاً طيباً كما ينبغي لجلال وجه وعظيم سلطانه.

وأصلي وأسلم على إمام المسلمين، ورحمة للعالمين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد توصلت في ختام البحث إلى النتائج التالية:

أن الحب عاطفة غريزية في النفس البشرية كان لها نصيب في كتاب الله عزّ وجلّ.

أن الحب هو اجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه، والمحبة انفعال نفساني ينشأ عن الشعور بحسن شيء من صفات ذاتية، أو إحسان، أو اعتقاد أنه يحب المستحسن ويجر إليه الخير.

وأن كلمة حب وردت في القرآن الكريم على أربعة أوجه وهي الإيثار والمودة والقلّة والنفع. والألفاظ المترادفة لكلمة حب، هي تسعة ألفاظ: الود، والمقة، والمغزة، والصدّاقة، والموالة، والخلة، والصفاء، والإخاء، والخذن.

والحب صفة لله عزّ وجلّ، وهي من الصفات الخيرية التي وردت في الكتاب والسنة، وأثبتها أهل السنة بتأويل من بعض المفسرين لكن دون عطف. بخلاف الجهمية والمعتزلة فقد أنكروا محبة الله، وقالوا أن الله لا يحب ولا يحب.

وإن الله يحب عباده المؤمنين، وكذلك المؤمنين يحبون ربهم، قال تعالى: ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(١).

وللحب مراتب مختلفة، أولها: العلاقة ثم الإرادة ثم الصباية ثم الغرام ثم الوداد ثم الشغف ثم التتيم ثم التعبد وآخرها الخلّة.

وأهم مظاهر حب الله عزّ وجلّ هو اتباع الرسول ﷺ، والذين يحبهم الله عزّ وجلّ ثمانية، سبعة منهم وردوا في ختام الآية وهم المتقون والمحسنون والصابرون والتوابون والمتطهرون والمتوكلون والمقسطون. ما خلا المقاتلين في سبيل الله أتت في صدر الآية.

والذين لا يحبهم الله عزّ وجلّ هم تسعة، ثمانية منهم وردوا في ختام الآية وهم المفسدون والظالمون والكافرون والمعتدون والخائنون والمسرفون والمتكبرون والمختال الفخور والفرحون ما عدا الجهر بالسوء أتت في صدر الآية.

والحب البشري منه فطري ومكتسب مثل حب الإيمان، وحب النفس والأهل والولد وحب المال وحب العاجلة، المحمود منه: مثل حب الله، وحب الأنصار للمهاجرين، وإيثار الآخرين للمال والطعام مع قلته. والمذموم منه: حب الأنداد، وحب الثناء والمدح، وحب إشاعة الفاحشة وحب الدنيا وحب الشهوات. والمنفي عنه: محبة المنافقين وأهل الكتاب (الموالاة)، وتقنين دعوة اليهود والنصارى في محبة الله لهم ومحبتهم لله.

والبغض هو نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه، وهو ضد الحب. والألفاظ المترادفة للبغض هي أربعة ألفاظ: المقت والشنآن والكراهة والقلبي.

(١) سورة المائدة، بعض آية: ٥٤.

ومن أسباب التباغض بين البشر اختلاف الدين، والتفرق والاختلاف،
والدعوة إلى عصبية النسب والجاهلية والرجس.

وبغض المؤمنين لغيرهم سواء من أهل الكتاب أو المشركين لا يعني
ظلمهم. وبيّنت السنّة الشريفة في ثمانية أحاديث للمصطفى ﷺ الذين
يبغضهم الله عزّ وجلّ وهم أحد عشر شخصاً: اللدد في الخصومة، والإلحاد
في الحرم، والمبتغي سنّة الجاهلية في الإسلام وطالب دم امرئ بغير حق،
والفاحش البذيء والمتشدد في الكلام والشيخ الزاني والفقير المختال والغني
الظلوم والبياع الحلاف والإمام الجائر.



الاقتراحات والتوصيات

من خلال بحثي وتنقيبي لإعداد الرسالة، رأيت أن المكتبة العربية والإسلامية، تفتقر إلى بعض الموضوعات من مثل: كيفية استثمار العواطف والانفعالات في الإنسان من الناحية التربوية، وأن القرآن الكريم تضمن كثيراً من انفعالات الإنسان، وأن الحب والبغض له دور كبير في تغيير حياة الإنسان إلى الأفضل أو الأسوأ.

فبناء عليه أوصي من بعدي ولمن له اهتمام بهذه الجوانب التربوية، البحث في هذه العناوين التالية:

- استثمار عواطف وانفعالات الإنسان من الناحية التربوية.
- انفعالات الإنسان بين الواقع والقرآن.
- الحب والبغض طريق التغيير للحياة.

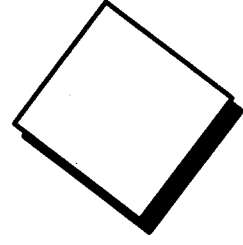
وعليه اقترح إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالتعاون مع الأمانة العامة للأوقاف بإنشاء «مجمع العلوم الشرعية» وهو مجمع علمي تخصصي شرعي يحتوي على كتب التراث الإسلامي والكتب الإسلامية المعاصرة، وكل الكتب التربوية والعلمية والاقتصادية والقانونية والاجتماعية التي لها علاقة بالشريعة الإسلامية، والمخطوطات والبحوث والمجلات، وكل إصدار جديد بجميع بقع العالم يخدم الدين الإسلامي، أو يخدم فيه.

وذلك لخدمة الباحث في العلوم الشرعية وغيره من العلوم وحتى يغنيه

عن البحث والتجوال بين البلدان للحصول على إصدار يخدم البحث
والرسالة.

(تمّ بعون وتوفيق من الله)





قائمة الفهارس

- أولاً: فهرس الآيات.
- ثانياً: فهرس الأحاديث.
- ثالثاً: فهرس التراجم.
- رابعاً: فهرس الأبيات الشعرية.
- خامساً: فهرس المصادر والمراجع.
- سادساً: فهرس الموضوعات التفصيلي.



أولاً: فهرس الآيات

رقم الآية	اسم السورة	رقم الصفحة
﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَهُمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ﴾	الزخرف	١٠١
﴿أَبْنِ وَأَسْتَكْبِرْ﴾	البقرة	٢٣٢
﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُفِقَهُمْ أَزْوَاجًا﴾	التوبة	٣٢٢
﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾	الأعراف	٢١٢-٢٠٦
﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾	آل عمران	١٢٢
﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنِائِهِ﴾	الحديد	١٩٧
﴿أَوَيْتَ مِنَ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هُونَهُ﴾	الفرقان	٣٢١
﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُوتُونَ ﴿١١﴾﴾	الواقعة	٦٣ - ٦٤
﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾	البقرة	١٣٢
﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	التوبة	٩٦-٩٣
﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾	النساء	٣٠٧
﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ﴾	العنكبوت	٨٧
﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾	البقرة	١٩٤
﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ يَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾	البقرة	٢٨٥
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾	النساء	١٠٧
﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَنَا﴾	الكهف	٣٤٩
﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾	الأحزاب	٢٦٣
﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ الْجَنَّةَ مِنَ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾	الكهف	١١٥

رقم الآية	اسم السورة رقم الصفحة	الآية
٢٢	السجدة ١٨٣	﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾
٤٤	ص ١١٨	﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾
٥	إبراهيم ١٢٤	﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾
٤٠	النساء ١٩٥	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا ذَرَّةً﴾
٤٨	النساء ٢٠٤	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾
٩٠	النحل ١٠٤	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾
٤	الصف ١٦٢-٥٢	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾
٣٨	الحج ٢١٥	﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
٧	العلق ٢٤٨	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾
١٢٠	آل عمران ٢٥١	﴿إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً سَوْهُمْ﴾
٢٠١	الأعراف ١٠٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾
١٥٩	الأنعام ٣٩٥	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا دِيَارَهُمْ وَكَاتَبُوا﴾
٣٦	الأنفال ٢٠٥	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾
٣٢	محمد ٢٠٥	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾
١٠	الفتح ٣٦٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾
٥	المجادلة ٢٠٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
١٩	النور ٢٣٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾
٦٠	غافر ٢٤٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾
١٣	لقمان ١٨٩-١٨٦	﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾
٥	يوسف ٣٨١	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾
٦	فاطر ٣٨٣	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾
١٠٣	النساء ١٤٢	﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾
٦٥	الفرقان ٧٥	﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾
٤	القصص ١٨٣	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا﴾
٧٦	القصص ٢٥٢-٢٤٦	﴿إِنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ مِنْ قَوْرِ مُؤْتِينَ﴾
٥٤	القمر ١٠١	﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾

الآية	رقم الآية	اسم السورة	رقم الصفحة
﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ﴾	٩	الإسراء	٥
﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾	٢٧	الإنسان	٢٩١
﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا﴾	٥٥	الأعراف	٣٢٥
﴿إِنْ يَمَسُّنَّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ﴾	١٤٠	آل عمران	١٨٥ - ١٨٩
﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾	٣٣	المائدة	١٨٤
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾	١٠	الحجرات	٢٨٤
﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا﴾	٢٨	التوبة	٤١٥
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾	٢	الأنفال	١٤٧ - ٢٧٧
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾	٣٣	الأحزاب	٤٠٧
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ﴾	٩١	المائدة	٤٠٥
﴿إِنَّمَا يُوقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١١﴾﴾	١٠	الزمر	١٢٣ - ١٢٧
﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْظَهَرُونَ﴾	٨٢	الأعراف	١٣٧
﴿أَتُؤْمِنُ لِلشَّرِّينِ مِثْلَكَ﴾	٤٧	المؤمنون	٢٤٢
﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾	٣٢	ص	٣٥٠
﴿بِرَأْيِهِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	١	التوبة	٩٦
﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمُ﴾	١٢٥	آل عمران	١٢٣
﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ يَهْدِيهِ﴾	٧٦	آل عمران	٩٣
﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾	٥٨	الزخرف	٤٢٧
﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾	٢٢٠	البقرة	١٩٤
﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٩	الحج	٢٤٣
﴿ثُمَّ قَلَّتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٨٧	الأعراف	٢٩٤
﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَانًا ﴿٨﴾﴾	٨	نوح	٢٥٩
﴿جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾	٧٣	التوبة	٣٣٦
﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	٦٥	النساء	٢٧٥
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	١	الأنعام	٢٠٤
﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾	٢١	الروم	٣٥١
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾	١٠٧	النحل	٣٦ - ٣٣٩

رقم الآية	اسم السورة رقم الصفحة	الآية
٢	البقرة ٩٩	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾
٧٥	غافر ٢٥١	﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ﴾
١٧٣	آل عمران ١٤٧-٢٧٧	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾
٣	إبراهيم ٣٥-٣٣٩	﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾
٢٧٤	البقرة ٢٥٩	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِلِ وَالنَّهَارِ﴾
١٣٤	آل عمران ١٠٢-١٠٧	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾
٢٤	القصص ٤٦٢	﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾
٤	الملتحنة ١٤٧	﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَنَا﴾
١٤	آل عمران ١٤-٢٨٣	﴿رُبِّينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾
١٤٦	الأعراف ٢٤٤	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾
١	الإسراء ٧٣	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾
١٠	الرعد ٢٥٤	﴿سَوَاءٌ يَنْكَرُ مِنْ أَسْرَ الْقَوْلِ﴾
٢٩	الفتح ٣٥٢	﴿سَيَمَاهُمْ فِي رُحُوبِهِمْ مِنْ آثَرِ السُّجُودِ﴾
٤٢	المائدة ١٥٢-١٥٤	﴿سَتَمُوتُوا لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّحْتِ﴾
١٧	آل عمران ١٢٢	﴿الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾
٢٣	الحشر ٢٣٣	﴿الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ الْمُتَكَبِّرِ﴾
١٤٨	آل عمران ١٠٢	﴿فَقَالَتْ لَهُمْ اللَّهُ نَوَابِ الدُّنْيَا﴾
٦٩	الأعراف ٣٠٢	﴿فَأَذْكُرُوا آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
١٠	الجمعة ٢٨٩	﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾
٤	النحل ٤٢٧	﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾
٣٥	الأحقاف ١٢٢	﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ﴾
٥٦ - ٥٧	آل عمران ١٨٧	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذِّبُهُمْ﴾
٩٧	مريم ٤٢٥	﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ بِلسَانِكَ لِئَنبَشِرَ بِهِ﴾
١٠٤	النساء ٣٦٣	﴿فَإِنَّهُمْ بِالْمَوْتِ كَمَا تَأْمُوتُونَ﴾
٧٢	الزمر ٢٣٣	﴿فَيَسِّرْ مَوْتَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾
١٥٩	آل عمران ١٤٥	﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُمْ﴾
١٣	المائدة ١٠٢-١١١	﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾

الآية	رقم الآية	اسم السورة	رقم الصفحة
﴿فَلَمَّا قَسَتْ عَادَةُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ﴾	٣٧	البقرة	١٣٢
﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾	٧٩	القصص	٢٥٢
﴿فَلَمَّا قَسَفْنَا بِهٖ وَبِأَرْضِ الْأَرْضِ﴾	٨١	القصص	٢٥٢
﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ﴾	٨١	التوبة	٢٥١
﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾	٥٤	المائدة	٩١
﴿فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ أَحَبَبْتُ حَبَّ الْخَيْرِ﴾	٣٢	ص	٣٥
﴿فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْأَيْدِي وَالْعُدُورِ﴾	٩	المجادلة	٢٥٧
﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾	١٨	الجن	٢١٤
﴿فَلَا تُفِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَأَا﴾	١٠٥	الكهف	٤٥٢
﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾	١٠٣ - ١٠٥	الصفافات	١١٦
﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾	٨٣	غافر	٢٥٢
﴿فَلَنْ نَجِدَ لِسَانَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾	٤٣	فاطر	٢١٤
﴿فَمَنْ أَنْقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾	٣٥	الأعراف	٩٩
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾	١٤٤	الأنعام	١٩٤
﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾	١٩٤	البقرة	٢٠٨
﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾	٣٩	المائدة	١٣٢
﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا﴾	٢٢	محمد	١٨٢
﴿قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي﴾	٩٠	يونس	١٣٣
﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾	٧٨	القصص	٢٥٢
﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿١٥٥﴾﴾	٨٥	طه	٣٢٤
﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾	١٦ - ١٨	الأعراف	١٩٨
﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾	٣٤	النمل	١٨٣
﴿قَالُوا ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ﴾			
﴿مُشْرِكِينَ﴾	٨٤	غافر	١٩٧
﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾	٣٠	يوسف	٧٦
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾	٤	الممتحنة	٣٨٩
﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾	٣٢	آل عمران ٨٢، ١٩٦، ٢٠٠	

الآية	رقم الآية	اسم السورة رقم الصفحة
﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾	٢٤	التوبة ٢٧٩، ٣٠١
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾	٣١	آل عمران ١٤، ٣٦، ٧٨
﴿قُلْ هُوَ الْفَارِزُ﴾	١٥	الأنعام ٣٩٣
﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ﴾	٣٥	غافر ٢٤٤
﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾	٢٠ - ٢١	القيامة ٢٩١
﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	٣٢	الروم ٢٤٦
﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾	٦٤	المائدة ٢٢٠
﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾	٧	التوبة ٩٣، ٩٧
﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾	٣١	إبراهيم ٧١
﴿لَا تُحْرِكْ يَدَيْهِ لِسَانَكَ﴾	١٦	القيامة ٢٩٣
﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا﴾	١٨٨	آل عمران ٣٢٦
﴿لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾	٢٧	الأنفال ٢٢١
﴿لَا نَقَمَ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُتِيَ سَ عَلَى النَّقْوَى﴾	١٠٨	التوبة ١٣٦
﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾	٢٣	النحل ٢٣١ - ٢٤٠
﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَى مِنَ الْقَوْلِ﴾	١٤٨	النساء ٢٥٣
﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٩٥	النساء ١٦٢
﴿لَا يَتَّخِذُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِيلُواكُمْ فِي الدِّينِ﴾	٨	الممتحنة ١٥٢ - ١٥٦
﴿لِيَكْتِلَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾	٢٣	الحديد ٢٣١
﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾	٢٦	الرعد ٢٥١
﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا﴾	٢٧٣	البقرة ٣٠٦
﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾	٨	الحشر ٣٠٦
﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِنَّا تُحِبُّونَ﴾	٩٢	آل عمران ٣١٦
﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾	٥٥	البقرة ٢٥٤
﴿لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ﴾	٣١	الزخرف ٢٤٢
﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ﴾	١٧٧	البقرة ٣٧ - ٣١١
﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٩٣	المائدة ١٠٢ - ١١٢
﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾	١٨	ق ٤٥٣

الآية	رقم الآية	اسم السورة رقم الصفحة
﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾	٤	الفاتحة ٣٨٨
﴿الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ﴾	٤٦	الكهف ٢٨٨
﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	٣٢	المائدة ١٨٢
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاطِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ﴾	١٨	الإسراء ٢٩١
﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾	١٠٦	النحل ٣٤٣
﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا﴾	٤٤ - ٤٥	الروم ١٩٦
﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ﴾	٣٢	الروم ٢٥٢
﴿مِنَ وِجَاهِهِ جَهَنَّمَ﴾	١٦	إبراهيم ٢٩٥
﴿هَتَأْتُمْ آلَاءَهُمْ وَلَا يُؤْمِنُكُمْ﴾	١٩	آل عمران ٣٦١
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾﴾	٦٠	الرحمن ١٠٤
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤	الفتح ٢٧٧
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾	١٥	الملك ٢٨٩
﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾	٧٧	القصص ١٧٥ ، ١٨١
﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ لِرَاهِمِهِ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾	١٢٥	النساء ٧٠
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾	١٩٤	البقرة ٩٩
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ اللَّهُ﴾	٢٨٢	البقرة ٩٩
﴿وَأَمُّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْسِهِمَا﴾	٢١٩	البقرة ٤٠٦
﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾﴾	١٧	الأعلى ٣٤١
﴿وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرَ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحَ قَرِيبٍ﴾	١٣	الصف ٣٧
﴿وَأُخَى هَدْرٍ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾	٣٤	القصص ٢٨٣
﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾	٢٠٥	البقرة ١٧٥ ، ١٨٢
﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِبَحِيثَةٍ﴾	٨٦	النساء ١١٤
﴿وَلِذَلِكَ قَالِ لِقَمْنُ لِأَنِّي﴾	١٣	لقمان ١٩٣
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾	٢٠٦	البقرة ٢٤٣
﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾	١٤	البقرة ٣٦٤
﴿وَأَذَكَّرَ عَبْدًا أَيُّوبَ﴾	٤١ - ٤٤	ص ١٢٦
﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةَ﴾	٢٠	لقمان ٣٠٢

رقم الآية	اسم السورة	رقم الصفحة
٩٣	البقرة	٣٢٥
٢٨	الكهف	١١٨
١٢٧	النحل	١٢٥ ، ١٢٢
٤٦	الأنفال	١٢٣
٣٦	النساء	٢٣٦ ، ٢٣١
١٠٢	آل عمران	٣٩٧
٧	الحجرات	٢٧١
٩	الرحمن	١٥٣
٥٨	الأنفال	٢١٥
٥٧	آل عمران	١٨٥
٤٠	النازعات	٤٤
١٢٥	التوبة	٤٠٦
١٧	فصلت	٣٦
١٣٢	طه	١٠٠
١٢٦	النحل	١٩١
٢٣	البقرة	٧٣
٩	الحجرات	١٥٥ - ١٥٢
٧١	مريم	١٠٠
١٩٥	البقرة	١٠٦ ، ١٠٢
١٩	الجن	٧٣
٨٢	طه	١٣٥ ، ١٣٢
٨٣	الأنبياء	١١٨
٢٠	الفجر	٢٨٥
٣١	النور	١٣٥ - ١٣٢
٣	الأحزاب	١٤٧
٨٧	الحج	١٦٤
٤٠	الشورى	١٩١ ، ١٨٥

رقم الآية	اسم السورة	رقم الصفحة	الآية
٢٤	السجدة	١٢٤	﴿وَحَمَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾
١٨٠	الأعراف	٤٣٣	﴿وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَانِهِ﴾
٦٧	الفرقان	٢٢٤	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾
١٦٥	البقرة	٥٢، ٤٢، ١٤	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾
٧٤	الأنفال	٣٠٦	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا﴾
٩	الحشر	٣٠٥، ٣٥	﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِثُّونَ مَنْ هَاجَرَ﴾
٧٩	التوبة	١٦٣	﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾
٦٨	الفرقان	٣٢٤	﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾
٥٨	الأحزاب	٢٠٥	﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾
٤	الانشراح	٣٣٢	﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿١﴾﴾
٧٣	الزمر	١٠١	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا رِمَهُمْ﴾
١٥٩	آل عمران	٢٧٤	﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾
٢٣	المائدة	١٤٧	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
١٩٠	البقرة	٢٠٨، ٢٠٦	﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾
٣٠	يوسف	٣٥٥	﴿وَقَالَ يَسُوذُ فِي الْمَدِينَةِ﴾
٦٤	المائدة	١٨٠، ١٧٥	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ﴾
١٨	المائدة	٣٦٥	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾
٨٣	البقرة	١١٤	﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾
١٤٦	آل عمران	١١٧، ١٠٩	﴿وَكَايِنَ بَيْنَ يَدَيْ قَتْلٍ مَعَهُ﴾
٧٩	الكهف	٢٩٥	﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾
٣١	الأعراف	٢١١	﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾
١٢٦	النحل	١٢٣	﴿وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾
٩٦	الأعراف	٩٩	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا﴾
١٠٧	النساء	٢١٥	﴿وَلَا يُجَادِلُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾
١٨	لقمان	٢٣١	﴿وَلَا تُصَغِّرْ حَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾
١٠	القلم	٤٦٩	﴿وَلَا تُطِغْ كُلَّ حَلَابٍ مَهِينٍ ﴿١﴾﴾

الآية	رقم الآية	اسم السورة	رقم الصفحة
﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾	١٣٩	آل عمران	١٢٢
﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾	٧٦	المؤمنون	١١٩
﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ﴾	٣١	فصلت	٣٤٨
﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ﴾	١٠٣	المائدة	٢٠٤
﴿وَلَكِنْ صَدَرْتَ وَعَفَرَ إِنْ ذَلِكَ لَمِنْ عَذَابِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾	٤٣	الشورى	١٢٣
﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْكُوفِ وَالْجُوعِ﴾	١٥٥	البقرة	١٢٣
﴿وَلَتَجْرِبَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ﴾	٩٦	النحل	١٢٣
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا﴾	١٤	النور	٣٣٧
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ﴾	٢	المائدة	٤١٣
﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُوكُم حَتَّى يَرُدُّوكُمْ﴾	٢١٧	البقرة	٢٠٥
﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾	١٨٥	آل عمران	٣٤٥
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	٥٦	الذاريات	٢٨٨
﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَنوَكُّ عَلَى اللَّهِ﴾	١٢	إبراهيم	١٤٧
﴿وَمَا لَهُمْ إِلَّا بَعْدَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يُصُدُّونَ﴾	٣٤	الأَنْفَال	١٠٠
﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾	٣٥	فصلت	١٢٣
﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾	٢٤	الرعد	١٢٤
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾	٥٧	الكهف	١٩٤
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾	١١٤	البقرة	١٩٤
﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾	٧٥	آل عمران	٩٥
﴿وَمِنْ عَائِنَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾	٢١	الروم	٢٨٣
﴿وَمَنْ قِيلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَهُ﴾	٣٣	الإسراء	٢٢٤
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾	١٦٥	البقرة	٣١٩
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	٢٠٤	البقرة	٢٤٤ ، ١٧٧
﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾	٤٥	المائدة	٨٢
﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾	٤٤	المائدة	٢٠٥
﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾	٢	الطلاق	١٠٠
﴿وَمَنْ يُؤَدِّ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظْلَمِ﴾	٢٥	الحج	٤٣٣

رقم الآية	اسم السورة	رقم الصفحة	الآية
٥٢	النور	١٠٠	﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ﴾
٣٠	النساء	١٩٥	﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾
٩٣	النساء	٤٤٧	﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ﴾
١٣٦	النساء	٢٠٤	﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾
١٠٠	النساء	٣٠٦	﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمِثْ فِي الْأَرْضِ﴾
١٤١	الأنعام	٢٢٥، ٢٢٣	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَقْرُورَاتٍ﴾
٢٥	الشورى	١٣٥	﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾
١٤	البروج	٧٥	﴿وَهُوَ الْعَفُورُ الَّذِي﴾
١٥	الأحقاف	١١٥	﴿وَوَضِعْنَا الْإِنْسَانَ بِالْأَيْدِي﴾
١٠٠	يونس	٤٠٦	﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾
٢٢٢	البقرة	١٣٦، ١٢٨	﴿وَسْتَلُونَكَ عَنِ الْمُحْيِيِّ﴾
٨	الإنسان	٣١٤، ٣٦	﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾
١٠٢	آل عمران	٩٨	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾
٤١	الأحزاب	٣٠٢	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ﴾
١٥٣	البقرة	١٢٢	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾
١٣٦	النساء	٢٧٦	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ﴾
٩٠	المائدة	٤٠٥	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾
٢٨	التوبة	٤١٥	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ﴾
٨	التحريم	١٣٥	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ﴾
٨	المائدة	٤١٦	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾
٢٣	التوبة	٣٦	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾
٨٧	المائدة	٢١٠، ٢٠٦	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ﴾
٢	المائدة	٤١٤	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا﴾
٥٤	المائدة	٥٢، ٣٦، ١٠	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾
٧ - ٨	التحريم	١٣٢	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْبُدُوا الْيَوْمَ﴾
٦٧	المائدة	٢٥٩	﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾

الآية	رقم الآية	اسم السورة	رقم الصفحة
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ﴾	٥٧	يونس	٥
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾	١٥	فاطر	٤٦٢
﴿يَبْقَىٰ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾	٣١	الأعراف	٢٢٧ ، ٢٢٣
﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾	١٩	غافر	٢١٦
﴿يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الْمَدَقَاتِ﴾	٢٧٦	البقرة	١٩٨ ، ١٩٦
﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ﴾	٨٥	مريم	١٠١



ثانياً: فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث
٤٢٥	أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم
٤٣٣	أبغض الناس إلى الله ثلاثة
١٦٠	أتشفع في حد من حدود الله
٤٧٦	اتق دعوة المظلوم
٤٤٣	اثنان في الناس هما بهم كفر
٦٨	أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمة
٥٣	أخبروه أن الله يحبه
٨٦	إذا أحب الله العبد أتى عليه
٨٤	إذا أحب الله العبد نادى جبريل
١٦٨	إذا أكتبوكم فارموهم بالنبل
٤٠٤	إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب
٧٣	اذهبوا إلى محمد، عبد غفر الله له
٤٢٩	أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً
٤٦٩	أربعة يبغضهم الله عز وجل
٢٧٤	استروا حتى أتني على ربي
١٦٠	أعطيت سائر ولدك مثل هذا
١٥٠	اعقلها وتوكل
٣٩٤	أعوذ بوجهك

٣٩٥	افتترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة
١٦٨	أقيموا صفوفكم وتراصوا
٣٤٥	ألا إن الدنيا ملعونة
١٦٨	ألا تصفون كما تصف الملائكة
٤٧٦	ألا كلكم راع ومسؤول عن رعيته
٣٢٣	أنا أغنى الشركاء عن الشرك
٤٣٢	أنا زعيم بيت في ربض الجنة
٤٧٣	إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة
٣٠٣	إن أقواماً بالمدينة خلفنا
١٣٤	إن الله جعل بالمغرب باباً عرضه
٣٩٤	إن الله زوى لي الأرض
١٣٨	إن الله طيب يحب الطيب
٨٦	إن الله عز وجل ليحمي عبده المؤمن
٨٧	إن الله عز وجل إذا أحب قوماً
٤٠٣	إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية
٤٤٩	إن الله لا يحب الفحش
٢٣٥	إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم
١٥٣	إن الله لا ينام
٤٥٤	إن الله يبغض البليغ من الرجال
١٣٣	إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر
٣١٣	أن تصدق وأنت صحيح تأمل البقاء
١٠٥	أن تعبد الله كأنك تراه
١٩١	إن رجلاً شتم أبا بكر والنبي جالس
٣٢٨	أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله
٣٣٢	إن كان أحدكم مادحاً لأخيه
١٦٩	إني لفي الصف يوم بدر
٣٢٨	أن مروان قال لبوابه

١٥٨ إن المقسطين عند الله على منابر
٤٥٦ إن من أحبكم إليّ
٢٢٨ إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت
٢٧ إنها حبة أبيك
٧٠ إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل
١٣٢ إني لأستغفر الله وأتوب إليه
٣٠٩ أولاً ترضون أن يرجع الناس بالغنائم
٣٢٤ أي الذنب أعظم عند الله
٧٢ أي الناس أحب إليك
٢١٧ آية المنافق ثلاث
٢٧٧ الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون
٨١ أين المتحابون بجلالي
٢٧ تهادوا تحابوا
٤٥٣ تكلتك أمك يا معاذ
٥٣ ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان
٤٥٧ ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله
١٦٤ جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم
٢٩ حب الأنصار التمر
٢٦٦ حُب إليّ من الدنيا النساء والطيب
٨١ حُقت محبتي للمتحابين فيّ
٤٧١ الحلف منفقة
٣٠٣ رب أشعث مدفوع بالأبواب
١٩٩ الربا وإن كثر
١١٥ رحم الله رجلاً سمحاً
١٦٨ سوا صفوكم فإن تسوية الصفوف
٢٠٧ سيكون قوم يعتدون في الدعاء
٣١٠ ضحك الله الليلة من فعل فعالكما

١٨٦ فمّن زاد أو نقص فقد ظلم
٤٦٤ قال الله عزّ وجلّ الكبرياء
٤٠٢ قلت يا رسول الله ما العصبية؟
٤٣١ كفى بك إثماً
٢٢٨ كلوا واشربوا وتصدقوا
٤٥٢ كلمتان حبيبتان إلى الرحمن
٢٨٩ لأن يغدو أحدكم فيحتطب
٤٠٢ لا تزال طائفة من أمتي
٢٨٩ لا تزول قدم عبد يوم القيامة
٣٠٧ لا هجرة بعد الفتح
٤٦٣ لا يدخل الجنة من كان
٤٦٣ لا يدخل النار من كان
٨٣، ١٤ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه
٣٣٨ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه
٨٢، ٣٢ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه
٥٤ اللهم ارزقني حبك
١٥ اللهم إني أحبك وأحب من يحبك
٥٤ اللهم إني أسألك حبك
١٥٠ لو إنكم كنتم توكلون على الله حق توكله
٢٨٨ لو كان لابن آدم واديان من ذهب
٣٤٥ لو كانت الدنيا
٧١ لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً
٤٤٧ ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد
٤٠٠ ليس منا من دعا إلى العصبية
٤٤٩ ما شيء أثقل في ميزان المؤمن
٤٥٢ ما كان الفحش في شيء إلا شانه
٥٣ متى الساعة يا رسول الله

١٦٢ مثل المجاهد في سبيل الله
٤٦٧ مظل الغني ظلم
١٣١ من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها
١٤ من أحب لله وأبغض لله
٢٤٤ من أحب أن يمثل له الرجال قياماً
٢٨١ من أحق الناس بحسن صحبتي
١٩٩ من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب
٢٤٤ من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه
٢٧٧ من رأى منكم منكراً فليغيره
٥٣، ١٠ من عادى لي ولياً
٤٠٠ من قتل تحت راية عمية يدعو عصبية
٤٧٦ من كانت له ظلمة لأخيه من عرضه
١١ من لا يشكر الناس
٢١٦ المؤمن يطبع على كل
١٢٨ الندم توبة
٢٨ هذا جبل يحبنا ونحبه
٤٠١ هذا كقاتل القوم للعصية
٢٧٣ هذا نبيكم يوحى إليه
١٧٣ وإذا أبغض الله عبداً
٢٧ ومن يجترىء على ذلك إلا أسامة
٤٠٣ يا أبا ذر أنك
٣٠٨ يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم
١٩٥ يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي
١٥٩ يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار
١٤١ يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم
١٥٠ يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً من غير حساب
٣٩٧ يوشك الأمم أن تداعي الأكلة إلى

ثالثاً: فهرس التراجم

الصفحة	المترجم
٦٢	إبراهيم بن عمر البقاعي
١١٠	إبراهيم بن المسري، أبو إسحاق الزجاج
٣٨	إبراهيم بن ناصيف اليازجي
٢٢٠	أحمد بن إسماعيل النحاس
٢٤٨	أحمد بن الحسين «المتنبي»
٤١	أحمد بن عبدالحليم «ابن تيمية»
٣٦٧	أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي
٦٢	أحمد بن علي العسقلاني
٦٠	أحمد بن مصطفى المراغي
٢٥	أحمد بن فارس القزويني
٢٨	إسماعيل بن حماد الجوهري
٧٦	إسماعيل بن عبدالرحمن (السدي الكبير)
٨٠	إسماعيل بن عمر بن كثير
٢٨	أنس بن مالك
٣١	أيوب بن موسى الكفوي «أبو البقاء»
٣٩٧	ثوبان الهاشمي

الصفحة	المترجم
٤٠٠	جبير بن مطعم
٥٥	الجعد بن درهم
١٩٥	جندب بن جنادة «أبو ذر الغفاري»
٧٠	جندب بن عبدالله البجلي
٤٣٧	حبيب بن أبي ثابت
٣٢٠	حسان بن ثابت
٧٨	الحسن بن أبي الحسن الأنصاري
٣٨٨	الحسن بن عبدالله العسكري «أبو هلال»
٩٦	الحسين بن مسعود البغوي
٨٥	حمد بن محمد «أبو سليمان الخطابي»
٣٥٧	زياد بن معاوية الذبياني
٢٧	زيد بن حارثة
٨٦	سعيد بن مالك «أبو سعيد الخدري»
١٠٩	سفيان الثوري
٤٣٧	سليمان بن مهران «الأعمش»
١٠٨	سيد قطب
٣٩٤	شداد بن أوس «أبو يعلى»
٤٣٦	شعبة بن الحجاج
٣٠٢	صدي بن عجلان أبو أمامة الباهلي
١٣٤	صفوان بن عسال
٤٣٧	الضحاك بن مزاحم
٣١٣	عامر بن شرحبيل الشعبي
٧٩	عباد بن منصور الناجي
٣٧٧	عبدالله بن بري
١٥٧	عبدالله بن الزبير
٧٤	عبدالله بن عبيدالله «ابن الدمينه»
٦٠	عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي

٣١	عبدالله بن عمرو بن العاص
٧١	عبدالله بن مسعود
٢٨٠	عبدالله بن هشام بن زهر بن عثمان
٥٤	عبدالله بن يزيد الخطمي
٧٨	عبدالرحمن بن أبي بكر «السيوطي»
٨٢	عبدالرحمن بن سليمان الداراني
٥٣	عبدالرحمن بن صخر «أبو هريرة»
١٦٩	عبدالرحمن بن عوف
٤٦٧	عبدالعظيم المنذري
٢٦٣	عبدالملك بن جريج
٢٦	عبدالملك بن قريب الأصمعي
١٤١	عطاء بن أبي رباح
٢٧	عطاء بن أبي مسلم الخراساني
٣٣٣	علي بن إسماعيل «ابن سيده»
٢٩	علي بن الحسن الهنادي «كراع»
١١٨	علي بن محمد بن علي «الجرجاني»
٧٢	عمرو بن العاص
٥٦	عمرو بن عبيد «أبو عثمان البصري»
٣٠	عمرو بن عثمان «سيويه»
٥٤	عويمر بن مالك «أبي الدرداء»
١٤٨	قتادة بن دعامة
٦٥	قيس بن عبدالله الجعدي
٢١٣	لاحق بن حميد «أبي مجلز»
٢٦	الليث بن المظفر
٢٨	المبارك بن أبي الكرم «ابن الأثير»
٤٣	محمد بن أبي بكر الدمشقي «ابن القيم»
٩٤	محمد بن أحمد بن الأزهر «الأزهري»

١٥٦	محمد الأمين الشنقيطي
٩٥	محمد بن جرير الطبري
٥٩	محمد جمال الدين القاسمي
٢٦	محمد بن زياد الأعرابي
٦٠	محمد رشيد رضا
٧٦	محمد بن السائب الكلبي
٤٠٠	محمد شمس الحق العظيم آبادي
٣٤	محمد بن الطاهر «ابن عاشور»
١٦٧	محمد بن عبدالله الأشيلي أبو بكر العربي
٥٩	محمد بن عبدالله الألوسي
٤٥٢	محمد بن عبدالرحمن المباركفوري
٢٥	محمد بن عبدالملك الفقعسي
٤٤١	محمد بن علي التهانوي
٥٩	محمد بن علي الشوكاني
٦٤	محمد بن عمر بن الحسن الرازي
٦١	محمد بن عمر القرطبي
٦١	محمد بن محمد العمادي «أبو السعود»
٦٢	محمد بن محمد الغزالي «أبو حامد»
٣٧٦	محمد مرتضى الحسيني «أبو الفيض»
٢٩	محمد بن مكرم «ابن منظور»
١٦٥	محمد بن يزيد «المبرد»
٦١	محمد بن يوسف «أبو حيان الأندلسي»
٤٣٨	محمد بن يوسف الكرماني
٦١	محمود بن عمر الزمخشري
٨٦	محمود بن لبيد
٧٢	معاذ بن جبل
١٢٧	معاذة بنت عبدالله العدوية

٤٣٤	معمر بن المثنى التيمي
٣١	المفضل بن محمد الأصفهاني
٣٦٨	نصر بن محمد السمرقندي
١٥٩	النعمان بن بشير
٣٣٢	نفيح بن الحارث بن كلدة «أبو بكرة»
٢٤٨	هدبة بن خشرم
٢٦	يحيى بن زياد «الفراء»
٤٠١	يحيى بن شرف النووي
٤٣٤	يعقوب بن إسحاق بن السكيت



رابعاً:
فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة

الهمزة

أتهجوه ولست له بند ٣٢٠ فشركما لخيركما الفداء

الباء

جبت نساء العالمين بالسبب ٢٥ فهن بعد كلهن كالمحب
حلت عليه بالفلاة ضربا ٣٢ ضرب البعير السوء إذا أحبا
ولست بمفراح إذا الدهر سرتني ٢٤٨ ولا جازع من صرفه المتقلب

السين

أعلاقة أم الوليد بعدما ٧٤ أفنان رأسك كالثغام المخلص

العين

لو كان حبك صادقا لأطعته ٦٥ إن المحب لمن يحب مطيع

وفي الصدر حب دون ذلك داخل وحول الشغاف غيبة الأضالع ٣٥٧

القاف

أحب أبا مروان من أجل ثمرة وأعلم أن الرفق بالمرء أرفق ٢٨
ووالله لولا ثمرة ما حببته ولا كان أدى من عبيد ومشرق ٢٨

اللام

أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ٢٤٨

الميم

ولقد أردت الصبر عنك فعاقني علق بقلبي ومن هواك قديم ٧٤

النون

ثياب بني عوف طهارى نقية وأوجههم عند المسافر غران ١٣٦



خامساً: المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١ - أبجد العلوم - الوشى المرقوم في بيان أحوال العلوم .
لصديق بن حسن القنوجي . دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢ - أحكام القرآن .
لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي . وحققه علي محمد
البيجاوي . دار المعرفة - بيروت .
- ٣ - أخبار مكة .
لأبي الوليد محمد بن عبدالله الأزرقى . وحققه رشدي الصالح ملحس . الطبعة
الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م . دار الأندلس - بيروت .
- ٤ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري .
للعلامة أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني . دار إحياء
التراث العربي - بيروت .
- ٥ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم .
لأبي السعود محمد بن محمد العمادي . دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٦ - الأساس في التفسير .
لسعيد حوى . الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م . دار السلام - القاهرة .
- ٧ - أسباب النزول .
للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، تحقيق أيمن صالح
شعبان . الطبعة الثالثة - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م . دار الحديث - القاهرة .

- ٨ - إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم .
 للفقيه المفسر الحسين بن محمد الدافعاني . وحققه عبدالعزيز سيد الأهل .
 الطبعة الثالثة ١٩٨٠م . دار العلم للملايين - بيروت .
- ٩ - أضواء البيان في إيضاح القرآن الكريم .
 لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، التتمة من عمل تلميذه /
 عطية محمد سالم . ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م . مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، توزيع
 مكتبة الغني - الرياض .
- ١٠ - الأعلام .
 لخير الدين الزركلي . الطبعة العاشرة ١٩٩٢م . دار العلم للملايين - بيروت .
- ١١ - أعلام النساء .
 لعمر رضا كحالة . الطبعة التاسعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م . مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ١٢ - الألفاظ الكتابية .
 لعبدالرحمن بن عيسى بن حماد الهمداني . قدم له ووضع حواشيه وفهارسه
 د. إميل بديع يعقوب . دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٣ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل .
 للإمام ناصر الدين اليبضاوي . ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م . دار الفكر .
- ١٤ - الإيمان (أركانه - حقيقته - نواقضه) .
 للدكتور محمد نعيم ياسين . الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م . جمعية عمال
 المطابع التعاونية - عمان .
- ١٥ - البداية والنهاية .
 لأبو الفداء الجاحظ ابن كثير . ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م . مكتبة المعارف - بيروت .
- ١٦ - البدر الطالع .
 للقاضي محمد بن علي الشوكاني . دار الكتاب الإسلامي - القاهرة .
- ١٧ - البرهان في غريب القرآن .
 لحسن بن صالح بن عمر الحبشي . الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م . مكتبة
 وهبه - القاهرة .
- ١٨ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز .
 لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي . وحققه محمد علي النجار .
 الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م . دار الكتاب المصري - القاهرة ، دار الكتاب
 اللبناني - بيروت .

- ١٩ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة .
لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي . وحققه محمد أبو الفضل إبراهيم .
المكتبة العصرية - بيروت .
- ٢٠ - تاج العروس من جواهر القاموس .
للإمام اللغوي السيد محمد مرتضى الحسيني . الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ .
المطبعة الخيرية - مصر .
- ٢١ - تاريخ بغداد .
للإمام أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي . وحققه مصطفى عبدالقادر
عطا . الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م . منشورات علي بيضون . دار الكتب
العلمية - بيروت .
- ٢٢ - تاريخ الجهمية والمعتزلة .
للشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي . الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ٢٣ - تاريخ الفرق الإسلامية .
للدكتور محمود محمد مزروعة . الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩١ م . دار
المنار - القاهرة .
- ٢٤ - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي .
للإمام أبي العلي محمد بن عبدالرحمن المباركفوري . أشرف على مراجعة
أصوله عبدالوهاب عبداللطيف . الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م . دار الفكر -
دمشق .
- ٢٥ - التحفة العراقية في الأعمال القلبية .
لشيخ الإسلام ابن تيمية . وحققه حماد سلامة - إشراف : د. محمد عويضة .
الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م . مكتبة المنار - الأردن .
- ٢٦ - تذكرة الحفاظ .
للإمام أبو عبدالله شمس الدين الذهبي ت ٧٨٤ هـ . صحح عن النسخة القديمة
المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة معارف الحكومة العالية
الهندية . دار إحياء التراث العربي - لبنان .
- ٢٧ - التراث النفسي عند علماء المسلمين .
للدكتور محمد شحاتة ربيع . الطبعة الثانية . ١٩٩٥ دار المعرفة
الإسكندرية .

- ٢٨ - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف .
للإمام عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري . ضبط أحاديثه مصطفى محمد
عمارة . ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م . دار الحديث - القاهرة .
- ٢٩ - ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة .
للاطهر أحمد الزاوي . الطبعة الثانية . عيسى ألباني الحلبي وشركاه - القاهرة .
- ٣٠ - تصفية القلوب من أدران الذنوب .
للإمام يحيى بن حمزة اليماني الذماري . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
دار الحكمة اليمانية - صنعاء .
- ٣١ - التصوف منشأه ومصطلحاته .
للككتور أسعد السحمراني . الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م . دار النفائس -
بيروت .
- ٣٢ - التعريفات .
للشريف علي بن محمد الجرجاني . الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م . دار
الكتب العلمية - بيروت .
- ٣٣ - تفسير آيات الأحكام .
أشرف على تنقيحه وتصحيح أصوله محمد علي السائس - عبداللطيف السبكي
ومحمد إبراهيم كرسون . صححه وعلق عليه حسن السماحي سويدان . راجعه
محيي الدين ديب مستو . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م . دار ابن كثير -
دمشق - بيروت ، دار القادري دمشق - بيروت .
- ٣٤ - تفسير البحر المحيط .
لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ت ٧٤٥هـ . حققه الشيخ عادل
أحمد عبدال موجود والشيخ علي محمد معوض ، وشارك في التحقيق :
د. زكريا عبدالمجيد النوتي ، د. أحمد النجولي الجمل قرظته + د. عبدالرحمن
الفرماوي . الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م . دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٣٥ - تفسير التحرير والتنوير .
للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور . الدار التونسية للنشر - تونس .
- ٣٦ - تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل .
للإمام العلامة محمد جمال الدين القاسمي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ . ضبطه
وصححه وخرج آياته وأحاديثه محمد باسل عيون السود . منشورات محمد
علي بيضون . دار الكتب العلمية - بيروت .

- ٣٧ - تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل .
للإمام أبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي . منشورات دار
الكتاب العربي .
- ٣٨ - تفسير القرآن الكريم أو بحر العلوم .
لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي . دراسة وتحقيق
د. عبدالرحيم أحمد الزقة . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م . مطبعة الإرشاد
- بغداد .
- ٣٩ - تفسير القرآن العظيم .
للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ . كتب هوامشه وضبطه
حسين بن إبراهيم زهران . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م . دار الكتب
العلمية - بيروت .
- ٤٠ - التفسير الكبير .
للإمام فخر الدين الرازي . الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م . دار الكتب
العلمية الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م . دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٤١ - تفسير المراغي .
للأستاذ أحمد مصطفى المراغي . الطبعة الثانية ١٩٨٥م . دار إحياء التراث
العربي - بيروت .
- ٤٢ - تفسير المنار .
لمحمد رشيد رضا - ١٩٩٠م . الهيئة المصرية العامة للكتب - القاهرة .
- ٤٣ - التفسير المنير .
للدكتور وهبه الزهيلي . الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م . دار الفكر -
بيروت - دمشق .
- ٤٤ - التفسير والمفسرون .
للدكتور محمد حسين الذهبي . دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٤٥ - تهذيب التهذيب .
للإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٥٢٨هـ . الطبعة
الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م . دار الكافي - بيروت .
- ٤٦ - تهذيب اللغة .
لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري . حققه عبدالسلام هارون ، مراجعة
محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة - مصر .

- ٤٧ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال .
لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي . حققه د. بشار عواد معروف .
الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م . مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ٤٨ - تقريب التهذيب .
للإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٥٢٨ هـ . قدم له دراسة
وافية محمد عوامة . الطبعة الرابعة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م . دار الرشيد - حلب - سوريا .
- ٤٩ - التوابين .
للإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي . وحققه خالد عبداللطيف السبيع
العلمي . الطبعة الرابعة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م . دار الكتاب العربي - بيروت .
- ٥٠ - تيسير الوصول إلى مواضع الحديث في كتب الأصول .
لعبدالمجيد محمد حسين . الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م . دار الدعوة -
الكويت .
- ٥١ - الجامع لأحكام القرآن .
لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م . دار
الكتب العلمية - بيروت .
- ٥٢ - الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي .
لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سوره ت ٢٧٩ هـ . وحققه إبراهيم عطوة
عوض . الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م . مكتبة ومطبعة مصطفى البابي
الحلبي - مصر .
- ٥٣ - جامع العلوم والحكم .
لزين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب
الحنبلي البغدادي . الطبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م . مكتبة الدعوة
الإسلامية - القاهرة .
- ٥٤ - جامع البيان في تأويل القرآن .
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري . الطبعة الأولى . دار الكتب العلمية -
بيروت .
- ٥٥ - الجانب العاطفي من الإسلام .
لمحمد الغزالي . الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م . دار القلم - دمشق .
- ٥٦ - الجهاد والقتال في السياسة الشرعية .
للدكتور محمد خير هيكل . الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م . دار البيارق - بيروت .

- ٥٧ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي .
للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ٧٥١هـ. وضع
حواشيه وخرج أحاديثه الشيخ زكريا عميرات. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ -
١٩٩٧م. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٥٨ - حاشية ابن عابدين .
لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية - جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن
قاسم. الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة.
- ٥٩ - الحب بين العبد والرب .
لأحمد نصيب المحاميد. الطبعة الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩١م. دار الفكر
المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق.
- ٦٠ - الخطايا في نظر الإسلام .
لعفيف عبدالفتاح طيارة. الطبعة الثامنة. ١٩٨٥.
- ٦١ - دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة .
لعبدالله الأمين. الطبعة الثانية ١٩٩١م. دار الحقيقة - بيروت.
- ٦٢ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور .
للإمام عبدالرحمن جلال الدين السيوطي. ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. دار الفكر -
بيروت.
- ٦٣ - رد المختار على الدر المختار .
حاشية ابن عابدين. دار الكتب العلمية. بيروت - دار إحياء التراث.
- ٦٤ - روح المعاني .
للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألويسي. ضبطه وصححه
علي عبدالباري عطية. الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ - ١٩٩٧م. دار الكلم الطيب -
دمشق - بيروت، دار ابن كثير - دمشق - بيروت.
- ٦٥ - سنن ابن ماجه .
للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥هـ. وحققه وعلّق عليه
محمد فؤاد عبدالباقي. المكتبة العلمية - بيروت.
- ٦٦ - سنن أبي داود .
للإمام أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني. وعليه تعليقات
الشيخ أحمد سعد علي. الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. مكتبة ومطبعة
مصطفى البابي الحلبي - مصر.

- ٦٧ - سنن النسائي .
 بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي . دار الكتب
 العلمية - بيروت .
- ٦٨ - سير أعلام النبلاء .
 للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . وحققه محمد نعيم
 العرقسوسي . الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م . مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ٦٩ - شرح العقيدة الطحاوية .
 حققها جماعة من العلماء . وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني .
 الطبعة الثامنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م . المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق .
- ٧٠ - شرح العقيدة الواسطية .
 لشيخ الإسلام ابن تيمية - شرحه سماحة الشيخ محمد الصالح العثيمين -
 خرج أحاديثه واعتنى به سعد بن فواز الصميل . الطبعة الثانية . دار ابن
 الجوزي - المملكة العربية السعودية .
- ٧١ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب .
 لأبي الفلاح عبدالحى بن العمادي الحنبلي . دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٧٢ - شعب الإيمان .
 للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ . تحقيق أبي هاجر
 محمد السعيد بن بسيوني زغلول . الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م . دار
 الكتب العلمية - بيروت .
- ٧٣ - صحيح البخاري بشرح الكرمانى .
 الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م . دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٧٤ - صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) .
 لمحمد ناصر الدين الألباني . أشرف على طباعته زهير الشاويش . الطبعة
 الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م . المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق .
- ٧٥ - صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند .
 صحح أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني . أشرف على طباعته والتعليق
 عليه وفهرسته زهير الشاويش . الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج .
 الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م . توزيع المكتب الإسلامي في بيروت .
- ٧٦ - صحيح سنن أبي داود باختصار السند .
 صحح أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني . أشرف على طباعته والتعليق

- عليه وفهرسته زهير الشاويش. الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م. توزيع المكتب الإسلامي في بيروت.
- ٧٧ - صحيح مسلم. للإمام النووي. المطبعة المصرية ومكباتها. القاهرة.
- ٧٨ - صحيح مسلم بشرح النووي. حقيقه وفهرسه: عصام الصباطي، حازم محمد، وعماد عامر. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م. دار الحديث - القاهرة.
- ٧٩ - صحيح النسائي باختصار السند. صحح أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. أشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرسته زهير الشاويش. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- ٨٠ - الصفات الإلهية في الكتاب والسنة. لمحمد بن أمان الجامي. دار الفنون للطباعة والنشر - جدة.
- ٨١ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي. دار مكتبة الحياة - بيروت.
- ٨٢ - الطب الروحاني. للعلامة جمال الدين أبي القرج عبدالرحمن بن الجوزي. وحققه أبو هاجر محمد السعيد بن السيوفي زعلول. الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة.
- ٨٣ - طبقات الشافعية. لعبدالرحيم الأسنوي جمال الدين. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٨٤ - طبقات المفسرين. للشيخ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي. راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر. الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٨٥ - طبقات المفسرين. للحافظ شمس الدين محمد بن عبي بن أحمد الداودي. راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر. الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. دار الكتب العلمية - بيروت.

- ٨٦ - عارضة الأحوذى بشرح جامع الترمذى .
للإمام أبى العلى محمد بن عبدالرحمن المباركفورى . أشرف على مراجعة أصوله عبدالوهاب عبداللطيف . الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م . دار الفكر .
- ٨٧ - عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى .
للإمام أبى بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربى المالكى . وضع حواشيه الشيخ جمال مرعشلى . الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م . دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٨٨ - علم النفس الحديث .
للدكتور سارجنت . تعريب منير البعلبكى . دار العلم للملايين - بيروت .
- ٨٩ - عمدة القارى شرح صحيح البخارى .
للعامة بدر الدين أبى محمد محمود العينى . دار إحياء التراث العربى - بيروت ، مؤسسة التاريخ العربى - بيروت .
- ٩٠ - عون المعبود شرح سنن أبى داود .
للعامة أبى الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادى . دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٩١ - غرائب القرآن وركائب الفرقان .
لنظام الدين النيسابورى . وحققه إبراهيم عطوة عوض . الطبعة الأولى ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م . شركة مطبعة مصطفى البابى الحلبي - مصر .
- ٩٢ - فتح البارى شرح صحيح البخارى .
للإمام أحمد بن حجر العسقلانى . الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م . مكتبة دار السلام - الرياض ، مكتبة دار الفيحاء - دمشق .
- ٩٣ - الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم .
لعبدالقاهر بن طاهر البغدادى . وحققه لجنة إحياء التراث العربى فى دار الآفاق الجديدة . ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م . دار الجيل - بيروت ، دار الآفاق الجديدة - بيروت .
- ٩٤ - الفروق اللغوية .
للأديب أبى هلال العسكري . وحققه حسام الدين القدسى . دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٩٥ - الفقه على المذاهب الأربعة .
لعبدالرحمن الجزيرى . الطبعة الثالثة . دار إحياء التراث العربى - بيروت .

- ٩٦ - فوات الوفيات والذيل عليها .
لمحمد بن شاعر الكنبي . وحققه د. إحسان عباس . دار صادر - بيروت .
- ٩٧ - الفوز الكبير في أصول التفسير .
للإمام ولي الله الدهلوي . الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م . دار الصحوة - القاهرة .
- ٩٨ - في الطب النفسي النبوي .
للدكتور حسن الشرقاوي . دار المطبوعات الجديدة - مصر .
- ٩٩ - في ظلال القرآن .
لسيد قطب . الطبعة التاسعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م . دار الشروق - بيروت - القاهرة .
- ١٠٠ - قاعدة في المحبة .
لشيخ الإسلام ابن تيمية . وحققه د. محمد رشاد سالم . مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة .
- ١٠١ - القرآن وعلم النفس .
للدكتور محمد عثمان نجاتي . الطبعة السادسة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م . دار الشروق - القاهرة .
- ١٠٢ - القاموس المحيط .
لمجد الدين الفيروز أبادي . دار المعرفة - بيروت .
- ١٠٣ - القول السديد في مقاصد التوحيد .
للعامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي . الطبعة السابعة ١٤٠٩هـ . الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة .
- ١٠٤ - القول المفيد على كتاب التوحيد .
للشيخ محمد بن صالح العثيمين . اعتنى به جمعاً وترتيباً وتصويباً د. سليمان بن عبدالله أبا الخيل ، ود. خالد بن علي بن الشقيح . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ . دار العاصمة - الرياض .
- ١٠٥ - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة .
للإمام الذهبي . وحققه عزت علي عيد عطية ، وموسى محمد أحمد الموشي . دار الكتب الحديثة - القاهرة .
- ١٠٦ - الكشاف .
للإمام أبي القاسم جار الله الزمخشري . رتبته وضبطه وصححه محمد

- عبدالسلام شاهين. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٠٧ - كشاف اصطلاحات الفنون.
- للشيخ الآجل المولوي محمد علي بن علي التهانوي. دار صادر - بيروت.
- ١٠٨ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.
- للعلامة مصطفى بن عبدالله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة. المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة.
- ١٠٩ - كفاية الأخبار في حل غاية الاختصار.
- للإمام تقي الدين أبي بكر بن محمد الحسيني الحصريي الدمشقي. الطبعة الثانية. دار المعرفة - بيروت.
- ١١٠ - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية.
- لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي. قابله نسخة خطية وأعدده للطبع ووضع فهارسه د. عدنان درويش، ومحمد المصري. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م. مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ١١١ - لسان العرب.
- للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. دار صادر - بيروت.
- ١١٢ - المال في الشريعة.
- للدكتور أحمد يوسف ١٩٩٠ - ١٩٩١م. دار الثقافة للنشر - القاهرة.
- ١١٣ - مجمع البيان في تفسير القرآن.
- للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي. وضع حواشيه وخرج آياته إبراهيم شمس الدين. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١١٤ - مجمل اللغة.
- لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي. دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان. الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ١١٥ - مجموع فتاوى.
- لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم. الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة.

- ١١٦ - المحاور الخمس للقرآن الكريم.
للشيخ محمد الغزالي. الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٧٧م. دار القلم - دمشق،
الدار الشامية - بيروت.
- ١١٧ - مختار الصحاح.
للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي. إخراج دائرة المعاجم في
مكتبة لبنان. طبعة جديدة. ١٩٩٥ مكتبة لبنان ناشرون.
- ١١٨ - مختصر منهاج القاصدين.
لابن قدامة المقدسي. الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ. المكتب الإسلامي - دمشق.
- ١١٩ - مدارج السالكين.
للإمام أبي عبدالله بن بكر ابن القيم الجوزية. راجع النسخة لجنة من
العلماء. الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٢٠ - المسند.
للإمام أحمد بن حنبل. وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال
والأفعال وفي أوله فهرس رواه المسند من الصحابة وضعه محمد ناصر الدين
الألباني. الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. المكتب الإسلامي - بيروت،
دمشق.
- ١٢١ - المسند.
للإمام أحمد بن محمد بن حنبل. شرحه وصنع فهارسه: حمزة أحمد الزين
ومحمود شاکر. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م. دار الحديث - القاهرة.
- ١٢٢ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي.
لأحمد بن محمد بن علء المقرئ الفيومي ت ٧٧٠هـ. الطبعة الخامسة
١٩٩٢م. المطبعة الأميرية - القاهرة.
- ١٢٣ - المعارف.
لابن قتيبة أبي محمد عبدالله بن مسلم، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة. الطبعة
الرابعة. دار المعارف - القاهرة.
- ١٢٤ - المعجم الفلسفي.
للكتور جميل صليبا. ١٩٨٢م. دار الكتاب اللبناني - القاهرة.
- ١٢٥ - المعجم المفصل في اللغويين العرب.
للدكتور إميل بديع يعقوب. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. منشورات
محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية - بيروت.

- ١٢٦ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث .
رتبه ونظمة ليف من المستشرقين ونشره د.أبي ونسك - مكتبة بريل في لندن سنة ١٩٣٦م.
- ١٢٧ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
لمحمد فؤاد عبدالباقي . دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ١٢٨ - المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم .
إعداد محمد بسام رشدي الزين، وإشراف محمد عدنان سالم . الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م . دار الفكر - دمشق .
- ١٢٩ - معجم مقاييس اللغة .
لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . وحققه عبدالسلام هارون . الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م . دار الجبل - بيروت .
- ١٣٠ - معجم المؤلفين .
لعمر رضا كحالة . الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م . مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ١٣١ - المعجم الوسيط .
قام بإخراج هذه الطبعة د.إبراهيم أنيس، عطية الصوالحي . وحققه د.عبدالحليم منتصر، محمد خلف الله أحمد . الطبعة الثانية .
- ١٣٢ - مفردات ألفاظ القرآن .
للعلامة الراغب الأصفهاني . وحققه صفوان عدنان داوودي . الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م . دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت .
- ١٣٣ - مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .
لأبي فرج عبدالرحمن ابن الجوزي، حقه د.زينب إبراهيم القاروط . دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٣٤ - من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة .
للدكتور محمد السيد الجليند . ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م . مكتبة الزهراء - القاهرة .
- ١٣٥ - موسوعة أخلاق القرآن .
للدكتور أحمد الشرباصي . الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م . دار الرائد العربي - بيروت .
- ١٣٦ - الموسوعة الفقهية .
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . الطبعة الثانية . طباعة ذات السلاسل - الكويت .

- ١٣٧ - موسوعة الملل والنحل .
- لمؤرخ الأديان والمذاهب في القرون الوسطى أبي الفتح الشهرستاني ٥٤٨هـ .
الطبعة الأولى ١٩٨١م . مؤسسة ناصر الثقافية - بيروت .
- ١٣٨ - الموطأ .
للإمام مالك بن أنس . صححه وعلّق عليه محمد فؤاد عبدالباقي . ١٤٠٨هـ -
١٩٨٨م . المكتبة الثقافية - بيروت .
- ١٣٩ - نجمة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد .
للشيخ إبراهيم اليازجي اللبناني . ١٩٠٤م . مطبعة المعارف - مصر .
- ١٤٠ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور .
للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم عمر البقاعي . الطبعة الثانية ١٤١٣هـ -
١٩٩٢م . دار الكتاب الإسلامي - القاهرة .
- ١٤١ - النفس المطمئنة - مجلة الطب النفسي الإسلامي .
مقال: ملامح في السمات الوجدانية النفسية في ضوء القرآن والسنة . للدكتور
عبد المنان فلا معمور . القاهرة .
- ١٤٢ - نيل الأدب في معرفة الأدب المسمى أدب الخلق في الإسلام .
للعلامة محمود حمدي بن داود المرعشي الدمشقي ، تقديم المري أسامة
الخانني . وحققه علي عبدالحميد بلطرجي ، معروف زريق . الطبعة الثانية
١٤١١هـ - ١٩٩٠م . دار الخير - بيروت .
- ١٤٣ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .
لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر خلكانني . وحققه
د. إحسان عباس . دار صادر - بيروت .
- ١٤٤ - الولاء في الإسلام .
للدكتور جمعة علي الخولي . الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م . دار الطباعة
المحمدية - القاهرة .



فهرس الموضوعات التفصلي

الموضوع	الصفحة
تقديم أ.د. السيد محمد السيد نوح	٥
تهنئة في رسالة	٧
إهداء	٩
آية وحديث قدسي وقول	١٠
شكر وتقدير	١١
مقدمة	١٣
التمهيد	٢٣
المبحث الأول: معنى الحبّ والمحبة لغة	٢٥
المبحث الثاني: معاني الحبّ في القرآن الكريم	٣٥
المبحث الثالث: الألفاظ المترادفة (للحب)	٣٨
المبحث الرابع: علاقة الحب بالنفس البشرية	٤١
الباب الأول: الحب والمحبة الإلهية	٤٧
الفصل الأول: محبة الله تعالى والأقوال فيها	٤٩
المبحث الأول: صفة المحبة لله عزّ وجلّ	٥١
المطلب الأول: ثبوت صفة المحبة لله عزّ وجلّ	٥٢
موقف العلماء من إثبات صفة المحبة لله	٥٥
المطلب الثاني: محبة الرب لعبده	٥٩
المطلب الثالث: محبة العبد لربه	٦٤
المطلب الرابع: الأسباب الجالبة للمحبة	٦٨

٧٠ المبحث الثاني: مراتب الحُبِّ
	المبحث الثالث: مظاهر المحبة في حياة المسلم اتباع النبي صلى الله عليه
٧٨ وسلم
٨٤ المبحث الرابع: أثر المحبة على الإنسان
٨٩ الفصل الثاني: الذين يحبهم الله
٩١ تمهيد
٩٣ المبحث الأول: المتقون
١٠٢ المبحث الثاني: المحسنون
١١٧ المبحث الثالث: الصابرون
١٢٨ المبحث الرابع: التوابون
١٣٦ المبحث الخامس: المتطهرون
١٤٥ المبحث السادس: المتوكلون
١٥٢ المبحث السابع: المقسطون
١٦٢ المبحث الثامن: المقاتلون في سبيل الله
١٧١ الفصل الثالث: الذين لا يحبهم الله
١٧٣ تمهيد
١٧٥ المبحث الأول: المفسدون
١٨٥ المبحث الثاني: الظالمون
١٩٦ المبحث الثالث: الكافرون
٢٠٦ المبحث الرابع: المعتدون
٢١٥ المبحث الخامس: الخائثون
٢٢٣ المبحث السادس: المسرفون
٢٣١ المبحث السابع: المتكبرون والمختال والفخور
٢٤٦ المبحث الثامن: الفرحون
٢٥٣ المبحث التاسع: الجهر بالسوء
٢٦١ الباب الثاني: الحب البشري حقيقته، والمحمود منه والمذموم والمنفي ...
٢٦٣ تمهيد

٢٦٥ حقيقة الحب
٢٦٩ الفصل الأول: الحب البشري بين الفطرة والاكساب
٢٧١ المبحث الأول: حب الإيمان
٢٧٩ المبحث الثاني: حب النفس والأهل والولد
٢٨٥ المبحث الثالث: حب المال
٢٩١ المبحث الرابع: حب العاجلة
٢٩٧ الفصل الثاني: الحب البشري المحمود
٢٩٩ المبحث الأول: حب الله
٣٠٥ المبحث الثاني: حب الأنصار للمهاجرين
٣١١ المبحث الثالث: إيثار الآخرين للمال والطعام على أنفسهم
٣١٧ الفصل الثالث: الحب المذموم
٣١٩ المبحث الأول: حب الأنداد
٣٢٦ المبحث الثاني: حب الثناء والمدح
٣٣٣ المبحث الثالث: إشاعة الفاحشة
٣٣٩ المبحث الرابع: حب الدنيا
٣٤٧ المبحث الخامس: حب الشهوات
٣٥٩ الفصل الرابع: الحب المنفى
٣٦١ المبحث الأول: محبة المنافقين وأهل الكتاب
٣٦٥ المبحث الثاني: تنفيذ دعوى اليهود والنصارى محبة الله لهم ومحبتهم له
٣٧١ الباب الثالث: البغض
٣٧٣ التمهيد
٣٧٥ المبحث الأول: معنى البغض لغة
٣٧٩ المبحث الثاني: الألفاظ المترادفة (البغض)
٣٨١ المبحث الثالث: علاقة البغض بالنفس البشرية
٣٨٥ الفصل الأول: من أسباب التباغض بين البشر
٣٨٧ المبحث الأول: اختلاف الدين
٣٩٢ المبحث الثاني: التفرق والاختلاف

٣٩٩ المبحث الثالث: الدعوى إلى عصية النسب والجاهلية
٤٠٥ المبحث الرابع: الرّجس
٤١١ الفصل الثاني: بغض المؤمنين لغيرهم لا يعني ظلمهم
٤٢١ الفصل الثالث: الذين يبغضهم الله عزّ وجلّ
٤٢٣ تمهيد
٤٢٥ المبحث الأول: لألدّ الخصم
٤٣٣ المبحث الثاني: المكتفي آثار الجاهلية
٤٣٣ المطلب الأول: الإلحاد في الحرم
٤٤١ المطلب الثاني: نشر العادات الجاهلية في الإسلام
٤٤٥ المطلب الثالث: طالب دم امرىء بغير حق
٤٤٩ المبحث الثالث: الفاحش البذيء
٤٥٤ المبحث الرابع: المتشدد في الكلام
٤٥٧ المبحث الخامس: الشيخ الزاني، الفقير المختال، الغني الظلوم
٤٥٨ المطلب الأول: الشيخ الزاني
٤٦١ المطلب الثاني: الفقير المختال
٤٦٥ المطلب الثالث: الغني الظلوم
٤٦٩ المبحث السادس: البياع الحلاف
٤٧٣ المبحث السابع: الإمام الجائر
٤٧٩ الخاتمة
٤٨٢ الاقتراحات والتوصيات
٤٨٥ قائمة الفهارس
٤٨٧ أولاً: فهرس الآيات
٤٩٩ ثانياً: فهرس الأحاديث
٥٠٤ ثالثاً: فهرس التراجم
٥٠٩ رابعاً: فهرس الأبيات الشعرية
٥١١ خامساً: المصادر والمراجع
٥٢٧ فهرس الموضوعات التفصيلي